الفصل التاسع

قلاع سورية [ومغاورها وحصونها]

قلعة بعلبك

إن طول الهياكل في بعلبك التي يسمَّى مجموعها قلعة هو نحو ثلاثمائة متر ومعظم عرضها مئتان.

وأهمها هيكل المشتري (جوبيتر) المتهدم والباقي منه ستة أعمدة، ولكن أجملها وأبقاها على حاله هيكل باخوس وأروقته المخرَّمة.

أبنية الفينيقيين في قلعة بعلبك مندثرة الآن، نقضها من جاءَ بعدهم كما يظهر عند الحفر في الأساس.

ثم تجلت فيها الوثنية بجميع مظاهرها، وناوأتها المسيحية مراراً فلم تخضد شوكتها وتُمْحَ آثارها إلاَّ في أيام الملك ثيودوسيوس العظيم الذي أجهز عليها بعد أن كان قسطنطين الملك بدأ بمناصبتها [العداء] والخضد من شوكتها، فأعاد مجدها يوليانوس الجاحد ثم عُني بآثارها ثيودوسيوس.

وحلَّت آثار المسيحية محلَّها إلى فتوح العرب في صدر الإسلام ومن آثارهم قلعة العرب. ثم بدأ دور انحطاطها إلى أيام الأمير فخر الدين المعني.

وأفضل دور زهت فيه هذه الأبنية الشامخة في القرن الثالث للميلاد، أي في العصر الذهبي للوثنية الرومانية.

ولما جاء الرومان، لم يبدلوا الآلهة الوطنية فيها وذلك استجلاباً لحب سكانها، فتركوا العبادات على حالتها القديمة ولكنهم حولوا أسماءَها إلى لغاتهم مثل جوبيتر (المشتري) وابقوا له صفاته على ما هي.

الرموز: ومن رموز القلعة، أن البيضة رمز الحياة، والنبل رمز الموت، والنخل رمز النصر، والخشخاش رمز[1] (...)، والسنابل رمز الخصب والحياة، والعجل رمز البعل أي الشمس ومثله الأسد فإنهما فرسان للشمس، والأيل رمز الظرافة، والعنب رمز باخوس، والبلّوط رمز القوة (لأن خشب السنديان قوي). والنسر الحامل بيده الصولجان ومحجنة صورة أفعيين متقابلين وتحتهما جناحان رمز التجارة، كما ترى على أسكفة (بوابة عليا) هيكل باخوس. والصدفة في أكثر محاريب الأصنام رمز الزهرة لأنها بنت نبتون إله البحر. والحية رمز مدوزا آلهة الحياة وهي تمثل شعراً مجعّداً كالحيّات وكان لها خاصة غريبة بعيونها أن من ينظر إليها في محرابها يتحول إلى حجر.

التماثيل: في أروقة هيكل باخوس في سمكة (طوانه) رسوم آلهة رومانية ويونانية ومنها رسوم ملوك ورجال مشهورين ومنها صور آلهة هي حراس البلد كانت تمثل أحياناً بصورة امرأة على رأسها برج رمز الحصن (ربما كلاتوس) وتماثيل السباع المجوفة الفم للماء في طنف (كرنيش) على أعمدة هيكل الشمس الكبير الذي لم يبقَ منه إلاّ ستة أعمدة كانت ميازيب لتصريف المياه.

البُرَك: كانت البرك للاغتسال والاستحمام قبل تقدمة الذبيحة للحجاج ولغسل دم الذبائح والماء من نبع اللجوج.

المدافن: إن المدافن التي تظهر فيها صور أشخاص وبراقع ذهبية (برقع الوجه يسمّى Mosk) تستر الوجه وتأخذ شكله هي يونانية ورومانية.

مدافن بعلبك نحو ثلاثة آلاف مغارة وقسم منها يسمّى (الشراوني) وفيه المدافن منقورة بالصخر منها فينيقي ويوناني وروماني حتى بيزنطي وموقعها إلى الشمال الشرقي من القلعة وشمالي المدينة نحو ألف وخمس مائة حُفِر من أزمنة قديمة واستخرج ما فيه من الآثار. وعلى بعض القبور قبريات بالحرف اليوناني (راجع الطبعة الأولى من تاريخ بعلبك) في الغالب ثلاثة أضرحة منقوشة في الصخور وكلها مدخلها طاقة صغيرة. ممتازة باتساعها لأنها عبارة عن مقطع لحجارة القلعة ومدافن وربما كانت المدافن للعَمَلَة ورؤساء البنائين لكثرة

---

(١) كلمة غير مقروءة في الأصل.

ما يصابون به من الأمراض لمشاقّ أشغالهم. وكانت أبوابها على الأرجح حجرية ومزايا المدافن الفينيقية لها كوّة من الأعلى لإنزال الجثة منها منقورة مربّعة.

وهناك مغاور صغيرة كالحجر. والقسم الثاني إلى جنوبي القلعة الشرقي في محلة المسيحيين أكثرها مغاور كبيرة واسعة حتى يكون في بعضها نحو ١٨ لحداً على طرق مختلفة منقوشة بترتيب، مما يدل على أنها للأسر والأعيان، لا كوى لها في الأعلى وأبوابها أكبر من الأول ويوجد مغاور في مقلع حجر الحبلى وأضرحة بالصخر اتخذ بعضها مدافن من نوع أضرحة العَمَلة.

طريقة بنائها: من أغرب ما في الآثار طريقة بناء القلاع والهياكل الضخمة الحجارة العظيمة الأعمدة الشاهقة البنيان، والأرجح أن الناس جميعها كانت تسخَّر لمثل هذه الأبنية وتنفق عليها الأموال الطائلة والأوقات الطويلة والأدوات الكثيرة، بحيث لا يضجر الباني من التمثيل والتقليب إلى أن يتقّن عمله وقد فنيت أرواح وأجيال وأموال حتى يقدر أنّ مدة بناء هياكل بعلبك لم تكن أقل من قرنين.

قطع الحجارة: القطع بالمقْطع (البيْك) أو بالمنشار ثم بالبيك. وتنقل الحجارة خاماً (غير منحوتة) ثم تنحت بعد تركيبها على الأسلوب الهندسي وتخرَّم سقوفها، فالحجر يخرَّم قرب موضعه ثم يكبّ على موضعه فيركز فيه. وفي القبو الداخلي تمثال ذلك لوجود الحجر خاماً كما هو من المَقْطع (المقلع) والابتداء بنحت القسم الشمالي منه قرب المدخل.

نقل الحجارة: طريقة نقل الحجارة على البكر بتعلية الأرض خارج البنيان ونقلها على عجلات بعلو الجدار فيقلب الحجر منها إلى مركزهِ وترفع برافع (ونشات) مجهولة طريقتها ولكنها على قاعدة رفع الأثقال بالمخل أو المنسفة.

وبها عمد نحيت كل عمود منها نحو أربعين ذراعاً في الهواء غير ما في الأرض منها. وعليها كالأساطين حجارة متصلة من رأس عمود إلى رأس عمود (ومما في قلعة بعلبك) برجان وبدنُهُ ثلاثة حجارة كل حجر منها طوله ستّ وثلاثون خطوة وارتفاعه نحو القامتين وعرضه عرض السور وفي داخل قلعتها بئر يقال له بئر الرحمة يقولون لا يوجد به ماء ما دام

الأمن موجوداً وإذا كان الحصار والخوف امتلأ ماءً واستمر ملآناً يسقون الناس منه إلى أن يأمنوا فيذهب ماؤهُ. (أ. هـ).

وقال في صفحة ٣٨: ومنها (أي من المباني العجيبة) حصن بعلبك وهو مشهور بالشام وبمقطع الحجارة حجر رابع للثلاثة التي بالقلعة متروك إلى وقتنا هذا وإلى ما يشاء الله تعالى مثال للناس يعني أن من ههنا حملنا الأحجار الثلاثة المبنية بالقلعة. وبالحصن أيضاً عمد طول كل عمود نحو عشرين ذراعاً وفي الأرض منها نحو أربعة أذرع ودوره نحو ذراعين أو في نسخة ثلاثة أذرع وأكثر وعددها نحو من ستين عموداً وكان على رؤوسها عتبات وفوق العتبات البناء المحكّم (أ. هـ).

إن آثار بعلبك قديمة وقد نقل منها أشياء كثيرة وتماثيل بديعة منها تمثال نقلته شركة طريق العربات الفرنسية يمثل امرأة بلا رأس جالسة على كرسي بديعة وقد جرَّهُ اثنا عشر رأساً من الخيل إلى بيروت وقد رأيتها في سراي الحكومة في بيروت نحو سنة ١٨٨٦م على ما أتذكّر وأنا صغير في مقتبل العمر. ويوجد في أسفل القلعة بالجدار الجنوبي على بلاطة فوق الريش الخندق اسم (عبد الله المهندس). واكتشف ألوف أفندي كتابة عبرانية في محلة الريش وجدها قبل الحرب العامة.

[وبالعودة إلى][1] آثار بعلبك يرجع نشأتها إلى عهد الرومان ومنها ما هو من عهد البيزنطيين حوَّلها العرب في القرون الوسطى إلى قلعة منيعة أحاطوها بالأبراج ومرامي السهام.

قلعة قب الياس

قلعة قديمة محوّلة عن هيكل الشمس وموقعها على رابية تدافع عن الطرق المختلفة وقد خربت بالزلازل والأيدي ورممت مراراً، وكانت معقلاً في أيام المصريين والسلوقيين والروم والمردة والصليبيين والعرب والتتر. ومن أدق وصف لها ما في رحلة الشيخ عبد الغني النابلسي المتوفى سنة ١١٤٣ هـ/ ١٧٣٠ م لما جاء بعلبك والبقاع في شهر ذي القعدة

---

(١) زيادة يقتضيها السياق.

سنة ١١٠٠ هـ/ ١٦٨٨ م فقال فيها ما نصّه بعد وصف القرية: « وقد وجدنا في قرية قبر الياس المذكورة قلعة متينة من بناء ابن معن الذي كان أمير الدروز سابقاً وله سيرة غير مشكورة. وخارج القلعة برج خراب وفيه بئر ماء مردوم بالتراب وباب القلعة تجاه ذلك البرج المهدوم وهو باب من الخشب المتين لا يعمل فيه الفأس ولا القدوم وداخل الباب دهليز طويل جميعه مبني بالأحجار الكبار والقبو الذي ما إليه سبيل. وعلى ميمنة الداخل حجرة كبيرة ذات مرامٍ متينة وفيها درج إلى أسطح القلعة وبئر ماء غير مكينة ثم في نهاية ذلك الدهليز باب للقلعة ثانٍ وداخله دهليز صغير ينتفع منه القاصد والعاني ثم بعد ذلك باب ثالث يدخل منه إلى تلك الساحة في وسط القلعة وهي واسعة المساحة وفي وسطها بئر يجتمع فيه الماء من الأمطار التي تنزل من أعالي الأسطحة وهو بئر كبير واسع من قد نصف الساحة له فمان مفتوحان للإنتفاع والمصلحة. وفي تلك الساحة ايوان واسع كبير في كل ناحية منه حجرة ذات شباكين ما لهما نظير وفيها مطبخان مبنيان بالأحجار من الصوان وبالقرب منهما بنيان لما يحتاج إليه من آلات الطبخ وغيرها معدّان وهناك فرن وحمّام صغير وثلاث حجرات شرقية كبار ذات شبابيك شرقية كلها معمولة بالقبو والتحجير. والجهة الشرقية مشتملة على أربع حجرات وعلى ميمنة الايوان باب فيه عشرون من الدرجات وعلى ميسرة هذا الدرج حجرة مظلمة ليس فيها شبابيك غير مرقاة واحدة وداخلها دهليز من سبعة مرامٍ نافذة وعلى ميسرة هذا الدهليز حجرة كبيرة فيها شباكان مطلّان على ساحة القلعة الحظيرة وأيضاً حجرة مطلّة على تلك الساحة المستديرة. وعلى ميمنة الدرج المذكور ايوان كبير وفيه مرامٍ وشبابيك يتمتع بها كل بصير. وخارجه حجرة فيها شبابيك ومرامٍ وباب يتوصل منه إلى مدرجٍ إلى سطح القلعة السامي. وفيها أيضاً باب بعشرين دركة يُتوصل منه إلى باب القلعة. وباب أيضاً بعشرين دركة في أعلاه بيت للطهارة مع دهليز ثانٍ به مرام أتقنها الباني. وفي ميسرة ذلك الدهليز حجرة شمالية فيها منافع شرعية وفيها ثلاثة شبابيك مطلّة على أماكن علية. ثم بعد ذلك حجرة بشباكين مطلّين على الساحة المزبورة. وأيضاً حجرة شتوية صغيرة وأيضاً درجان على الميسرة يصعد منهما إلى السطح كل واحد منهما خمسة عشر درجة وسبع مرامٍ على اسطحه الحجرات متدرجة. وفي كل حجرة من الحجرات المذكورة وجاق

مبني من الحجارة. وهناك حجرات شمالي القلعة قد شُرع في بنائها وما تمت لها العمارة. وفي تلك الأسطحة ميازيب من الحجر إلى جهة مساحة القلعة وأيضاً درج مقدار الأربعين درجة إلى أسفل تلك الساحة ذات الوسعة. وفي أثناء الدرج بيت للطهارة. ودرج آخر على يمينه ثماني حجرات كل ذلك مصنوع من الحجارة، وبالجملة فهي قلعة مشتملة على منافع كثيرة وأمور تدعو إليها الضرورة. وقد قلنا في وصفها وحُسن ارتفاعها ولطفها:

وقلعة قلعت عين العدو بما ... علّت به من بروج ذات تحصين

كأنها فوق قب الياس مشرفة ... على جوانبه تاج السلاطين

(أ.هـ) وصف النابلسي من رحلته المخطوطة في مكتبتنا وقد نشر في المقتطف.

قلعة عنجر

قلعة عنجر في بقاع العزيز

موقع مدينة عنجر وأسماؤها: هي مدينة في سفح لبنان الشرقي (انتيلبنان) من بقاع العزيز[1] على مدخل وادي الحرير الموصل إلى مدينة دمشق حيث طريق العربات التي مُدَّ منها إلى لبنان عام ١٨٦٠ م. ولقد كان لها شأن عظيم في التاريخ القديم دعاني إلى وصفها وذكر حصنها المنيع الذي خرب الآن وخربت المدينة معه فصارت قرية صغيرة. فما هي أسماؤها القديمة يا ترى؟

يظهر من التوراة (ملوك الثاني ١ : ٥-٨) أن هذه المدينة كانت تسمّى (صوبة) واشتهرت بنحاسها لأن داود ملك يهوذا أخذ من ملكها نحاساً كثيراً جداً، وذكرت في الكتابات المصرية والأشورية قبل التوراة. وسمّاها المصريون في كتابات تل العمارنة التي سطرت سنة ١٥٠٠ ق. م (مات نحاسي). ثم سمّاها اليونانيون باسم (كلسيس أو كلشيس أو خلكيس Chalcis

(١) أرجح أن كلمة (عزيز) هنا التي أضيف إليها البقاع هي اسم المعبود السامي للشمس ومنها هيكل (بزيزا)، أي بيت عزيزا في الكورة قرب طرابلس الشام. لا نسبة إلى الملك العزيز بن صلاح الدين الأيوبي الشهير، وذلك لشيوع عبادة الشمس في سهل سورية المجوّفة (المؤلف).

النحاس). ولا يزال محل (جرن النحاس) قريباً منها. وقنسرين قرب حلب سميت بهذا الاسم كلشيس أيضاً. وفي كل هذا أدلة راهنة على توحيد التسمية التي أرجح أنها ثلاثة اسماء لمسمّى واحد كما ذهب إلى ذلك صديقي المؤرخ الأب هنري لامنس اليسوعي وغيره من ثُقات المؤرخين. ولقد أمعنت في التعليل عن صحة هذا الرأي في كتابي (تاريخ سورية المجوّفة) المخطوط المطوّل. وكله مبني على تحليل الاعلام...

وفي عنجر، وسكان مجدل عنجر نحو مائتي نسمة وموقعها إلى يمين الداخل في الوادي إلى دمشق وعلى تلة عالية قصرها قصر قديم إلى الشمالي الغربي مهدوم من جدرانه الأربعة قليل من الشرقي والباقي قائم. وهو مقابل المزينة في قب الياس يقال إن الملك كان يزين هذا المحل ويعبده من هناك ولعله كان فيه زجاج يعكس نور الشمس عند بزوغها إلى هذه الجهة للعبادة فسمي جوارها بر الياس (أي بر اليوس) بمعنى ابن الشمس أي الشمس المولدة. وحجارة القصور سوداء نخرة كالحوراني أو نخرة (البذلت)[1]. وحجارته منقوشة بديعة وأعمدته واقعة على الأرض. وإلى غربي عنجر آثار سور ضخم في السهل ويوجد نفق (سرداب) من باب سور عنجر الحالي إلى جسر دير زينون فوق الغزير يظهر أنه كان للاستقاء عند الحصار إذ يمكن قطع مياه بركة عنجر الدورية عن الحصن وهو الآن مسدود ولكنه محكم البناء على مسافة نحو ثلاثة أرباع الساعة. ويقال إنه يوجد نفق مثله من تدمر إلى الفرات. وقيل إنه يوجد نفق آخر من عنجر إلى الاسطبل في السهل. وهناك نواويس كثيرة ومغاور كلها مدافن وفي أوائل تموز ١٩٢٢ ظهرت آثار فيها وذهب صديقي المسيو اشاش دي لوري الفرنسي [ليتحفَّظ][2] عليها.

وإلى غربي بركة مجدل عنجر في سفح الجبل الشرقي آثار قلعة كبيرة متهدمة لم يبق إلاّ بعض جدرانها فوق الأرض بعلو قليل تدل على عظمة غنية [وغنى].

(١) البازلت.

(٢) زيادة يقتضيها السياق.

(قلعة الليطاني): هي فوق نهر الليطاني على طريق الذاهب من حاصبيا إلى صيدا. وهناك قلاع تبنين وصفد. اشتهرت قلعة الليطاني في أيام الصليبيين وتقلبت بها الأيام[1].

الحديثة: وكثير من القلاع القديمة هدم ورمم فصار حديثاً. ومن أهم القلاع التي كانت في عهد الأمير فخر الدين المعني مما رممهُ أو استولى عليه أو جدَّدهُ القلاع الآتية: سنة ١٦٢٤ قلعة الحصن أي حصن الأكراد وقلعة صافيتا المسماة برج صافيتا، وشميسة والمرقب وتدمر وبعلبك واللبوة وقب الياس والشام وعجلون وصلخد وشقيف تيرون قرب نيحا وهي التي...[2] إلى مغارة حزين. وقلعة بانياس الصليبية (وحصن عكار) وكانت السكمان في قلاعه.

ولما امتلك المعني من حدود العريش إلى حلب وسُمّي سلطان البر سنة ١٦٢٦ شرع معتمده الشيخ أبو نادر الخازن في بنيان قلعتين في تخوم حكمه في حلب إحداهما شمالي قلعة الشماميس تجاه حلب أو البروج والثانية فوق إنطاكية ووضع فيها بلوكباشية[3] وأمر المعني بترميم قلعة بعلبك ووضع فيها سكمان[4] وبقي شهراً حتى تمّ ترميمها. ورمم قلعة

---

(١) (المقتطف ١٩:٦)، والمقصود بقلعة الليطاني هي قلعة الشقيف وهي فعلاً موجودة على الطريق بين حاصبيا وصيدا، وعلى الرغم من التدمير الإسرائيلي الذي تعرضت له عامي ١٩٧٨ و١٩٨٢ لا تزال مشرفة على شمال فلسطين وجنوبي سوريا ولبنان وهي تعود إلى المرحلة الصليبية. أما قلعة تبنين فما زالت بقايا منها قائمة إلى الآن في وسط بلدة تبنين الجنوبية (المحقق).

(٢) هكذا في الأصل والكلمة المفقودة قد تكون تقود أو تؤدي إلى (المحقّق).

(٣) البلوكباشي لقب تركي يعبِّر عن رتبة عسكرية، وتأتي أهميته من أهمية البلوك حسب التشكيلات العسكرية للجيش، فقد كانت بداية وقبل إلغاء أوجاقات الإنكشارية، تعني فيلقاً مكوّناً من ١٢ فرقة، وتعرف الفرقة باسم أورطة، ويبلغ تعداد جنودها ١٦٠٢ عنصر بين ضابط وجندي، لكن البلوك بعد الإلغاء، بات يعني سرية، ولا يزيد عديده عن ١٥٠ نفراً، والأورطة أصبح اسمها كتيبة، راجع: لطفي المعوشي، موسوعة المصطلحات التاريخية العثمانية، مكتبة لبنان - ناشرون، ٢٠١١، ص. ٧٣ (المحقّق).

(٤) السكمان أو السكبان كانت بداية عبارة عن فرقة من فرق الإنكشارية، وكانت وظيفتها الأولى الاهتمام بكلاب صيد السلطان ومرافقته في الحرب والصيد، وتطورت هذه الفرقة إلى أن أتكّون منهم في كل ولاية وحدة عسكرية على هيئة عناصر مأجورة مرتبطة بالولاة والزعماء المحليين، وكانت وحداتهم موزعة على أنحاء الامبراطورية تحت اسم أورطة يرأسها ضابط كبير يعرف باسم سكبان باشي، وكان هؤلاء إلى مهامهم القتالية يقومون بأعمال الشرطة والتجسس. ومع التدهور الذي أصاب الامبراطورية بات هؤلاء يبيعون خدماتهم لكل من يدفع. راجع: المصدر السابق نفسه، ص. ١٧٥. (المحقّق).

قب الياس بمناظرة سليمان حيمور حاكم البقاع ووضع فيها رجالاً وعلايف. وأمر بعمار قلعة المسيلحة شمالي البترون على صخر شاهق ورمّم قلعة سمّار جبيل وبنى قلعة عجلون وقلعة السلط ورمّم قلعة صرخد بعد شهرين (وقلعة الترك ربما).

وسنة ١٦٣١ بنى ولده الأمير علي في صفد مغارة الحمام فوق نبع اسبانيا وجعلها حصناً منيعاً وقلعة سمّار جبيل وجبيل وطرابلس.

وسنة ١٦٣٢ م. بنى فخر الدين في بيروت البرج الكشاف وخان الوحوش والجنينات.

ومغارة زلّايا في البقاع ذات طبقتين كان المعنيون يحاصرون فيها في حروبهم وهي في البقاع الشرقي في آخرهِ وقرية زلّايا بين يحمر وقليا وفي مغارتها ينبوع قديم ومنفذ فمياهه لا تزيد ولا تنقص.

راجع مغارة شقيف ونيحا في كتاب شاكر الخوري ٣٧/ ١٢٠.

(مغارة زلّايا)

موقعها قرب قرية (زِلّايا) من البقاع على مقربة من (قليا) و(لبَّاية) و(يحمر) على مقربة من الطريق الموصل إلى (حاصبيا) من شرقي البقاع على بعد ١٢ ساعة من مشغرة إلى الشرق الجنوبي منها.

وهذه المغارة إلى قبلي (يُحْمُر) على بعد نصف ساعة منقورة طبيعياً بصخر وضمنها مياه في بركة دائمة وهي ذات طبقتين بالصخر فيها بعض حجارة لها (مرامي) للرصاص والسهام ومغاور. وسقفها العلوي صخر طبيعي وفوق بوابتها برج. وفيها آثار للخيل وللفرن. وأصلها مغارة فوق مغارة.

وأمامها الليطاني مرتفعة عن الماء نحو ١٥٠ متراً وأمامها هوة إلى الماء عميقة منحدرة أفقية، وقدامها كهف (خُشَيْف) مغارة واسعة.

وسكان (زلّايا) متاولة مثل سكان سحمر ويحمر وميدون وقليا ولوسا ولبّايا - كلهم متاولة.

تخبأ الأمير فخر الدين المعني (بزلّايا) وحاصر[1] فيها ثم (بقلعة نيحا) ثم نقل إلى قلعة أرنون جزين وسلّم بنقبها عليه.

---

(١) الصواب حُوصر فيها وليس حاصر فيها كما في الأصل (المحقّق).

قلعة ابن عفان: قيل إنها بين قب الياس ومكسة. وقيل فوق (المريجات) في ساقية خان مراد (الذي خرب وبقي قليل من أطلاله).

كلها مغاور مهمة ووجد فيها زجاج كثير مكسَّر.

حصن عنجر: مرَّ وصفه.

(قلعة ماسّا): منقورة على شرقي القرية في أول أكمة من الجبل بالصخر شبه قلعة لها سور وحيطان ومقطعة وهي تطل على الجهات الأربع والسور قائم كأنه منحوت (بالشاحوطة آلة النحت عند عامتنا).

(مار جرجس دير الغزال): ضخم الحجارة أخذت بعضها وعمّر حديثاً فوق القديم وإلى الجنوب الغربي منه بيت وقبور وجدوا في أحدها عظم ساق نحو ذراع وربع.

(قوسايا): فيها آبار قديمة.

(حشمش): فيها عين ماء قديمة منقورة قناتها العالية في الصخر على بعد ٦٠ خطوة (فشخة) من كل جهة إلى الغرب والشرق مما يدل أنها كانت تجر من ينبوعين ربما من أحدهما (عين تربل) و(عين البيضا) عند محلة (بروته) قرب كفرزبد لأن من الأدلة على ذلك نضوب الماء هناك وهنا بوقت واحد. ووجد هناك قرب العين مدافن فيها سُرُج وأباريق خزفية وخواتم فضية بسيطة. ووجد في حشمش قطعة فضية بحجم (المجيدي) وعليها صورة أشبه بمار جرجس وعليها كتابة إفرنجية. وأرض حشمش تحت دير مار جرجس دير الغزال فلعلها ايقونته.

قلعة بكداش: بكداش قرية على كتف مجر الرأس سكانها تركمان مذهبهم بكدشلي تبعد عن العاصي نصف ساعة إلى الجنوب الغربي تخاصم سكانها مع أهل الفيكة سكرية مسلمين ومراد نصارى فغلبوهم وأحرقوا بكداش فخربت فعمرت الحكومة العثمانية فيها ثكنة للعسكر نحو سنة ١٨٩٥ لرد غارات الدنادشة فبقيت عشر سنوات ثم أهملت فخربت أيضاً.

حصن رأس بعلبك: ذكر في أيام الحرافشة راجع تاريخ بعلبك صفحة ٢٧ و٧٦ الراس وحصنها وذكر قبل ذلك في حوادث سنة ٥٢٦ هـ (١١٣١ م) كما ترى في الحوادث.

(قلعة جندل)[١]:

حصون قرب يونين: يجاور يونين حصون منها (حصن نحلة) وهي قرية صغيرة واقعة بين يونين وبعلبك. وبناء الحصن على جنب وادٍ من الجهة الجنوبية بديع يجري فيه نهر ماءٍ ربيعي قد غصت أرضه النامية بأنواع الأشجار ولم يزل ذلك الحصن قائم الجدران ضخم الحجارة يدل على مجد عظيم. ويوجد فوق ظهره بقية بناء قديم. ولا يُعرف له باب ولعله قد طرأ عليه ردمٌ وأخفى كثيراً من عجائبه.

حصن القاع: كانت القاع قلعة قديمة يسكنها الأهلون الذين كانوا نصارى ومسلمين وعمارها ضخم وتحتها أقبية مهمة وفيها مياه للحصار فحدث فيها خصام بين المسلمين والمسيحيين من سكانها فغلب المسيحيون وتنصَّر كثير من مسلميها ومنهم من فرَّ وبعضهم تشيَّع ومنهم (بنو مطر) أصلهم مسلمون فمنهم الآن مسيحيون في القاع وشيعة في (عين)[٢].

(حصون وقلاع بعلبك)

حصن اللبوة: اللبوة مدينة عظيمة كما يظهر من الحفر في أرضها مثل القساطل (الأنابيب) والحمّامات والأحجار الكبيرة ولا بدع فإنها كثيرة الماء جيدة الأراضي لا تقل مياهها عن نصف ماء بَرَدى في دمشق ويوجد في منبع مائها آثار قديمة تدل على أنه كان هنالك خزان لتوزيع المياه على القرى والأراضي التي تستقي منه.

أما الآن وقد تهدم بناء ذلك الخزان وردمته السيول فأصبح الماء يخرج من محلات متفرقة وبقي جدول كبير يسمَّى بالقنا يجري ماؤهُ إلى قرية اسمها (القاع) من أعمال بعلبك تبعد عن اللبوة ثلاث ساعات إلى الشمال. ويروي السكان أن هذا الماء كانت تملكه زنوبيا

---

(١) لم يتناول المؤلِّف قلعة الجندل وتفاصيلها مع أنه ترك مساحة بيضاء للكتابة عنها. ومن المعروف أنَّ قلعة جندل الكائنة شرقي جبل الشيخ ضمن الأراضي السورية حالياً تنسب إلى الأمير جندل البقاعي الذي حالف الفاطميين عندما ملكوا الشام، ثم تولى بعده ابنه الضحَّاك الذي تحصن بها كما فعل الثوار على القائد المصري ابراهيم باشا... وعرفت هذه السلالة بالجنادلة أو البقاعيين، لكن القلعة كما هو معلوم تعود إلى العهدين اليوناني والروماني (المحقِّق).

(٢) هكذا في الأصل.

وقد جرته إلى تدمر (وهو قول في كل مياه مجرورة في سورية). أما مجراهُ وأثر الحفر فهو واضح جلي من القاع إلى أن ينتهي إلى قضاء النبك في الجبال والصخور. ولما طرأ الخراب على تدمر اندثرت مجاريه وبقي واصلاً إلى قرية القاع فقط فأصبح ملكاً لأهاليها حتى الآن.

وفي اللبوة (حصن قديم) لم يبقَ منه إلاَّ بعض البناء وهو واقع غربي رأس الماء على بعد عشر دقائق في طرف تلّ من الجهة الشمالية. بقرب من مجرى النهر من الجهة القبلية في وسطه قبو كبير. ويوجد في ذلك الحصن بئر يتوصل منه إلى سلَّم حجري تحت الأرض إلى مجرى النهر على مسافة ثلاثين ذراعاً مما يدل أنه جُعل وقاية لحفظ حياة أهله عند الحصار.

واللبوة قرية صغيرة الآن يملكها (آل حيدر من بعلبك) كانت مبنية من قديم فوق هذا الحصن والتل ونظراً لغزارة مائها وكثرة مستنقعاتها وكونها شبه جزيرة يحيط بها الماء فسد هواؤها وكثرت الأمراض في سكانها فاضطروا إلى نقلها فأسسوا قرية شرقي رأس مائها. وسموها (اللبوة) تخلصاً من فساد هوائها وأضحت اللبوة القديمة جنائن وحقولاً للزراعة.

حصن القُرْدوح: إلى الشرق الشمالي من يونين على رابية يبعد عن يونين نحو ثلاثة أرباع الساعة وموقعه من أبدع المواقع منظراً وهواءً ونشاطاً يرى منه أطراف بلاد البقاع جنوباً وقرون حماة شمالاً وسهل بعلبك وجبل لبنان، وهناك الآن آثار حجارة ضخمة وهو يشرف على جميع جبال حمص ونواحيها مقابل لعين ماء جبعه من الجهة الغربية يفصل بينهما وادٍ. وظهر قرب هذا الحصن بمجرى ماء رِجْل تمثال نحاسية سنة ١٣٠٩ هـ[1] مكتوب على قبة ظهره بخط عبراني[2]. وهناك مدافن كثيرة وظهرت على بلاطة فيها كتابة قديمة وعليها أسطر عددها خمسة أو أكثر وحولها أسطر. ويظهر أن هذا الحصن هو دير لأن غرفه الحاضرة البعض منها متفرقة والباقي يحاذي بعضها بعضاً وليس لها سور يعصمها من العدو عند الهجوم. وجبعة على طرف الجبل الذي عليه بناء القردوح من الجنوب حيث يوجد ثمة وادٍ وعدة كهوف ومغاور. وآثار بناء قديم شبه كنيسة طمست السيول آثارها.

---

(١) الموافق سنة ١٨٩١م.

(٢) وعلى هذه الرّجل النحاسية على قبتها مكتوب (بطرك دير جبعة فولكس) اشتراها الخواجا يوسف جبران قرعا من بعلبك. مما كتبه إليَّ الشيخ علي التقي زغيب من يونين ١٥ كانون الأول ١٩٢٢ (المؤلِّف).

حصن بُنْبُش: وقرب نيحا حصن بُنْبُش وهو خرب اليوم.

حصن نيحا: في البلدة إلى الغرب الشمالي هيكل الإله هدرناس الكلداني وهو ضخم الحجارة وبعثرها بزلزلة قوية قلبته ظهراً لبطن وعلى كثير من حجارته نقوش أغصان نخل وعنب وبعض رسوم آلهة على حجارة مقلوبة على جانبها. وتحتها قبو يدخل إليه من باب ضيق تحت الردم فيه رسوم بديعة على حجر في الأمام وهذا القبو مردوم.

قلعة الحصن: في ارض (الشعراء) في حكم لبنان على بعد نصف ساعة عن نيحا (البقاع) إلى الغرب الشمالي (قلعة الحصن) فيها لولب ضمن الحائط الشمالي ضخم الحجارة وهو قائم مع جدار آخر. والبوابة إلى الشمال. وعلى العتبة العليا المشقوقة والمنحدرة عن مركزها نقوش وزقورة منحوتة.

حصن شليفة أو قصر البنات: موقعه على رأس سلسلة جبل ممتدة شرقاً وغرباً ومتصلة بجبل لبنان إلى الجهة الشمالية الشرقية من شليفة وعلى بعد نصف ساعة منها. وهو قصر محكم البناء بالحجارة المزخرفة المنقوش مثل النقش الروماني أو اليوناني. حجارته ضخمة يبلغ بعضها ست[1] أقدام طولاً وأربع[2] أقدام عرضاً وأربع[3] علواً. ومع [رغم][4] مرور الأيام عليها باقية على هيئتها الأصلية. ويحتوي هذا القصر على بناء أصلي له جداران قائمان إلى الآن وهو قائم على قبو معقود. وحول البناء الأصلي غرف كثيرة متهدمة الآن. وأمام البناء إلى شرقيه فسحة كبيرة. وحول كل هذه الأشياء سور يحيط بها.

والبناء الأصلي الذي يطلق عليه (اسم القصر) لهُ جداران قائمان متجهان شرقاً وغرباً يبلغ طول الجدار الواحد خمسون قدماً وعلوهُ ست وعشرون قدماً والصف الأعلى منه مبني من الحجارة المنقوشة.

---

(١) ستة أقدام.

(٢) أربعة.

(٣) أربعة.

(٤) زيادة يقتضيها السياق.

والفسحة الداخلية بين الجدار الشمالي والجدار الجنوبي تبلغ عشرين قدماً وهي مقسومة إلى شطرين بجدار يمتد شمالاً وجنوباً.

إلى الجهة الجنوبية الشرقية بجانب البناء الأصلي توجد آثار غرفة جدرانها على هيئة دائرة يزعم سكان شليفة ومن يجاورهم أن هذا المكان هو مكان العبادة لسكان القصر. وآثار الغرف موجودة حول البناء الأصلي ما عدا الجهة الشرقية، فإن هناك فسحة الدار حيث توجد الآبار أيضاً. والغرف كلها مبنية من الحجارة المرقومة والسور يحيط بجميع الأبنية وهو مشيد من الحجارة المرقومة ويبلغ طوله شرقاً وغرباً تقريباً من ثلاث مائة قدم وعرضه مئتان وخمسون قدم.

ويزعم أهل شليفة أن دير البنات كان يسكنه ملك في فصل الصيف وكان يحكم على القرى المجاورة ويقولون إنه كان يوجد حبس في السهل الواقع شمالي القصر وقد رأوا في هذا الحبس رُزَزاً من حديد مما يؤكد قولهم عن الحبس ولعل هذا الدير الذي خربه الوثنيون قرب بعلبك وسُمّي الدير الأحمر.

(دير اليَنْط): إن دير الينط موقعه على أسفل السلسلة الموجود عليها قصر البنات ولا يوجد الآن من أبنيته شيء سوى آثار جدران كلها منهدمة إلى الأرض وبركة صغيرة وإلى الجهة الجنوبية الشرقية على بعد ميل منه يوجد بركة تسمى بركة الوزّ وكانت تسمى قديماً بركة اليَنْط وهي لقرية إيعات وقربها نصب إيعات

قلعة بعلبكّ
وما كُشف فيها حديثاً

الآثار الرومانية: هياكل شادها الأقدمون في عهد الرومان لعبادة البعل أو جوبتير الشمسي بعظمته وفخامته لا يماثلها بناء في المعمور وزينوها بالنقوش البديعة والعُمُد الباذخة وبنوا بجانبها هيكلاً لباخوس إله الخمر من أتقن وأجمل الهياكل الموجودة في سورية وأكثرها حفظاً ومتانة. وفي البلدة هيكل مستدير الشكل جميل البناء تحيط به أعمدة كورنثية الهندسة وهو آية في حسن الصنعة ولطافة الذوق والتفنن يفصله عن بقية الآثار بستان ولا طريق له يصله بالقلعة.

البناء البيزنطي: كنيسة عظيمة ملوكية بناها الإمبراطور ثيودوسيوس في أواخر القرن الرابع للمسيح مما هدمه من حجارة هيكل جوبيتر الشمسي- وآثارها ماثلة في وسط دار الذبائح – ومن الأبنية البيزنطية كنيسة القديس يوحنا نذكرها في باب الآثار العربية لأنها تحولت إلى جامع.

الآثار العربية: كما ذكرت قبلاً أن الهياكل الرومانية حوَّلها العرب إلى قلعة منيعة بنوها بحجارة الهياكل فطوقوها بالأبراج والمرامي والسراديب والخنادق وبنوا ضمنها جوامع وحمَّامات وهكذا أضحت الآثار الرومانية العربية كتلة واحدة فأطلق عليها اسم القلعة من باب تسمية الكل باسم البعض.

وقد يوجد من هذه الأبنية العربية ما ليس ذو قيمة تاريخية ويشوه بوجوده الآثار الرومانية فيجب إزالته. وفي القصبة وأطراف البلدة آثار عربية أخرى يجب المحافظة عليها، أخصها الجامع الكبير الذي كان كنيسة للقديس يوحنا جدد بناءه العرب وزينوه بالعواميد الغرانيتية التي أخذوها من القلعة ولا تزال ماثلة، وأقاموا بجانبه مدرسة كبيرة[1] ولكن هذا الجامع الآن بحالة الخراب ولا يلبث أن يسقط تماماً فيحسن تجديده. ومن الآثار العربية قبة دورس

---

(١) لعلها المدرسة النورية المشهورة (المؤلِّف).

وقبة الأمجد وقبة السارين وكلها ذات قيمة تاريخية، ولكنها بحالة الخراب فتجب المحافظة عليها وعمل ما في الوسع لمنع سقوطها.

المدافن القديمة: هي مغاور وسراديب تحت الأرض تحتوي على قبور منقوشة بالصخر وهي غريبة الشكل ومعظمها مطمور تحت الأرض فيحسن كشفها. وإنشاء طريق كروسة إليها لا يكون طوله أكثر من كيلو متر واحد من طريق حمص قرب القشلة فيكثر تردد السياح لمشاهدتها.

إدارة الآثار القديمة في بعلبك

إن هذه الآثار كانت تابعة لإدارة المتاحف الهمايونية العثمانية، وكان يُستوفى من زائريها رسم دخولية ريالاً مجيدياً عن كل شخص يعطى إلى أي كان بطريق الالتزام - فاعتاد الملتزمون لتكثير أرباحهم منها أن يكسروا من نقوشها الجميلة ويبيعوه للأجانب ويحسِّنوا للزائرين حفر أسمائهم على الجدران بالازميل فيتقاضونهم رسماً آخر على ذلك حتى إن بعض الجدران أو أكثرها تقريباً أضحت مغطاة بأسماء الزائرين - وبما أنني أولعت منذ صباي بدرس تاريخ هذه الآثار ووضعتُ لها كتاباً شرحت فيه تاريخها ووصفها بأسلوب علمي ونشرته باللغة العربية والإفرنسية والإنكليزية والألمانية، فحاز استحساناً عظيماً من علماء الآثار والجمعيات الأثرية والعلمية ونال إقبالاً عجيباً فطبع ثلاثة عشر[1] مرة وكان عاملاً كبيراً لإقبال الزائرين إلى بعلبك، فصدف أن رغبت في التزام القلعة وحصلت عليه في سنة ١٨٩٧ م.، فحافظت عليها أشد المحافظة ومنعت كتابة وحفر الأسماء على جدرانها وحرمت تكسير نقوشها. فقدر العلماء الألمان الذين عملوا الحفريات فيها بإرادة سلطانية قدر هذه المحافظة وخافوا أن يلتزمها خلافي، ووجدوا بأن من العار على أمة متمدنة أن تعطي كنوزها التاريخية وآثارها القديمة لأي كان في كل سنة بطريق الالتزام. فحرروا لإدارة المتاحف الهمايونية، وألغوا التزام دخولها بتاتاً وقررت إدارة المتاحف تعييني أميناً ومحافظاً عليها وتم ذلك منذ سنة ١٩٠٥ م وبقيت مأموراً عليها إلى اليوم.

(١) ثلاث عشرة.

وفي سنة ١٩١٣ بناءً على مساعيَّ الجديَّة ولأسباب معقولة صدرت الإرادة السنية بتخفيض الرسم إلى العشرة غروش تسهيلاً لجميع الزائرين في مشاهدة هذه الآثار الفخيمة. ثمَّ سعت بلدية بعلبك وساعدها القائمقامون فخصص لها نصف إيراد القلعة لأجل إنشاء الطرق حول القلعة وبينها وبين البلد، لإجراء التحسينات اللازمة لاستجلاب الزائرين والمصيّفين. ولكنها لم تفعل شيئاً من ذلك إلى اليوم. ولنا الأمل في البلدية الجديدة أن تهتم بهذا الشأن الحيوي في المستقبل.

نظام المحافظة والإدارة لآثار بعلبك

لها مأمور يلقّب بأمين الآثار القديمة - معاشه ستمائة غرش مصري يعهد إليه بالمحافظة على الآثار القديمة الموجودة في بعلبك. وجمع العاديات التي توجد اتفاقاً في القضاء. وهو مسؤول بتطبيق نظام الآثار القديمة العثماني في دائرته ويعهد إليه أيضاً جباية الرسوم من الزائرين وهي الآن عشرة غروش مصرية عن كل زائر أو خمسة وعشرين غرشاً ورقاً سورياً في الوقت الحاضر. ويدفع في آخر كل شهر ما يجتمع لديه من الرسوم إلى صندوق مال القضاء. ومدير المال مسؤول أن يعطي البلدية حصتها وهي النصف من الرسوم عن كل زائر يجب أن يكون بيده ورقة بليت مقطوعة من جلد قوجان له أرومة.

يستثنى من دفع الرسم أهالي قضاء بعلبك وطلبة المدارس عموماً الذين يزورون الآثار بصورة رسمية مع أساتذتهم وأنفار العساكر الذين يجب أن يكونوا مع آمر رتبته على الأقل عريف (أونباشي) ويستثنى أيضاً العلماء والمشتغلون بالآثار القديمة ومعلمو الفنون الجميلة كالتصوير والنقش وتراجمة السيَّاح ومديرو شركات السياحة والوفود الرسمية. وإن ورقة الدخول يعمل بها في كل اليوم طالما الزائر لا يبارح القصبة، على أنه متى سافر ثم عاد يجب أن يجدّد ورقة الدخول ويدفع الرسم كالعادة.

لهذه الآثار حارسان للمحافظة ومنع التكسير والتخريب أحدهما يلازم الباب والثاني يتجول دائماً في داخل القلعة ويرافق الزائرين ويحافظ على راحتهم ويأخذ الأول معاشاً

شهرياً ثلاثمائة غرش مصري. والثاني مائتين وخمسين. وفي هذه السنة (١٩٠٠ م) ألغي الثاني منهما اقتصاداً مع أن وجوده ضروري وواجب.

جعل تحت أمر أمين الآثار ستمائة غرش مصري سنوياً لتغطية بعض المصارفات كسدّ الثغر التي تحدث ولمشترى الغالات والكراسي والطاولات وللقرطاسية ولتدفئة البواب في أيام الشتاء الخ... وهذه القيمة يجب زيادتها لأنها غير كافية حيث يجب وضع قيمة لائقة لأجل إصلاح المتحف الوطني الذي أنشأته في القلعة وجلب العاديات المحلية إليه ولأجل مصاريف شتى لازمة.

ما يتحتم على الإدارة إجراؤه في المستقبل

إن لآثار بعلبك شأن عظيم وشهرة واسعة في سائر الأقطار - يأتيها الزائرون من كافة أقطار العالم ويقصدها عظماء الأرض وكبار المتمولين، وهي قائمة في وسط جميل من بساتين زاهرة ورياض نضرة والمياه تتدفق على جوانبها ولكن الطرق المؤهلة في غاية التعاسة وهي ضيقة مخربة وسخة فيجب الاعتناء بها وتوسيعها وتحسينها وإن في أيام الحرب وعهد الحكومة العسكرية التركية وبناءً على أوامر جمال باشا ووالي الولاية تحسين بك شرع بإنشاء طريق جميل عرضه خمسة عشر متراً من محطة سكة الحديد إلى الباب المعروف بباب النحاس من القلعة. ثم يطوف القلعة قرب جدرانها إلى مدخلها الأصلي فتتجلى الهياكل بعظمتها للزائرين من خروجه من المحطة إلى أن يصل إليها. ثم ينشأ طريق آخر عرضه عشرة أمتار من مدخل القلعة إلى الهيكل المستدير شماليه فيتصل هذا بالقلعة ويسهل زيارته على الزائرين. ومن هذا الهيكل إلى مصلبية السوق طريق على خط مستقيم، ومن مصلّبية السوق إلى رأس العين منتزه بعلبك الجميل على خط مستقيم فيكون من ذلك طريق بديع بهندسته واتساعه ومناظره الجميلة يخترق البساتين ويمر بالقلعة، ويخرق المدينة من طرفها الواحد إلى طرفها الآخر.

في رأس العين المنتزه الذي لا أجمل منه في سورية، فيكثر زوّار البلاد ويزداد الانتفاع لأهاليها منهم وكان هذا العمل باقتراح مني وتشويق جدي كما هو معلوم ومشهور، فصادف

اقتراحي استحساناً من جمال باشا ورصدت له المبالغ اللازمة من النافعة، فبدئ به وهدمت بعض المساكن التي تعترضه وقطعت الأشجار الواقعة في طريقه، ثم أهمل بعد ذهاب الأتراك. فأطلب إتمامه من حكومة لبنان الكبير الراقية إذ لا شيء يزيد في رقي بعلبك مثله. ٦ أيلول سنة ١٩٢٠.

في ربيع (نيسان) سنة ١٩٢٩ وجدت في محلة الشميس وراء رابية الشيخ عبد الله فوهة مفتوحة أمام أولاد كانوا يلعبون حولها، فدخلوها وهي على عمق أربعة أمتار، فأسرع مدير الآثار ميخائيل أفندي موسى ألوف البعلبكي ومعه بعض رجال الشرطة إلى ذلك المحل.

وكان قد نزل قبل وصول هؤلاء كل من إبراهيم حنا فرنسيس وعلي ديب عواضة إلى تلك الفوهة، فوجدا فيها معجن فخار له أذنان وقنينة وثلاث بكايات (زجاجات مستطيلة لحفظ دموع الباكين على موتاهم) وكان الزجاج صافياً لا (كمخة) عليه ووجدوا بعض قطع من الورق الذهبي الذي كانوا يغلفون به وجه الميت قديماً، فأخذت كل ذلك دائرة الشرطة بإشارة مدير الآثار ليأخذها إلى المتحف البعلبكي.

والمغارة المذكورة في الفوهة متسعة بسبع قناطر وفي كل قنطرة قبران مبنيان بالحجر الكدّان. وكل قبر مغطى بلوح فخار وبلاطة من نوع الحجر الكدّان مما يدل على أن هذه المغارة حفرت قبلاً لاكتشافها من بعض الناس.

وفي أيار سنة ١٩٤١ كان مزارع يحفر نفقاً في أرضه بقرية (حوش تل صفيّا) التابعة لبعلبك. فعثر على فوهة مغارة أثرية وجد فيها ناووساً حجرياً وبعض الآنية الخزفية، فأوقف العمل وبلغ الخبر السلطات الإدارية.

ماذا قال العظماء في بعلبك

نقلت الرصيفة بعلبك عن سجل زائري قلعة بعلبك الذهبي الذي نظمه الأثري الكبير ميخائيل أفندي الوف اقوال بعض عظماء الرجال الذين زاروا ذلك الأثر التاريخي العظيم ونحن ننقلها فيما يلي:

كلمة الملك فيصل: وعمروها أكثر مما عمروها، فيصل في ٣ صفر ١٣٣٧[1].

الملك فيصل

كلمة الأمير زيد: الأثر الخالد عنوان مجد الأمم. في ٦ تشرين أول سنة ١٩١٩.

زيد بن الحسين

كلمة شهيد ووزير: عظمة العقل تتجلى في كثير من أعمال البشر وأعظمها قلعة بعلبك.

محمد كرد علي وشكري العسلي

كلمة أمير مصري: زرت بعلبك وآثارها المدهشة فسررت بها وأثنيت على همة ميخائيل أفندي الوف لأنه اجاد باعطائي الايضاحات اللازمة.

شقيق خديوي مصر البرنس محمد علي في ٢٥ صفر سنة ١٣٣٠ [١٩١١].

كلمة شاعر العراق: لقد دخلت هذه الآثار القديمة وأنا تابع لعقلي وخرجت وأنا تابع للخيال، أما الحقيقة التي رأيتها بشكل حجارة عظيمة فلا أستطيع أن أبدي فيها رأياً إلا بعد افتكار طويل. ٧ ابريل سنة ١٩١٠.

معروف الرصافي

كلمة شيخ العروبة: رأيت في بعلبك أثراً عالياً وإن كان بالياً، وشاهدت طللاً دارساً لا يزال ماثلاً، بقية من بقايا الهيكل الذي شاده الانسان لعبادة الشمس التي هي واسطة عقد هذا النظام ثم حوّله الانسان قلعة بديعة منيعة لرد غارات الانسان، ثم تعاون الانسان والزمان على تدمير هذا البنيان الذي ليس كمثله بنيان، ولكنهما عجزا عن الإجهاز عليه لعجزهما من التمام فبقيت هذه البقايا الهائلة الخالدة تُحدث بذلك الفخر إلى ما شاء الله وتقول للمعتبر: هذه آثارهم فأين آثار من ورث الارض بعدهم؟

(١) الموافق سنة ١٩١٨.

إن كانت هذه الآثار تدعو إلى العجب العجاب فالأعجب في نظري أنني رأيت عربياً عارفاً بما فيها من الدقائق مرشداً لما حوته من الحقائق خبيراً بأسرارها مطلعاً على رمزها وهو ميخائيل أفندي ألوف فأحببت التنويه باسمه راجياً كثرة المحتذين على مثاله المهتدين بآثاره وما ذلك على همة أبناء العرب بعزيز لو أرادوا، فهل هم يريدون؟

احمد زكي في ٦ كانون الثاني ١٩٠٨

كلمة شاعر القطرين:

يـا فـتـى بعلبك اول مـن وفـى   بـتـاريـخـه حـقــوق عـلاهـا
لـك فـضـل الـمـبـدي المعيد   بإحيائك آثـارهـا وكشف حلاها

خليل المطران في ١ تشرين ١ سنة ١٩٢٤

نص اسم كاتبه غير واضح[1]: «تمثلت أمام عيوننا خرب كثيرة مصغرة ترسل عليها الشمس أشعتها فتكسوها غشاءً ذهبياً وهي تخدر إلى الغرب مودعة للشرق مغادرة قمم الجبال لتسبح في البحر وتغيب فيه، فقال أدلاؤنا مشيرين إلى تلك الاطلال وصرخوا هاتفين: بعلبك... بعلبك!

إن هاتيك الاطلال الجبارة هي معجزة الصحراء وملكتها بعلبك الساحرة، التي بُعثت من قبرها المجهول لتخبرنا بأخبار العصور التي ضيّع التاريخ ذكرياتها، فلما دنونا من تلك الهياكل العظيمة العجيبة ذُهلنا وصمتنا امام السحر المنبعث من اطوادها الساحقة وتجاه المحبّب أو الاعبل و (الكرانيت) الملوّن بين أحمر وأشهر والرخام الناصع البياض والاحجار الصفراء والأعمدة الضخمة المشعثة والتماثيل الملقاة على الغبراء ممتزج بعضها ببعض كحمم بركان تقيأ بقايا دولة عظيمة الشأن.

ولما خيّم الغسق صعد القمر في ذلك الافق الصافي وكان يطل علينا بأشعته من خلال

(١) يظهر من الكلمات المقروءة أن كاتبها رحالة أجنبي لكن اسمه غير واضح، وقد تولى المعلوف تعريبها (المحقّق).

شقوق جدران عظيمة من الحجارة البيضاء. وثقوب شرفة عربية تشرف على الصحراء. فاستولى علينا عندئذ ذهول عجيب واستسلمنا إلى أحلام بعيدة أمام تمثال لأفكارنا في تلك الآونة الذي يقلب بطناً لظهر كل تكهناتنا في التاريخ وفلسفاتنا في حياة البشر لأن الله وحده هو العليم بها...» (أ. هـ).

ذكر الشمس النواجي في كتابه (الحجة في سرقات ابن حجة) الحموي القاضي فتح الدين ابن الشهيد قال:

ولقد أتيت لبعلبك فساقني   عين بها روض النعيم منعّمُ
فلأهلها من أجلها أنا مكرمٌ   ولأجل عين ألف عين تُكرمُ

فأخذه معاصره ابن حجة الحموي وقال:

وإكرام احداق الحدائق منشداً   لعينٍ تجازى ألف عين وتكرمُ

وقال ابن حجة الحموي في بعلبك مورّيا برأس العين:

ولما نزلنا بعلبك تفكّهت   عيوني ولا وافي وصلت على البينِ
وطالبتها يوماً برؤية وجهها   وخضرته قالت على الرأس و(العينِ)

و(...): في رأس العين بالعراق:

سأسرع نحو رأس العين خطوي   وأقصدها على رأسي وعيني

وقال الشيخ عبد الغني النابلسي في كتابه «التحفة النابلسية في الرحلة الطرابلسية»[1] وهي رحلته إلى طرابلس الشام بدعوة من حاكمها ارسلان باشا وبطلب علمائها فسار اليها ١١١٢ هـ/ [١٧٠٠] أي بعد سبع سنوات من رحلته الأولى فقال في البقاع:

سلام على الوادي بساحة لبنان   وما قد حوى من أهل روح وريحانِ

(١) المخطوط في مكتبتي (المؤلف). وقد قام بتحقيقه تحت العنوان نفسه المستشرق الألماني هربرت بوسيه في بيروت عام ١٩٧٠، وبدوره حقق صلاح الدين المنجد «حلة الأبريز في رحلة بعلبك والبقاع العزيز» ونشرهما المعهد الألماني للأبحاث الشرقية تحت عنوان «رحلتان إلى لبنان» عام ١٩٧٩ (المحقّق).

سلام على أرض البقاع التي زهت   بأسرار قوم أهل جود واحسانِ
فكم من ولي بل نبي بسفحه   على قبره تبدو لوامع اتقان
إلى أن نزلنا قبالة كامل   وذاك ابن يعقوب المعالي وذو الشان
على ذلك الوادي الذي ماؤه جرى   به الشمس قد أبدت سبائك عقيانِ
خرير له قد راقنا صوت جنكه   وقد غنت الأطيار فيه بعيدانِ
وكم من نسيم مرَّ فيه مهيمناً   عليه بأنفاس كأنفاس هيمانِ
وقد شغرت فيه وظائف همّنا   بمشغرة فيها السرور لنا داني
إلى جبل عالٍ صعدنا فساقنا   صفاء مياه فيه تجري بغدرانِ
وبتنا كمثل النسر بات بشاهق   من الجو والاشجار ثمّ جناحانِ

ومدح الشيخ عبد الغني النابلسي في رحلته إلى بقاع العزيز رأس العين في بعلبك واسمعه الشيخ عبد الرحمن التاجي الخطيب ببعلبك المحروسة قول بعض المتأخرين:

برأس العين قرّ العين وأنزل   فرأس العين في كل عين
تقول لمن يناظرها افتخاراً   أنا الفردوس بين الجنتين

وقد أراد بالجنتين الربوة واللبوة. وله [النابلسي] أيضاً:

فخرت بعلبك في راس عين   ثم قالت تزهو بحسن ورين
كم رؤوس وكم عيون ولكن   ليس في الناس مثل رأسي وعيني

وقال النابلسي في رحلته الطرابلسية وقد دعاه اليها مصطفى باشا:

دعاني لراس العين رأس ذوي العلى   وعين ذوي الاكرام من غير ما مين
فقمنا لراس العين نمشي كرامة   وشوقا لرؤياه على الرأس والعين

وقال بعضهم معرِّضا بالشيخ ابي العباس احمد البقاعي المتوفي ١١١٠هـ/ [1]:

سألت خدينا للبقاعي واقعاً   به قلت من أي البلاد اخا الجهل
رفيقك من تل الذنوب فقال لا   ولكنه والله يا سائلي بعلي

(١) الموافق سنة ١٦٩٨.

ولما قدم زين الدين البصروي بعلبك أنشد في رأس العين:

تقول بعلبك الفيحاء لمّا   أتيت لدوحها من بعد بينِ
إذا افتخرت دمشق الشام يوماً   بمرجتها أتيت لها بعيني

وجاء بعلبك الشيخ عبد الرحمن سلام مصطافاً فلم يجد بيتاً له فجاء المحطة ليركب القطار راجعاً إلى بيروت أو مصطافاً في غير بعلبك فجاء بعض البعلبكيين لتشييعه فقال لهم:

أتيت لبعلبك ومن أتاها   رأى بديارها أمراً عجيبا
كأن بيوتها أبيات شعري   فلا حشو تضم ولا غريبا

وقال المرحوم الدكتور شاكر بك الخوري:

في بعلبك عروس   يزورها كل آتي
وهي على رأس عينٍ   لا أنسها للممات

وقال جبرائيل نصار المحامي:

يا بعلبك وكم صبرت على   مضض الخطوب وصولة المحن
تطوي القرون وأنت خالدة   غرّاء بادية على الزمن

وعارضه قيصر المعلوف وعارضه كذلك شبلي بك الملاط بقوله:

يا بعلبك وثنك معجزة   نطقت بحول الشمس والوثن...

وقال فتح الله ابن الشهيد مضمناً المثل السائر:

ولقد مررت ببعلبك فساقني   عين بها ماء النعيم مقسّم
فلأهلها من أجلها أنا مكرم   ولأجل عين ألف عين تُكرم

وللأمير حسن الخالدي قوله:

مثل ارم وجلّق   في الأرض ليس يخلق
ولا كرأس عين   والمسجد المعلّق

وله أيضاً:

لكعبة رأس العين زوروا تشاهدوا   مقاماً به أهل الصفاء صفوف
بمرجتها لله بيت معلّق   حواليه يسقى ماؤها ويطوف

وأراد بالمسجد المعلق الذي في رأس العين وتدور المياه حواليه.

وقال الشيخ علاء الدين الوادعي مشيراً إلى رأس العين في بعلبك من قصيدة (خزانة ابن حجة ص. ٢٨٠):

يا حادي الأظعان إن شارفت   من بعلبك سفح لبنانه
فاقرأ تحياتي على نازل   في محجر العين كإنسانه

وقال ابن قرناص الحموي في رأس العين ببعلبك:

فديت بنفسي رأس عين وما بها   وبيض السواقي حول زرق سواقيها
إذا راقني منها جواري اعينٍ   أراق دمي منها عيون جواريها

وقال نابغة بني شيبان في سيره بأنحاء الشام:

أرقت وصاحبي ببعلبك   وأرقني الهموم مع التشكي
وكم من دونها من خرق تيه   ومن رمل ومن جبل ودكِّ
غشيت لها رسوماً دارسات   بأسفل لعلع من دون ارك
تغيّرها الرياح وكل غيث   له حبك رؤاه بعد حبك
وقفت بها ودمع العين يجري   تحادر لؤلؤ من ومهي سلك
ومن يسل الرسوم فلا تجبه   يحنّ كما حننت بها ويبكي

وقال إلياس بك فياض البيروتي في (عمّيق) التي كانت ليوسف سرسق والد نجيب بك بدعوة ولده نجيب فقال في نهرها:

نهر لعميّق لمّا إن وقفت به   راحت همومي غرقى في مجاريه
أجراه من مهجة الصخر الأصم لنا   عزم (النجيب) الذي لا عزم يحكيه
تسيل أمواهه صفواً بلا كدرٍ   كأنما هي تجري من مباديه

وقال مؤلفه عيسى اسكندر المعلوف لما زار بعلبك في صباه:

في بعلبك بدائع الآثار ... قامت تنافس أقدم الأعصار
أحجارها أسفار قوم قد مضوا ... فافهم معاني هذه الأسفار
إن لم تكن هذي حديداً ... فهي عندي مغنطيس جاذب الزوّار

وزارها [المعلوف نفسه] بعد ذلك على إثر تنظيف البعثة الالمانية لها سنة ١٨٩٩ فنظم فيها قصيدته الطويلة التي قال فيها بوصف حجر الحبلى:

وفي حجر الحبلى المعظم آية ... تقول انظروا كيف الحجارة تقطع
إذا كانت الحبلى تقوم بنقله ... فكيف الذي قامت به وهي ترضع

وقال أمين أفندي ناصيف كامله اللبناني سنة ١٩٢٢:

يا بعلبك غريبة الأجيال ... ويتيمة الأملاك والأقيال
لما رأيتك في العراء قتيلة ... مجتثة الأعضاء والأوصال
شاهدت كيف تبيد آثار الدنى ... وشهدت فيك مصارع الأبطال
وعلمت أن الله باق وحده ... كل يصير إلى فنا وزوالِ

ولقد ذكر بعلبك كثير من الشعراء وقرأت وأنا في دمشق ٢٢ أيار ١٩٢٢ للسيد محمد الهماني في مكتبة آل العزي، والمؤلف كان في دمشق في الرابع من القرن الثاني عشر أي نحو ١١٧٠ هـ/ [١٧٥٦م]، فكتب إلى القاضي جمال الدين بن غانم، وقد توجه من دمشق إلى بعلبك وطالت غيبته من قصيدة بليغة صحف فيها اسم خليل ومطلعها:

قرّ بك القلب الذي ... أبعدته وقرّ بك
يا نازحاً عن جلّق ... ونازلاً في بعلبك

وأجابه عليها ابن غانم بقصيدة لم أر فيها اسم بعلبك لأنقل منها. (راجع كتابي شحذ القريحة في المقطعات البليغة الفصيحة) وقفت على أحسن ما قيل في بعلبك قديماً وحديثاً تحت اسم بعلبك وقد نشرت في مجلة الحارس البيروتية المقاطيع في بعلبك. (أي المقطعات البليغة الفصيحة).

وقال مسعود أفندي سماحة اللبناني في الولايات المتحدة الأمريكية في بعلبك:

حيَّرتنا يا بعلبك وحرت ... آثارك الخلابة الآراء
لما بنوك رمى بنوك ستائراً ... أعيت قوافي الشعر والشعراء
مشت القرون وقد وقفت حياله ... ورأيت منها شدة ورخاء
فوصفت صامتة لنا مجد الأولى ... سلفوا فكنتِ وصحبة خرساء

[وقال شاعر القطرين خليل مطران في قصيدة له ما يلي][1]

خرائب الشام

إيهِ آثار بعْلبكّ سلامٌ ... بعد طول النوى وبعد المزارِ
ووقيتِ العفاءَ من عَرَصاتٍ ... مقوياتٍ أو أُهَّل بالفخارِ
خرَبٌ حارت البرية فيها ... فتنة السامعين والنظارِ
معجزات من البناءِ كبارٌ ... لأناسٍ ملء الزمان كبارِ
زادها الشيب حرمة وجلالاً ... توَّجتْها بهِ يد الإعصار
معبدٌ للأسرار قام ولكن ... صُنعهُ كان أعظمَ الأسرارِ
مثَّل القومُ كلَّ شيءٍ عجيب ... فيه تمثيلَ حكمةٍ واقتدارِ
صنعوا من جمادهِ ثمراً يجـ ... ـنى ولكن بالعقل والأبصار
وضروباً من كل زهر أنيق ... لم تفتها نضارة الأزهارِ
وشموساً مضيئة وشعاعاً ... باهرات لكنها من حجارِ
وطيوراً ذواهباً آيبات ... خالدات الغدوّ والابكارِ
وأُسوداً يخشى التحفُّز منها ... ويروع السكوتُ كالتزآرِ
عابسات الوجوه غير غضاب ... باديات الأنياب غير ضوارِ
في عرانينها دخانٌ مثارٌ ... وبألحاظها سيول شرارِ
تلك آياتهم وما برحت في ... كل آنٍ روائع الزوّارِ
ضمها كلها بديع نظام ... دق حتى كأنَّها في انتثارِ

(١) الزيادة هنا هدفها ربط نص القصيدة في سياق ما قيل في بعلبك.

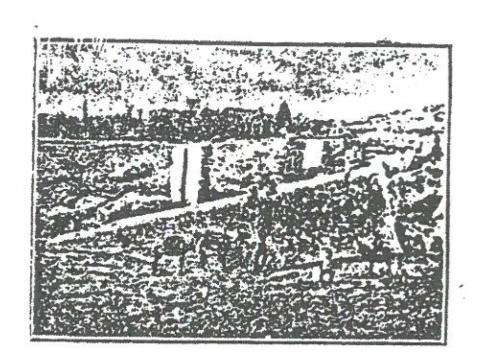
في مقام للحسن يعبد بعد الـ | عقل فيهِ والعقل بعد الباري
أهل فينيقيا سلام عليكم | يوم تفنى بقية الأدهارِ
لكم الأرض خالدين عليها | بعظيم الأعمال والآثارِ
خضتم البحر يوم كان عصيًّا | لم يسخَّرْ لقوة من بخارِ
غير صعب تخليد ذكر على الأر | ض لمن خلدوهُ فوق البحار
شيدوها للشمس دار صلاةٍ | وأتمَّ الإغريق حلي الدارِ

هذا ما نظمهُ الشاعر العصري خليل أفندي المطران من قصيدة عامرة الأبيات وصف فيها تلك الخرائب أبدع وصف وذهب فيها ما ذهب إليهِ غيرهُ من أن الفينيقيين بنوا قلعة بعلبك أو الدكة الكبيرة ذات الحجارة الضخمة ثم شاد اليونان الهيكل الكبير فوقها والهيكل الصغير إلى جانبه. وقد نُقِض هذا المذهب الآن وثبت أن الروم هم الذين بنوا الدكة والهيكلين.

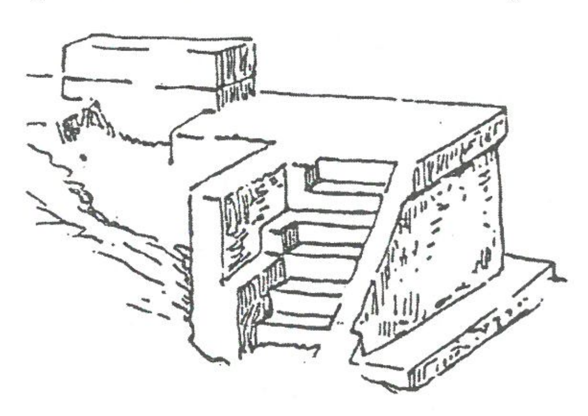
ولقد رأينا في ما شادهُ الأوروبيون في إيطاليا وفرنسا وما بقي من آثار المصريين في هذا القطر أبنيةً تُقارب أبنية بعلبكّ فخامة وتزيد عليها جمالاً ولكن ليس فيها بناءٌ يملأ العين دهشة والقلب سروراً ثم يحرّك عواطف النفس حتى تذرف الدموع الهوامل مثل أطلال بعلبك[1]. الفخامة في كبَر الحجارة والأعمدة واتساع البناء وعظمة كل ما فيهِ والجمال في بداعة النقش وانتساق[2] الأجزاءِ وأحكامها بعضها مع بعض على ما فيها من الفخامة ولكن الذي يحرّك الشجا ويقبض الناس بعد انبساطها ويفيض الدموع من المآقي فعل الدهر وأبنائهِ في تخريب تلك المباني وتدميرها.

(١) قال العلامة روبنصن إنها تفوق في اتساعها ودقة صنعها كل بناء في أوروبا وأفريقية وغربي آسيا فهي مثل مباني آسيا في دقة الصنعة ولكنها تفوقها في الفخامة والاتساع ومثل مباني مصر في الفخامة والاتساع ولكنها تفوقها في دقة الصناعة وجمالها. (المؤلِّف).

(٢) استعمل المؤلِّف الانتساق والصواب الإتساق (المحقِّق).



صورة لحجر الحبلي ومدينة بعلبك والطريق إليها مأخوذ من المؤلف في العشرينيات[1]



مخطط درج حجري

أو يصدّق أحد أن الولاة كانوا يكسرون العمود الذي تفتخر دولة من دول الأرض بنصب مثلهِ في ساحة عاصمتها لكي يستخرجوا منهُ قطعة من الحديد تربط بين أجزائه. هكذا كان حال بعلبك حينما زرناها أولاً منذ خمس وعشرين سنة وقد كتبنا في وصفها حينئذٍ كتابةً لا بأس بإعادة بعضها الآن وشفعه بما عُلِم بعد ذلك ما اكتشفهُ الألمانيون حديثاً إتماماً للفائدة فنقول:

بَعْلَبَكّ ويسميها اليونان هليوبوليس أي مدينة الشمس خرائب في الطرف الشمالي من سهل البقاع عند سفح لبنان الشرقي حيث الارتفاع عن سطح البحر نحو ٤٥٠٠ قدم. قال

(١) صورة بعيدة لقلعة بعلبك ويبدو في القسم الأقرب من الصورة جملان قرب حجر الحُبلي على طريق متجهة نحو القلعة. (المحقِّق).

بعضهم إن معنى اسمها بعل حاسبين بكّ مثل باكي المصرية ومعناها مدينة ولعلَّ ذلك سبب تسميتها هليوبوليس أي مدينة الشمس لأن المعبود بعل يراد بِهِ الشمس. ويرجح البعض أن معناها بعل البقاع فإن معنى بقاع بالعبرانية والفينيقية مثل معنى بقاع العربيَّة أي السهل بين جبلين[1].

رسم تخطيطي لقلعة بعلبك وأقسامها

والظاهر أن سكان سورية الأقدمين رأوا صخراً مرتفعاً في طرف سهل البقاع يطلُّ على ما حوله من البلاد الخصبة وتجري بقربِهِ مياه غزيرة فنحتوا فيهِ مذبحاً للشمس التي كانوا

(١) على هذه الصفحة في الأصل رسم إلى اليمين منه الحجارة الثلاثة والهيكل والكنيسة والرواق فيها قاعة من الصخر، كما هناك صورة للقلعة بما تضمنته من قاعات ومذبح وغيره (المحقّق).

يعبدونها. وقد بقي هذا المذبح إلى يومنا هذا وصورتهُ مرسومة في الشكل الأول يصعد إليهِ بدرج منحوت في الصخر. هناك كان يجتمع قدماء السوريين ويذبحون الذبائح للشمس ويشكرونها على الخيرات الكثيرة التي أنتجتها أرضهم بفضل نورها وحرها. وكأنهم علموا ما يعلمهُ حكماء هذا العصر وهو أن كل قوة في الأرض وما عليها للحركة والنماءِ آتية من نور الشمس وحرارتها، لكنهم أخطأُوا في شكرهم للشمس نفسها لا لمبدعها.

والظاهر أن هذا المعبد والبقعة التي هو فيها راقا للروم الذين فتحوا بلاد الشام وامتلكوها، فأقاموا حولهُ دكة كبيرة حتى يتَّسع لهم المجال لبناء هيكل كبير، ثم بنوا هيكلين فأتموا الصغير منهما وقبلما أتموا الكبير، انتشرت الديانة المسيحية واعتنقها قياصرة الروم ومنعوا عبادة الأصنام وبنوا كنيسة في دار الهيكل الكبير وحوَّلوا الصغير كنيسة أخرى وجاءَ العرب بعدهم فجعلوا المكان قلعة وبنوا من أنقاضه حصناً كما سيجيء.

ليلتفت القارئُ إلى الشكل الثاني فيرى على يمينه شكلاً مقطوعاً في وسطه رسم الصخر الذي نحت منهُ المذبح الأول وحول هذا الصخر أقيمت الدكة التي بني الهيكل عليها أخيراً - أقيمت حتى توازي أعلى المذبح، وجُعل في أطرافها أقبية كبيرة وثيقة البناء أقيمت جدران الهيكل وأعمدتهُ على جدرانها ثم بني حولها سور من الحجارة الضخمة لكي يسندها ويمنع تقوُّض أركانها. وفي الجانب الغربي من هذا السور الحجارة الثلاثة المشهورة طول أكبرها ٦٣ قدماً وطول ثانيه ٦٢ قدماً و١/٢ قدم وطول الثالث ٦٢ قدماً وعلو كلٍّ منها ١٣ قدماً وقد قطعت على الراجح من محجر يبعد عنها نحو ربع ساعة حيث لا يزال حجر طولهُ ٧١ قدماً وعلوهُ ١٤ قدماً وعرضهُ ١٣ قدماً يسمَّى حجر الحبلى وهو المرسوم في الشكل الثالث وإلى جانبهِ وفوقهِ رجال وجملان وثلاثة حمير ليظهر كبر حجمه بالنسبة إليها.

وفي الجانب الشمالي من هذا السور تسعة حجارة كبيرة طول كل منها ٣٠ قدماً وكان الجانب الجنوبي مطموراً فكشف وفيهِ حجارة كبيرة مثل هذه. وارتفاع الدكة خمسون قدماً وعليها بنى الرومان هيكلهم الكبير ثم بنى المسيحيون كنيستهم في دارهِ ويتضح ذلك جليًّا من النظر إلى الشكل الثاني ونتبع ما يلي من الشرح.

مَن يدخل الهيكل من الجهة الشرقية حيث الحرف (أ) يجد هناك رواقاً كبيراً طولهُ ١٨٠

قدماً وعرضهُ ٢٧ قدماً في كل طرف من طرفيهِ برج وكان أمام هذا الرواق من الجهة الشرقية درج يصعد بهِ إليه لأنهُ مرتفع عن سطح الأرض التي أمامهُ عشرين قدماً ولم يبقَ شيءٌ من هذا الدرج الآن وكان فوق الدرج اثنا عشر عموداً لم يبقَ منها إلاّ قواعدها وعلى قاعدتين منها كتابة لاتينيَّة قرأها السائحان وود ودوكنس منذ مئة وخمسين سنة مفادها أن الهيكل الكبير بناهُ أنطونيوس بيوس وجوليا دومنا (في أواسط القرن الثاني). والبرجان اللذان على طرفي هذا الرواق مبنيان بحجارة كبيرة طول بعضها ٢٤ قدماً وهي مزخرفة بالنقوش من الداخل والخارج وأمام كلّ منهما باب يوصل منهُ إلى الأقبية التي في الدكة.

وغربي الرواق البهو المسدَّس المدلول عليهِ بالحرف (ب) يوصل إليهِ بباب اتساعهُ ١٧ قدماً وعلى جانبيه بابان آخران اتساع كل منهما عشرة أقدام وعرض المسدَّس من الشرق إلى الغرب نحو ١٩٠ قدماً وطوله من الزاوية الشمالية إلى الزاوية الجنوبيَّة نحو ٢٥٠ قدماً وعلى دائرهِ أربع مقاصير قائمة الزوايا أمام كلّ منها أربعة أعمدة ومقاصير أخرى بينها. ونقوش هذا المسدَّس وزخارفه تدهش الأبصار وهي خربة متصدعة فكيف بها وقتما كانت عامرة سالمة؟

ويوصل من المسدَّس إلى دار الهيكل وهي المربع الكبير المدلول عليهِ بالحرف (ج). وبين المسدَّس والدار باب كبير عرضهُ خمسون قدماً على جانبيهِ بابان صغيران عرض كلٍّ منهما عشرة أقدام وطول الدار من الشرق إلى الغرب ٤٤٠ قدماً وعرضها من الشمال إلى الجنوب ٣٧٠ قدماً وحولها مقاصير ومحاريب للعبادة ونصب التماثيل وكان على دائرها أعمدة تحيط بها كما ترى في الرسم وفي المقاصير محارب كثيرة في طبقتين الواحدة فوق الأخرى لنصب التماثيل وبين المحراب والمحراب عمود أو أكثر من الشكل الكورنثي البديع الصنعة وأشكال المحاريب مختلفة فبعضها مقوَّس وبعضها صدفي وبعضها مقطوع من أعلاهُ، والظاهر أن الأعمدة التي كانت أمام هذه المقاصير والمحاريب كانت من المرمر السماقي المصري لأن بعضها لا يزال مطروحاً هناك وقطر واحد منها نحو ثلاثة أقدام.

لما زرنا بعلبك منذ خمس وعشرين سنة، كانت هذه الدار مملوءة بالأنقاض لا يعرف ما كان قائماً فيها وقد قلنا حينئذ «إن في وسطها قطعة مربعة من الأرض أرفع من أرضها

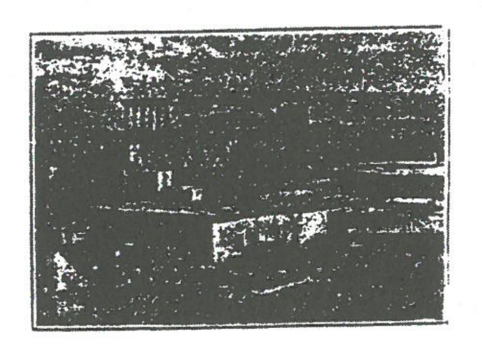
يسيراً عليها أثر البناء والظاهر أنها كانت هيكلاً أو نحوه. وهناك كان أكثر من نقب الباحثين الألمان بأمر من الامبراطور فوجدوا آثار كنيسة قديمة طولها من الشرق إلى الغرب نحو ٢٣٠ قدماً وعرضها من الشمال إلى الجنوب ١٢٠ قدماً كما ترى في الشكل الثاني وكان في وسطها حيث الحرف (د) مذبح كبير طوله نحو ٢٨ متراً والى جانبه الشرقي المذبح القديم المنحوت في الصخر والى يمينه ويساره حيث الحرفان (هـ هـ) حوضان كبيران لغسل الذبائح أو للتطهير جوانبهما كثيرة النقوش والزخرفة فيها الاكاليل وقلائد الأزهار ورؤوس البشر والثيران والآلهة والحيتان والظاهر أنهما أقدم من الكنيسة. والكنيسة تشبه في شكلها وبنائها كنيسة الامبراطور قسطنطين في القدس الشريف والظاهر أنها بنيت معها في زمن واحد وأن العرب هدموها إن لم تكن قد هدمت بزلزلة وبنوا مكانها حمّاما.

وغربي الكنيسة الهيكل الكبير حيث هيكل الشمس أو هيكل جميع الآلهة وهو قائم على الدكة الصناعية المشار إليها آنفاً وفي جدران سورها الحجارة الكبيرة حيث الحرف (ر) وحجارة أصغر منها حيث الحرفان (ز ز). وقد كان هذا الهيكل من من أكبر الهياكل المسكونة وأجملها، ولكن لم يبقَ منه الآن إلا ستة أعمدة قائمة تنطح السحاب صبرت على نائبات النوازل وعصت على غائلات الزلازل وهي النقط السوداء في الرسم إلى الجهة الجنوبية من الهيكل وهي أول ما يظهر من بعلبك عن بعد كما ترى في الشكل الرابع. وكان طول هذا الهيكل ٢٩٠ قدما وعرضه ١٦٠ قدماً يحيط به اربعة وخمسون عمودا لم يبق قائماً غير هذه الستة علو كل منها ٦٢ قدماً وفوقه افريز ارتفاعه ١٤ قدماً ونقوش هذا الافريز وتيجان الأعمدة مما يعجز عن وصفه قلم البليغ وأعجب من ذلك تحكيم وضعها على ضخامة جرمها[1] وعظيم ثقلها والارتفاع الشاهق الذي رفعت إليه والعمود ثلاث قطع متصلة بعضها ببعض اتصالاً متيناً بقطعة أو قطعتين من الحديد وهو الذي جنى عليها فكُسرت لكي يؤخذ.

هذا من حيث الهيكل الكبير، أما الهيكل الصغير، فهو المدلول عليهِ بالحرف (ح) في الشكل الثاني إلى الجنوب من الهيكل الكبير ولم يزل قائماً وهو من الطراز الكورنثي مثل الهيكل الكبير طولهُ مع رواق الأعمدة الذي حولهُ ٢٢٥ قدماً وعرضهُ ١٢٠ قدماً وطول البناء

(١) الجرم هو الحجم، وهو مصطلح قديم منتشر في الكتب القديمة (المحقّق).

من غير الأعمدة ١٦٠ قدماً وعرضهُ ٨٥ قدماً وكان يرقى إليهِ من جهتهِ الشرقية بسلَّم فيها ٣٠ درجة بقيت إلى عهد السائح دلاروك الذي زارهُ سنة ١٦٨٨. والأعمدة التي حولهُ ١٥ من الشمال و١٥ من الجنوب وثمانية من الغرب وكان في الشرق صفان من الأعمدة الداخلي منهما مضلَّع وقطر كل عمود من أعمدته ستة أقدام وعقدتان وطولهُ ٤٦ قدماً وقد سقط أكثرها ولم يبقَ منها الآن قائماً إلاَّ ما تدلُّ عليهِ النقط في الرسم والعمود الجنوبي منها سقط منذ أمد بعيد واستند إلى الجدار ولا يزال كذلك حتى الآن ولا تزال الأعمدة الشمالية قائمة وكذلك السقف الذي بينها وبين جدار الهيكل بما فيهِ من نقوش الأزهار وأوراق الأشجار والتماثيل الجميلة الصورة. وباب هذا الهيكل من عجائب المباني بنقوشه وعتبتهُ ثلاثة حجارة كبيرة انقضَّ الأوسط منها حتى كاد يسقط فدعم ببناء قبيح المنظر أزالهُ الباحثون الألمانيون الآن وردُّوا الحجر إلى وضعهِ الأول. وعند الحرف (ط) البناءُ العربي وهو حَسَن في غير هذا المكان لكنهُ قبيح هنا بالنسبة إلى ما حولهُ، والظاهر أن الباحثين سيزيلونهُ ويزيلون كل بناء جدَّ هناك بعد بناء الرومان.



صورة عن بُعد لقلعة بعلبك

وقد بنيت بعلبك في أوائل التاريخ المسيحي وكانت في القرن الرابع من أعظم معاهد الديانة الوثنيَّة هيكلها الكبير لعبادة الشمس أو جميع الآلهة، وهيكلها الصغير لعبادة المشتري، وضربت فيها النقود وعليها صورة الهيكلين. وكان لعبادة الشمس الشأن العظيم في سورية ولكهنتها المقام الرفيع حتى إن الإمبراطور سبتيموس سفروس تزوج جوليا دومنا ابنة كاهن الشمس في حمص، ومعلوم أن هليوجبلوس الحمصي كاهن الشمس، صار إمبراطوراً لرومية وقرن السوريون عبادة الزهرة بعبادة الشمس، وكانوا يأتون بعلبك لهذه

الغاية لأن فيها هيكلاً صغيراً للزهرة، وهو من أجمل المباني القديمة وسنعود إلى وصفهِ في وقت آخر، ولذلك كان أهالي بعلبك في أشد الحمَس الديني حتى إنهم قتلوا جلاسينوس الممثل سنة ٢٩٧ للميلاد لأنه تنصَّر وأبى أن يمثل في المشهد.

ثم لما قوي شأن النصرانية في عهد الملك قسطنطين، خرب هيكل الزهرة في أفقا بجبل لبنان، وأمرَ أن يقلع أهالي بعلبك عن فظائع الديانة الوثنية لأن النساء والبنات كن يعرضنَ للبغاء في عبادة الزهرة، وأن يُرغَّبوا في اعتناق الديانة المسيحية، وبنى كنيستهُ المشار إليها آنفاً في دار الهيكل، الكبير أو حوَّل الهيكل كنيسة وسام لها أسقفاً وشمامسة، ولكن بقيت عبادة الأصنام في المدينة لأنها كانت أرسخ من أن تزول سريعاً.

ثم لما قام الإمبراطور يوليان المرتد سنة ٣٦١، أعاد الديانة الوثنية إلى عزها الأول وفتك أهلها بالمسيحيين فتكاً ذريعاً في بعلبك، وقتلوا الراهب كيرلُّس الذي كسر أصنامهم وقطعوهُ إرباً وأكلوا كبدهُ ونفي المسيحيون من الاسكندرية إلى بعلبك، حيث لا يجدون مسيحيين غيرهم يهتمون بأمرهم.

وقام الإمبراطور ثيودوسيوس الكبير سنة ٣٧٩ فلم يكتفِ بما فعلهُ قسطنطين من إقفال هياكل الأصنام بل خرَّبها تخريباً وحوَّل هيكل الشمس في بعلبك إلى كنيسة، والظاهر أن دعائم الوثنية تقوَّضت من بعلبك من ذلك الحين.

ولما فتح أبو عبيدة بن الجراح دمشق وقصد مدينة حمص، مرَّ على بعلبك، ولما قرب منها، التقى بقافلة عظيمة فيها جمع من الناس معهم البغال والدواب وعليها من أنواع التجارات أكثرها من السكَّر والفستق والتين فغنمها، وحاصر بعلبك، فصالحهُ أهلها على ألفي أوقية من الذهب وألفي أوقية من الفضَّة وألفي ثوب من الديباج وخمسة آلاف سيف وعلى أن يدفعوا خراج الأرض تلك السنة ويؤَدوا الجزية كل عام لكنهم شرطوا على أبي عبيدة أن لا يدخل عاملهُ المدينة وتم الصلح على ذلك واستعمل أبو عبيدة على المدينة رافع بن عبد الله السهمي وضمَّ إليه تسعمائة فارس، فأقام خارج المدينة وجعل يغزو البلاد المجاورة ويعود بالغنائم ويبيعها من أهل المدينة، فأنسوا إليه وأدخلوهُ مدينتهم، فحصَّن هيكلها ومن ثم صار قلعة للمسلمين.

وفتح القرامطة بعلبك سنة ٢٩٠ للهجرة[1] وقتلوا أهلها ولم يبقوا منهم إلاّ القليل. ثم تناوبتها الحروب والزلازل والسيول وأيدي التدمير والتخريب كما تناوبت غيرها من مدائن الشام فلم تبقِ منها إلاّ آثار عظمتها السالفة.

وزارها بلون السائح الفرنسوي سنة ١٥٤٨ فرأى هيكلها الكبير لا يزال قلعة وكانت أعمدته القائمة تسعة ثم وقع منها ثلاثة بالزلزلة التي حدثت سنة ١٧٥٩ وكانت أعمدة الهيكل الصغير القائمة ٢٩ فوقع منها تسعة وتخلخل الحجر الأوسط من عتب بابه. والدهر يفجع بعد العين بالأثر.

لوكندة رأس العين أو الخوام كانت قد بناها قنصل ألمانية لوتكي على إثر قدوم البعثة الألمانية لحفر القلعة وتنظيفها في بعلبك وكانت تنقل إليها الصناديق المملوءة آثاراً نفيسة، مما ظهر لهم في الحفر، وتنقل إلى متحف برلين سراً، ولما ذهبت البعثة ابتاع اللوكندة يوسف الخوام وزاد في أبنيتها وموقعها على رابية بين غابات الأرز البري (الأبهل) وغيرها من الأشجار.

وإلى الغرب الشمالي من أوتيل رأس العين على تلة، مقبرة لا تزال جدرانها المخططة قديماً قائمة على علو قليل بحجارة كبيرة وهي ثلاث طبقات أشبه بجلول التوت بلبنان أي كل طبقة ترتفع قليلاً عن الأخرى بطول نحو مائتي متر وعرض مثلها فتكاد تكون مربعة، وفي أعلى هذه الجدران في أول الطبقة العليا منها في وسط الساحة ناووس حجري سكري عليه هذا الرسم:

(١) الموافق ٩٧١م، والقرامطة إحدى الفرق الإسلامية التي ظهرت في القرن الثالث للهجرة / التاسع للميلاد، وكانت بدايتها في منطقة السواد بالعراق ومنها نحو الكوفة، وما لبث أن توسعت نحو باقي الأنحاء في الدولة العباسية، ولاسيما بلاد الشام والبحرين وطريق مكة وغيرها. وقد أنهكت ثورة هؤلاء مع ثورات سواهم الدولة العباسية في عهدها الثاني، وفرضت عليها حروباً شبه متواصلة، راجع: الطبري، ج.١٠، ص. ٩٩، والكامل في التاريخ، ج. ٦، ١١٦ وغيرهما (المحقق).

وقربه غطاء مسنّم آخر أقصر من الأول.

وقد ظهرت في حفر بعض أقسام المقبرة.

وأمام باب أوتيل الخوام المذكورة بعض تيجان أعمدة منقوشة وقطعة من عمود صواني نقلت من القلعة أيام لوتيكي القنصل[1].

وقد نقلنا الشكل الأوّل والثاني من أشكال هذه المقالة عن نبذة كتبها الدكتور ألفرد بلس في نشرة جمعية النقب في فلسطين[2].

(١) وردت قبلًا لوتكي ثم وردت الآن لوتيكي كما في الأصل (المحقّق).

(٢) صدر هذا المقال في مجلة المقتطف، يونيو/ حزيران، ١٩٠٢ من الصفحات ٥٦١ – ٥٦٧ (المحقِّق).

الفصل العاشر

حكام سورية المجوّفة (حكامها القدماء)

قال مسبرو الفرنسي في تاريخه (شعوب المشرق) ص ٢٢٣: وعلى ما في الكتاب المقدس يكون يربعام قد افتتح مؤاب وعمون وكيلو سورية ودمشق وحماة.

وقال مسبرو أيضاً في صفحة ٥٠٠: وسرجون في آخر حياته اقتفى أثر تغلت فلاسر[١] بوضع نوَّاب من قبله على الشعوب التي استولى عليها أي خضعت له بواسطة ملوكها. فوضع ولاة أشوريين علاقتهم رأساً في عرش نينوى في سورية الشمالية وإسرائيل وكيلي سورية أي إنه كان والي سورية المجوّفة أشورياً فصارت مثل مقاطعات أشورية وبعدت سلالات ملوكها ولكنه ترك حولها على الحدود وبعض ممالك صغيرة لتكون أشبه بحصن يساعدهُ على القتال عند الحاجة (أ. هـ).

وقال في صفحة ٥٦١ ما فيه إشارة إلى قدم وجود الأعجام في سورية المعروفين بالمتاولة: ولما اجتاح سرجون بلاد ماري وفارس اقتفى أثر أسلافه الملوك الأشوريين فجلا قسماً من المارين ونقلهم من شرقي مملكته إلى غربها أي إلى حماة وسورية المجوّفة ووزع في بلاد ماري (بلاد الفرس) المستعمرات السورية (أ. هـ).

---

(١) تغلت فلاسر لتي - إبلي - أشارا الثالث هذا هو اسمه الكامل، ويعني بالأكادية « توكلي على ابن العشيرة». من ملوك آشور حكم الدولة من ٧٤٥ إلى ٧٢٧ ق. م، ونجح في تحويلها إلى قوة دولية من خلال السيطرة على المنطقة الممتدة من الخليج العربي إلى سيناء بما فيها بلاد الشام. مروراً بالعراق، قسّم مناطق سيطرته إلى ولايات وعمل على تطبيق سياسة توطين إجبارية طاولت الآشوريين أنفسهم وسواهم من الشعوب، ورد اسمه في التوراة، راجع الموسوعة المسيحية العربية الالكترونية وويكيبيديا (المحقّق).

(حكام سورية المجوّفة)

اليونان: خلفاء الاسكندر بعد موت الاسكندر اقتسم قواده الممالك فكان لاوميدون في سورية وفينيقية في أوائل القرن الرابع قبل الميلاد وحصلت بينهم منازعات جمة.

دبس ٩٤:٣ سنة ٣١٤ ق.م دخلت سورية في حوزة أنتيكون فمنع المصريين من الدخول إلى سورية وجرت بينهم حروب وملك سورية المجوفة. ثم زحف بتلمايس إلى فلسطين وفينيقية وسورية المجوفة فاستحوذ عليها ما عدا صور وصيدا فحاصرهما وحارب أنتيكون بمواقع كثيرة.

سنة ٣١١ ق. م عادت فينيقية وفلسطين وسورية المجوفة إلى ولاية أنتيغون (أنتيكون) وعاد لحرب بتلمايس فاندحر أنتيكون بمهاجمته لمصر.

وسنة ٣٠٤ ق. م انتهز بتلمايس فرصة غيبوبة [غياب] أنتيكون وابنه ديمتريوس عن سورية فحمل عليها واسترجع فينيقية واليهودية وسورية المجوفة ما عدا صور وصيدا. ثم بقيتا في يد ملك مصر.

وسنة ٢٢١ ق. م سار أنطيوخوس الثالث بفريق من الجيش نحو سورية المجوفة ليستردها من ملك مصر. وانتهى إلى السهول الواقعة بين اللبنانين الغربي والشرقي فوجد ثيودوت والي سورية المجوّفة من قبل بتلمايس قد حصّن معابر الجبلية فيئس الملك من العبور بين تلك الحصون فعاد القهقرى وعقد مجلساً حربياً وتقلبت الحال طويلاً حتى عقدت هدنة بينهما وبقيت سورية المجوّفة لبتلمايوس حتى موته سنة ٢٠٤ ق. م فصارت لأنطيوخوس، ولما خشي بأس الرومان صاهر بتلمايس أبفيان بابنته كليوبطرة وتخلى عن سورية المجوّفة وفلسطين مهراً لها على شرط أن يبقى له نصف دخل هذه الأعمال فكان ذلك وبالاً عليه لأن ابنته آثرت خير زوجها على أبيها.

ذكر ابن عساكر (٣٨٥:٥) أن زنكي بن امشنقر أبو المظفر التركي المعروف بأبي قسيم الدولة المتوفى سنة ٥٤١ (هـ) (م)[1] قتيلاً كان ملك بعلبك وغيرها من البلاد الشامية

(١) الموافق سنة ١١٤٦.

والجزيرية واسترجع كثيراً من الحصون الفرنجية وبلادهم مثل المعرة وكفر طاب وتل بارين وفتح مدينة الرها واشتهر بمقاومته ملك الروم في حصار حصن شيزر وأسر عدة من أبطال العدو وكان شهماً صارماً (أ. هـ).

بعد أن تعاقب على سكن هذه السهول والأودية كثير من القدماء، كانت الأُسر الحورانية والسورية الأصل من الشمال والأعجام أو الفرس (ومنهم المتاولة) أي الشيعيون والعرب السنيون مثل بني كلب وبني ثعلب أو تغلب قد استعمروا سهل بعلبك والبقاعين واتصل به الدروز أيضاً من لبنان ووادي التيم فنزلوهُ منذ قرون وكذلك جاءَته الأُسر الصليبية فغصت هذه الضواحي بأولئك الأقوام وتنازعه الإقطاعيُّون وكثرت بين حكامهم ومن يجاورهم من الحكام العداوات والمشاحنات فجرت في ضواحي هذا الوادي المجوَّف أهم المواقع بين أقدم سكانها الآراميين والحثيين والأيطوريين والمصريين والآشوريين والكلدان والفرس والسلوقيين خلفاء الاسكندر المكدوني والرومانيين ومن جاءَ بعدهم حتى إن بومبي القائد الروماني العظيم لما جاءَ دمشق ونزل في سهل البقاع وفدت عليه سفراء سورية ومصر واليهودية تحمل الهدايا الفاخرة وتطلب منه أن يفضَّ بعض مشاكلهم وهكذا قل عن أحدث سكانها.

وكثيراً ما كان هذا السهل ومرتفعاته المحدقة به إقطاعات بزمن الملوك حتى إنه كان أحياناً مهراً (بائنة أو دوطة) ولا سيما بزمن المصريين والسلوقيين والرومانيين والأيوبيين والصليبيين والعرب والعثمانيين وأقطعه الملك الصالح أيوب الأمير عامراً الشهابي لما تغلب على الإفرنج فأنشأ فيه عقاراتٍ ومنازل فخيمة واشتهر به إذ ذاك جندل البقاعي.

ولما اجتاح المغول والتتر سورية في أثناء القرنين الثالث عشر والرابع عشر للميلاد فما بعد، دمَّروا هذه الجهات فهرب سكانها ورغبوا في سكنى الجبال العالية الصعبة وأصبحت بلاد التيم والبقاع قاعاً صفصفاً إلّا حاصبيا وخربت مدن وقرى كثيرة وعفت آثارها.

سنة ٥٤٠ (هـ) (م)[1] ذكر الفوطي البغدادي في كتابه (مجمع الآداب) المخطوط ما نصَّه: فخر الدولة أبو الفتح يحيى بن أبي العساكر سلطان بن منقذ الكناني الشيزري الأمير

(١) الموافق سنة ١١٤٥.

الأديب من بيت الرئاسة والحكم والفروسية والإمارة وقد ذكرنا جماعة من أهله. وذكرهُ عماد الدين الكاتب في كتاب (خريدة القصر وجريدة أهل العصر) وقال: وذكرهُ لي عضد الدين مرهف بن أسامة وأطنب في وصفه وشجاعته. وذكر أن فخر الدين يحي (قُتِل) على بعلبك في سنة أربعين وخمسمائة[1]. ومن شعره يطلب رمحاً من أبيه:

يا خير قوم لم يزل مجدهم ... في صفحات الدهر مسطورا
عبدك يبغي أكراً ذكرهُ ... ما زال بين الناس مذكورا
يسدَّد والجور من شانهِ ... إن نال وتراً صار موتورا[2]
فإن تفضلت به عاد........ ....

الأمير منصور بن الفريخ البدوي: كان أمير البقاع العزيز بعد أولاد الحنش وهو بدوي وكان في أول أمره يتكسب بالرجادة ثم صار أميراً صارماً على قطاع الطرق والمفسدين. ثم ولي حكومة البقاع ونابلس وصفد وعجلون سنة ٩٨٨ هـ (١٥٨٩م) ونكّل بالدروز واستقدم إليهم إبراهيم باشا سنة ٩٩٨.

وعمَّر عمارات عظيمة في قب الياس (البقاع) ودمشق ونقل الحجارة إلى هذه من البقاع وأمَّن الطرقات وقتل سنة ١٠٠٢ هـ (١٥٩٤م) في دمشق وخلَّف عشرة أولاد أكبرهم قرقماس الظالم العسوف كان عند قتل والده مقيماً ببوارش فوق المريجات في سفح جبل الكنيسة فأرسل مراد باشا إلى الأمير فخر الدين المعني حاكم لبنان أن يقبض عليه ففرَّ ومعه مائة بندقاني (تفكجي)[3] فنَهَبوا بيوته وأحرقوها وقتلوا ونقلوا محاسنها إلى قب إلياس (أو قبر الياس) وأخبروا مراد باشا بهرب قرقماس إلى الأمير ابن سيفا في كسروان (لبنان)

(١) الموافق سنة ١١٤٥م.
(٢) الأبيات الباقية غير واضحة في الأصل (المحقق).
ويكتب المعلوف أن البيت الأخير مكسور (المؤلف).
(٣) تفكجي مصطلح تركي يطلق على صنف من العسكر، واحدهم تفنكجي أو تفكجي. وهم من جنود المشاة المسلحين ببنادق، ويلقب قائد وحدتهم تفكجي باشي أو توفكجي، راجع: موسوعة المصطلحات التاريخية العثمانية، مصدر سابق، ص ٨٧ (المحقق).

لأنه من أعوانه وأنصارهِ وهو ضد المعنيّ ثمَّ ما زالت الحكومة تسعى به وتتأثرهُ إلى أن قتل على يد الأمير موسى بن الحرفوش بمواطأة الأمير فخر الدين المعني نحو سنة ١٠٠٣ هـ. (١٥٩٤ م).

قال النجم الغزي في الكواكب السائرة ما أنقله: منصور بن الفرنج (الفريخ) البدوي أمير البقاع العزيز بعد أولاد الحنش كان في أول أمره بدوياً من عرب تلك البلاد وكان يتكسب بالرجادة... ثم انتهى إلى أن حاز الإمارة وتظاهر بقتل المناحيس وأهل الزعارة والشطارة وكان يبغض اللصوص قبض عليهم بالقتل والتمثيل وكان يحب أهل الشجاعة حتى عَظُم أمره فولي حكم البقاع ثم أعطي صنجقية نابلوس وانحاز إليه جماعة من الينكجرية وكان له منهم شراقات (أي محاسيب) ومن اللاوندية وأخاف الدروز ثم شن الغارات عليهم. وكان هو السبب في قصد إبراهيم باشا أحد الوزراء في زمن السلطان مراد خان إليهم. وقد جاء من نيابة مصر ثم كان قيدومه[1] ودستورهُ حتى أثر منهم وقتل منهم مقتلة عظيمة واختفى أميرهم الأمير قرقماس بن معن حتى مات في اختفائه. ثم صار أمير الحاج الشامي في سنة ٩٩٨ هـ (الموافقة م)[2] وفي التي بعدها ٩٩٩ هـ (م)[3].

ثم إن مراد باشا لما ولي نيابة الشام طلع من صيداء في سنة ١٠٠١ هـ (م)[4] ابن معن بالخدمة سنية وأطعمه بكل جزئية وكلية فعمل مراد باشا على قبض الأمير منصور بن الفريخ (في الأصل الفرنج) وهو آمن له بعد أن أمرهُ بضيافة له في بيت الذي ابتناهُ ثم اعتذر عن

(١) القيدوم هو الشجاع بالعامية، ولكن المؤلِّف هنا يستعمل الكلمة بمعنى المبدأ أو النهج (المحقِّق).
(٢) الموافق ١٥٨٩. وكانت مهمة أمير الحج تناط بأمير من أمراء الأسرة المالكة، ومراراً كان الخلفاء أنفسهم يتولونها ويحملون خلالها اسم أمير الحج. ومسؤولية الأمير قيادة جموع الحجيج إلى مكة والمدينة لقضاء المناسك والعودة بهم سالمين. وفي العهود المتأخرة كان يتولى هذه المهمة أحد الأمراء باسم السلطان، وكان مؤتمناً على أرواح وأموال الحجيج من هجمات الأعراب الذين يعمدون إلى مهاجمة القوافل في حال لم تُدفع لهم الأتاوات خلال مرور القوافل في مناطق نفوذهم. راجع دائرة المعارف الإسلامية، ج. ٢، ص. ٦٤٩ – ٦٥٠ (المحقّق).
(٣) الموافق ١٥٩٠.
(٤) الموافق ١٥٩٢.

الذهاب إلى بيته وأمرهُ بأن تكون الضيافة عنده في دار السعادة فلم يشعر الأمير منصور إلاّ وقد أحيط به ثم أودعه قلعة دمشق وعرض فيه إلى السلطان فقتله في سنة ١٠٠٢ هـ (م)[١] بقلعة دمشق ودفن بتربة أفردت له على حد باب الصغير. رحمه الله تعالى.

ثم اشتهر المقدم محمد ابن[٢] صبح البقاعي حاكم هذه الجهة في القرن الرابع عشر للميلاد ثم محمد بن حنش مقدّم البقاع في القرن الخامس عشر والشيخ سليمان بن حيمور من جب جنين حاكمه بزمن الأمير فخر الدين المعني في القرن السابع عشر، فكانت تكثر السكان بحسب نشر الأمن والراحة فيه وتقل بقلتهما.

فنشأ فيه كثير من القديسين كأفدوكسية[٣] الشهيدة والشماس كيرللس في القرنين الأول والثاني للميلاد. واشتهر به مثل الإمام الأوزاعي وقسطا بن لوقا البعلبكي وكالينكوس المهندس الحاذق وبمبليخوس الفيلسوف وتقي الدين المقريزي وكثير من العلماء الأعلام الذين ترى تراجمهم ومن بعض سلائلهم أدباء إلى اليوم في جهات كثيرة[٤] المشايخ بنو حيمور في البقاع.

---

(١) الموافق ١٥٩٣.

(٢) بن.

(٣) أفدوكية evdoxia

(٤) بياض في الأصل.

حكام سورية المجوّفة

(١) قدماء حكامها

حكم سورية المجوّفة كثير من المواطنين من القبائل التي سكنتها من الآراميين والحثيين والفينيقيين واليونان والرومان والعرب زمناً، جاء بعدهم وملكها بعض الإفرنج في غزواتهم الصليبية، ويصعب علينا تعيين حكامها في هذه الأعصر القديمة بتدقيق.

الأمراء المردة سنة ٦٨٥ م: كان في قب الياس الأمير يوحنا بن[١] الأمير يوسف من أمراء المردة سكان بسكنتا (لبنان) بجيشه يغزو الجبل الشرقي ويشن الغارة على الحج إلى أن قطع السابلة على المارة، وهكذا تتابع تملك أمراء المردة للبقاع وبعض جهات بعلبك.

الأمراء الأيوبيون: كان بعض هؤلاء الذين حاربوا الصليبيين في بعلبك واشتهروا بآثارهم فيها وأقطعوها للأمراء.

الأمراء التنوخيون القيسيون: وتملك هؤلاء الأمراء اقطاعات من ملوك عصرهم، كانت منها أراضٍ في البقاع وبعلبك من ذلك أنه في ١٣٦٠ م ولي الملك نور الدين كرامة بن بحتر القنيطرة وجلبايا في البقاع، وحاربوا أهل سورية المجوّفة مراراً سنة ٥٤٩ هـ./ ١١٤٤م ومحمد السلطان نور الدين محمود الأمير ظهير الدين التنوخي في وادي التيم عوض الجنادلة.

الأمراء المعنيون: ثم امتد ملك الأمراء المعنيين الذين نزلوا البقاع سنة ١١٢٠ م إلى البقاع وبعلبك ولا سيما في عهد كثير منهم أخصهم الأمير فخر الدين المعني. وبنى الأمير أحمد ابن الأمير يونس الحرفوش، زوج كريمته في مشغرة داراً، وامتد ملك الأمراء الحرافشة من بعلبك إلى البقاع في أيامهم، فاستعمروا مشغرة وقب إلياس.

---

(١) ابن.

الأمراء بنو منقذ: قال ياقوت الرومي[1] في (معجم الأدباء) ص ١٩٤: «إن الأمير أبا الفتح يحيى بن أبي العساكر سلطان بن منقذ الكناني، لقبه فخر الدولة، ذكره الأمير مرهف ابن أسامة، وذكر أنه قُتل على بعلبك في سنة[2] ٥٤٠ هـ، وأنشدني من شعره ما كتبه إلى أبيه عز الدين يطلب منه رمحاً:

يا خير قوم لم يزل مجدهمُ	في صفحات الدهر مسطورا
عبدك يبغي أسمراً ذكرهُ	ما زال بين الناس مذكورا
فسدّد الجود من شأنه	أن نال وتراً صار موتورا
فإن تفضلت به عاد عن	صدور أعدائك مكسورا

والأمراء بنو منقذ هم من بني كنانة نشأ منهم أبو الفتوح مقلد بن منقذ الملقب بمخلص الدولة الكناني الكلبي. وكان نبيلاً رزق السعادة في بنيه وحفدته وكان مقيماً على مقربة من قلعة شيزر وعند جسر بني منقذ المنسوب إليهم وكانت عقاراتهم وأعمالهم وبيوتهم في حماة وشيزر إلى غربي حماة ومن أعمالها. وكان هذا أميراً عظيماً نشأ بنوه واولادهم ملوكاً. وكانت قلعة شيزر قرب منازلهم بيد الروم فنازلها أبو الحسن سديد الملك علي بن مقلد هذا وتملكها في... رجب سنة ٤٧٤[3] وبقيت في يده ويد اولاده فنسبوا إليها وقيل لهم (الشيزريون) ومات سنة ٤٧٥ هـ[4]، فلما حدثت زلزلة سنة ٥٥٢[5] في رجب كان ملكها قد ختن ولده ودعا الناس للاحتفال بختانته وأحضر جميع أقربائه بني منقذ فاجتمعوا في داره بالقلعة فسقطت جدران القلعة عليهم فقتلوا عن آخرهم. وكان لصاحب شيزر حصان قد رُبط على باب الدار فلما حدثت الزلزلة وقتل الناس تحت الردم نجا رجل واحد من بني منقذ فخرج هارباً على الحصان من المقتلة.

---

(١) الحموي وهو من أصل رومي كما هو معروف (المحقق).

(٢) الموافق ١١٤٥ م.

(٣) الموافق ١٠٨١ ميلادية.

(٤) الموافق ١٠٨٢ م.

(٥) الموافق ١١٥٧ ميلادية.

واشتهر من هؤلاء... كثيرون قبل انقراضهم منهم اسامة أبو المظفر بن مرشد بن علي ابن مقلد بن منقذ وكان يلقب مؤيد الدولة وكان فارساً وسيماً وله تصانيف في فنون الأدب منها كتابه الاعتبار وفيه سير قومه وحوادثهم وتوفي عام ٥٨٤ هـ[6] في دمشق[7]. وكانوا أمراء وملوكاً نحو (٧٨) سنة ولهم آثار عمران وأدب وشجاعة وولعوا بالصيد والخيول والفروسية والحروب ولهم وقائع مع الصليبيين حتى إن نساءهم لهم ذكر في المواقع وشجاعة وتدريب. وتقرّب منهم شعراء ومدحوهم وأجزلوا صلاتهم وأحسنوا العمل وعززوا الحصون.

(راجع ترجمة الأمراء آل منقذ ونسبهم في كتابنا تاريخ الأسر الشرقية).

جندل البقاعي وأسرته: إن جندل بن قيس البقاعي والد الضحاك، هو من سلالة جندل البقاعي الذي نشأ في البقاع، وكان له حظ من الملوك الفاطميين، حين تولوا الشام، وكان ذا شجاعة وعقل وإليه تنسب (قلعة جندل) في سفح جبل الشام في راشيا الوادي. وكان يُقال لبني جندل من بعده في خارج ديارهم (البقاعيون) نسبةً إلى أبيهم جندل البقاعي، ويقال لهم في ديارهم (الجنادلة) نسبة إلى أبيهم جندل. وتولى آل جندل وادي التيم والبقاع وبعلبك مراراً.

وفي عام ٥٤٩ هـ (١١٤٤ م) عزل السلطان نور الدين محمود، الضحاك بن جندل السالف الذكر عن وادي التيم وولّى الأمير ظهير الدين التنوخي، وكان من أعمال الضحاك حصن شقيف تيرون الذي أخذه منه عنوة شمس الملوك، صاحب دمشق سنة ٥٢٨ هـ/ ١١٣٣م.

الأمراء بنو الحمراء أو الحميراء: وهم حي من عرب البقاع، قدموا إليه من زمن قديم

---

(٦) الموافق ١١٨٨ ميلادية.

(٧) الأمير أسامة بن منقذ هو أبو المظفر بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني الكلبي الشيزري، الملقب مؤيد الدولة مجد الدين من أكابر بني منقذ أصحاب قلعة شيزر وعلمائهم وشجعانهم، له تصانيف عديدة في فنون الأدب. ذكره العماد الكاتب في الخريدة وأبو البركات بن المستوفي في تاريخ اربل، وله ديوان شعر في جزأين، وتوفي في دمشق ودفن شرقي جبل قاسيون راجع: ابن خلكان، وفيات الأعيان، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨، مجلد ١، ص ١٩٥ وما يليها (المحقق).

وحكموهُ مدة إلى سنة ٨١٠ هـ (١٤٠٧ م) وحدث لهم ما حملهم على ترك الحكم والنزول إلى بيروت، وقد مرّ ذكر حوادثهم، وسيأتي ذكرهم في الوقائع بآخر الكتاب أيضاً.

ومنهم الأمير ناصر الدين بن الحنش صاحب صيداء[١] والبقاعين من أتباع المعني ورجاله، وعصى على السلطان سليم عند فتح سورية سنة ١٥١٦ م وهرب فَاتَّهمَ الأمير زين الدين والأمير قرقماس والأمير علم الدين سليمان أنهم من أحزابه وقبض عليهم الجان بردي الغزالي ورجع إلى حلب، ولما أرسل إليه ابن الحنش أطلقهم. (وذكره الدويهي ص ١٤٤ سنة ١٥٠٣م).

وقلعة جندل لا تزال قائمة إلى الآن وعلى عتبتها كتابة يونانية تدل على أن اسمها اليوناني هو (ساما آتي).

الأمير منصور ابن[٢] الفُرَيْخ البدوي عن ذيل الكواكب السائرة للشيخ نجم الدين الغزي وغيره: كان أمير البقاع العزيز بعد أولاد الحنش، وهو بدوي، كان أول أمره من عرب البقاع يتكسّب بالرجادة ثم صار أميراً صارماً على قطاع الطرق والمفسدين، ثم ولي حكومة البقاع ونابلس وصفد وعجلون ونكَّل بالدروز واستقدم إليهم إبراهيم باشا سنة ٩٩٨ هـ (١٥٨٩ م). وعمّر عمارات عظيمة في قب الياس (البقاع) ودمشق، ونقل الحجارة إلى هذه من البقاع وأمَّن الطرقات، وقُتل سنة ١٠٠٢ هـ (١٥٩٤ م) في دمشق، وخلّف عشرة أولاد أكبرهم قرقماس الظالم العسوف، كان عند قتل والده مقيماً ببوارش (أو بوارج) فوق المريجات في سفح جبل الكنيسة، فأرسل مراد باشا إلى الأمير فخر الدين المعني حاكم لبنان أن يقبض عليه، ففرَّ ومعه مائة بندقاني (تفكجي)، فنهبوا بيوته وأحرقوها ونقلوا محاسنها إلى بلادهم ونزلوا إلى قب الياس أو (قبر الياس) وأخبروا مراد باشا بهرب قرقماس إلى الأمير ابن سيفا في كسروان (لبنان) لأنه من أعوانه وأنصاره وهو ضد المعني. ثم ما زالت الحكومة تسعى به وتتأثره إلى ان قتل على يد الأمير موسى بن الحرفوش بمواطأة الأمير فخر الدين المعني نحو سنة ١٠٠٣ هـ (١٥٩٤ م).

---

(١) هكذا في الأصل والصواب (صيدا).

(٢) بن.

قال النجم الغزي في الكواكب السائرة ما أنقله: منصور بن الفريج (الفريخ) البدوي أمير البقاع العزيز هو أول الحنش، كان في أول أمره بدوياً من عرب تلك البلاد، وكان يتكسب بالرجادة ثم انتهى أمره إلى أن حاز الإمارة، وتظاهر بقتل المناحيس وأهل الزعارة والشطارة، وكان يبغض اللصوص والقطاع ويعاملهم إذا قبض عليهم بالقتل والتمثيل. وكان يحب أهل الشجاعة، حتى عظم أمره، فولي حكم البقاع، ثم أُعطي صنجقية نابلوس[١].

وانحاز إليه جماعة من الينكجيرية وكان له منهم شراقات (أي محاسيب) ومن اللاوندية[٢]، وأخاف الدروز، ثم شنَّ الغارات عليهم. وكان هو السبب في قصد إبراهيم باشا أحد الوزراء في زمن السلطان مراد خان إليهم، وقد جاء من نيابة مصر، ثم كان قيدومه [نهجه] ودستوره، حتى أثر فيهم، وقتل منهم مقتلة عظيمة، واختفى منه أميرهم الأمير قرقماس بن معن حتى مات في اختفائه. ثم صار أمير الحاج الشامي، وسافر فيه مرتين في سنة ٩٩٨ هـ (الموافقة م)[٣] وفي التي بعدها ٩٩٩ هـ (م)[٤].

ثم إن مراد باشا لما ولي نيابة الشام طلع من صيداء في سنة ١٠٠١هـ (م)[٥] فخدمه الأمير فخر الدين ابن[٦] معن بخدمة سنية وأطعمه جزئية وكلية، فعمل مراد باشا على قبض الأمير منصور بن الفريخ (في الأصل الفرنج)[٧]. وهو آمن له بعد أن أمرهُ بضيافة له في البيت

---

(١) سنجقية نابلس.

(٢) لقب أطلقه العثمانيون على طائفة من العسكريين العاملين في الأسطول، لكن نتيجة ارتكاباتهم وتمردهم المتكرر قامت السلطنة بتسريحهم، وأنشأت لمن تبقى منهم إدارة خاصة أطلق عليها اسم «لوند جفتلي»، إلا أنها ألغيت سنة ١٧٧١ واستعيض عنها بتشكيل «لاوند رومي» وكل عناصره كانوا من المسيحيين العاملين في الأسطول. أما المسرّحون فقد تحولوا إلى مرتزقة يعرضون خدماتهم على الولاة والباشوات، وفي القرن الثامن عشر اقترن اسم اللاوندية بالأكراد، وورد ذكرهم بوصفهم «سكبان اللاوند»، راجع: موسوعة المصطلحات العثمانية، ص. ٢٦٥ (المحقِّق).

(٣) ٩٨٨ هـ = ١٥٨٩ م.

(٤) ٩٩٩ هـ = ١٥٩٠ م.

(٥) ١٠٠١ هـ = ١٥٩٢ م.

(٦) بن.

(٧) هكذا في الأصل وهنا يصحح المؤلف للمؤرخ الغزي الذي قال الفرنج، باعتبار أن الصواب هو الفريخ كما يكتب المؤلف (المحقّق).

الذي ابتناه عند الدمرديشية، ثم اعتذر عن الذهاب إلى بيته، وأمره بأن تكون الضيافة عنده في دار السعادة، فلم يشعر الأمير منصور إلا وقد أحيط به، ثم أودعه قلعة دمشق، وعرض الأمر على السلطان مراد، فجاء الأمر بقتله، فقتله في سنة ١٠٠٢ هـ (م)[1] بقلعة دمشق، ودفن بترمة، أفردت له على حد مقبرة باب الصغير. رحمه الله تعالى.

(١) ١٠٠٢ هـ = ١٥٩٣ م.

الفصل الحادي عشر

حكامها ووقائعها وشؤونها القديمة والحديثة

حكامها القدامى

كانت هذه البقاع مسرحاً ومحطاً لرحال الذاهبين والآتين. فكان طريق زحف الملوك من الشمال والجهات الأخرى إلى اليهودية ودمشق في هذه البقاع. وكان طريق زحف فراعنة مصر هكذا في كل غزواتهم ينزلون في المضايق التي تساير السفح الغربي لحرمون، ولبنان الشرقي، فإذا وصلوا إلى وادي الليطاني، الذي كان في عهدهم بحيرة كبيرة، وساروا على العدوة الشرقية، انتهوا إلى بعلبك، ثم إلى وادي العاصي، فيسيرون إلى عدوة النهر المذكور إلى حد قَدَس الكبير، أي إلى نواحي حمص وحماة الخ. حكم سورية المجوّفة كثير من المواطنين من القبائل التي سكنتها من الآراميين والحثيين والفينيقيين واليونان والرومان والعرب زمناً، جاء بعدهم وملكها بعض الإفرنج في غزواتهم الصليبية، ويصعب علينا تعيين حكامها في هذه الأعصر القديمة بتدقيق.

سنة ١٩٠٠ ق. م، زحف كدلاعوز ملك عيلام على لبنان الشرقي وتوجه إلى دمشق بطريق تدمر، فدوّخ دمشق، وسار إلى فتح وادي الأردن.

سنة ١٦٥٠ ق. م غزا توطميس الأول ملك مصر من الأسرة السابعة عشرة المصرية الروتنّو وهم سكان سورية المجوّفة في شماليها كما مَرّ في الروتانيين.

وسنة ١٦٢٥ ق. م غزاهم أيضاً توطميس الثالث وخرَّب مدنهم ونكَّل بهم. ونحو سنة ١٣٥٠ ق. م مَلَك سيتي الأول المصري من الأسرة التاسعة عشرة المسمى سيزوستريس عند اليونان وغزا الفينيقيين لشقهم عصا طاعته، وتقدم في البلاد، إلى أن انتهى إلى تخوم الحثيين

على نهر العاصي، وتوغل في الداخلية، ومرَّ بجبل لبنان وقطع من أرزه شجرات، نقلها إلى بلاده لبناء السفن وغيرها.

وبعد ذلك غزا رعمسيس الثاني خليفة سيزوستريس في الملك بلاد السوريين لمحاربة الحثيين، واشتهرت معاركه في بحيرة قادش قرب حمص، وكاد يهلك في هذه الموقعة، ولكنه تملّص بفراسته ومعونة الآلهة، فغلب الحثيين وأحلافهم، وعاهد ملكهم وأخذ بنته زوجة له. ونظم أحد شعراء عصرهِ بنتاؤور قصيدة في وصف معركته الهائلة لا تزال باللغة المصرية وعندي ترجمتها.

وسنة ٨٨٣ ق. م ملك أشور أزيربال ملك أشُور ورقّى مملكته في أيامه، وفتح الفتوحات العظيمة منها غزوه لسورية وما يليها، فأخضع الحثيين ودخل لبنان وبلغ البحر، وقدم محرقات للآلهة، وعاد إلى بلاده ظافراً حاملاً أرز لبنان.

وسنة ٨٥٨ ق. م ملك شلمناصر ملك أشور وقال عن نفسه في الآثار الآشورية ما تعريبه: « في السنة الثانية عشرة لملكي عبرت نهر الفرات للمرة السادسة عشرة غازياً البلاد التي عصت. وكان حزائيل[١] ملك سورية قد اعتمد على جيشه الجرار القوي، فتحصّن في سانيرو[٢] في قمة الجبل المقابل للبنان (أي الجبل الشرقي) فحاربته ودحرتهُ دحراً تاماً، وأهلكت بالسلاح ستة عشر ألفاً من جنوده، وأخذت منه غنائم كثيرة، منها ألف ومائة وإحدى وعشرون مركبة، وأربع مائة وسبعون فارساً مع ذخائرهم وعُدَدهم. أما هو ففرَّ بنفسه، فتأثرتُهُ إلى دمشق حاضرة مملكته وحاصرتُها وقطعتُ أشجارها».

وسنة ٧٤٥ ق. م تولى تخت الملك تغلت فلاسر الثاني الأشوري، ومما ظهر من آثاره التي كتبت فيها أعمالُهُ قوله:

«وأخذت الجزية من كستاسب ملك كوماجان (وهي سورية المجوّفة) ومن رصين ملك دمشق ومخيم ملك السامرة، وحيرام ملك صور، وسيبيبي بعل ملك جبيل، وانيال ملك حماة». وكانت أول غزواته لسورية سنة ٧٤٣ ق. م، فاستقدم إليه أولئك الملوك إلى ما

(١) حزائيل هو ملك آرام، تولى السلطة نحو ٨٥٠ ق. م. (المؤلف).

(٢) سنيرو بمعنى درع أو شلّالة، وهو اسم قسم من جبل الشيخ (حرمون). (المؤلف).

يجاور حلب، فذهبوا إليه بتقادم صفائح وأنسجة فقدموها له، فأخذها وعاد إلى بلاده وعدّها جزية منهم.

وسنة ٧٢٥ ق. م جلس على تخت المملكة الآشورية شلمناصر الرابع، فغزا سورية ومرَّ بسورية المجوّفة، واتصل بفلسطين، وحاصر السامرة وهاجم صوراً، وجاء خلفه سرجون الذي ملك سنة ٧٢٢ ق. م ليخمد ثورة ملك حماة الذي أغرى بعض مجاوريه على القيام ضدّ الآشوريين، وكان اسمه ياهوبك، فقتله وزحف إلى الجنوب. وحارب حانون ملك غزّة الذي حالف ملك مصر شبيق الأول، فاعتقل سرجون حانون وسباه إلى آشور وشبيق نجا، وهذا أول ملك آشوري تعدّى على مملكة مصر.

وسنة ٧٠٥ ق. م ورث ملك آشور سنحاريب الشهير وغزا سورية مراراً، وضرب الجزية على سكّانها وسباهم إلى بلاده، وفشل في إحدى غزواته فشلاً عظيماً في موقعة سنة ٦٩٩ ق. م.

وسنة ٦٨١ ق. م ملك أسرحدّون على آشور وهاجم فينيقية لتحالف ملكَيّ صيداء[١] ولبنان عليه، فأسر الملكَيْن وقتلهما، وأجلى كثيراً من السكان وذلك بين سنتي ٦٨٠ و٦٧٦ ق. م، وغزا مصر سنة ٦٧٣ ق. م وامتلكها ونظّم أمورها، وحين مروره في سورية نقش صورته على صخور درج نهر الكلب، حذاء رسوم رعمسيس الكبير، وكتب معها تاريخ مهاجمته لمصر، وعاد بخشب أرز لبنان إلى بلاده لأبنيته المشهورة.

وسنة ٦٦٨ ق. م ملك آشور بانيبال وحارب مصر وفينيقية وعاد إليها أكثر من مرة. وفي زمنه ظهر السكينيُّون من أقطار آسية الشمالية حذاء سيبيرية إلى ماري وآشور وسورية ومصر واجتاحوها. ومات آشور بانيبال نحو سنة ٦٢٦ ق. م.

ولما انقرضت مملكة آشور سنة ٦٢٤ ق. م، بعد أن ملكت نحو ٧٠٠ سنة (سبع مائة سنة)، قامت على أنقاضها بابل العظيمة، وأول ملوكها العظماء نبوخذ نصر بشهرته وفتوحه. ملك نحو سنة ٦٠٤ ق. م، وأول حرب أثارها بعد ارتقائه العرش، حرب سورية وفينيقية، فسار سنة ٥٩٨ ق. م بجيوشه الجرّارة وناصبهم العداء، وحاصر صور وأورشليم وطال

(١) صيدا.

الحصار، وكتب غزوته على درج نهر الكلب في خمس صفائح حجرية منقوشة اكتشفت سنة ١٨٨١ م، ووقائعه مشهورة.

ولما تغلّب الماريون على الآشوريين بهمة كيكساروس ملكهم الذي توفي سنة ٥٩٣ ق. م، حاربوا سورية والسكيتيينشوريين.

وكان العبرانيون في زمن داود وسليمان الملكين العظيمين (ملك داود سنة ١٠٥٥ – ١٠١٥ ق. م) و(ملك سليمان سنة ١٠١٥ – ٩٧٥ ق. م) قد اتصلت غزواتهم بسورية المجوّفة وقاوموا سكانها وملوكها والآراميين مثل هَدَد وَرَزُوْن. وكل مملكة سارت من الجنوب إلى سورية، أو شماليها إلى جنوبيها، مرّت بسورية المجوّفة واحتكت بسكانها، وكذلك خلفاء داود وسليمان من الملوك الذين غزاهم ملوك ماري وآشور وبابل.

ولما استولى الفرس على مصر وسورية (بعد سقوط نينوى في أواخر القرن السابع قبل الميلاد)، بدأت مملكة الفرس، وانتهت بقتل داريوس عم الاسكندر سنة ٣٣٣ ق. م.

ومن بقايا تسميات الفرس في هذه البلاد (نهر البردوني) من بَرْدن بمعنى شديد الجري على أحد الأقوال، واسم (الزبداني) من سيب ستان، أي محل التفاح لكثرته فيها حتى يقال: من زار الزبداني فاحت رائحة التفاح منه. و(جلّق) من أسماء دمشق ولعلها مركبة من (جُلّ) زر ورد أو زهرة و(لُك) مائة ألف فالمعنى (مائة ألف زر ورد) وكأنها ترجمة كلمة (تاماسكو) بمعنى المثمرة، إشارة إلى غوطتها إحدى متنزهات الدنيا الأربعة.

وقيل إن البردوني من كلمة باليونانية كمعنى الزلازل.

ولما خرجت مصر على الفرس أيام داريوس نوتوس ولا سيما نحو سنة ٣٦٢ ق. م، حين خرج الجانب الأعظم من آسية الصغرى وسورية وفينيقية، وتقوّت مصر وقام ملكها تاخُس وهاجم أملاك الفرس في سورية بمساعدة بعض اليونان، بدأ المصريون بمدّ يدهم إلى سورية، وكانت البلاد متفقتين[1] في الغالب.

(١) هناك ارتباك في الجملة، فإما أن تكون وكان البلدان متفقين وهو الأصوب، أو البلاد متفقة، ما اقتضى التوضيح (المحقّق).

ونحو سنة ٣٥١ ق. م، قامت فينيقية بمعاهدة مصر وقبرس[1] على أرتزركيس الثالث الملقب أوخس (ملك من سنة ٣٥٩ – ٣٣٨ ق. م)، ولم يستطع إخماد الفتنة في فينيقية، فاستقلّ تنّيس ملك صيداء[2] وطرد الفرس من بلاده، وعاد إليه أوخس في ثلاث مائة ألف مقاتل سنة ٣٤٦ ق. م، فدوّخهُ وقتله وأحرقت صيداء[3] فخربت، وما زال الفرس يتولون أمورها إلى قيام داريوس الثالث الملقب قدُمنس (٣٣٦ – ٣٣١ ق. م) فغلبه الاسكندر المكدوني على أمرهِ، ودخلت سورية في قبضة ملوك اليونان، وزحف الاسكندر بجيشه من صور مجتازاً سهول البقاع وبعلبك وحمص وتدمر إلى تبسك على الفرات ليقاتل داريوس (دارا) ملك الفرس سنة ٣٣١ ق. م، فحاربه ونكل به وببلاده، ولما انكسر داريوس ثانية من أمام الاسكندر وفرَّ إلى ما وراء الفرات، ترك سورية للمنتصر عليه الاسكندر المذكور، فأقام الاسكندر بارمنيو والياً على البقاع ودمشق وسيَّرهُ إليها، فملك منها كثيراً من المال الكسروي، وسبى زوجات بعض العظماء من قوّاد الفرس، وزحف الاسكندر على ساحل البحر الرومي، وكان أبولونيوس والي البقاع وسورية وفينيقية بزمن الاسكندر المكدوني أيضاً.

من اليونانيين والروم

قلنا إن اليونانيين بغزو الاسكندر لبلاد الفرس ملكوها وملكوا سورية سنة ٣٣٣ ق. م، فصارت سورية وما إليها في قبضتهم ولا سيما لما ملك خلفاؤه أو قوّادُهُ فكانت سورية من نصيب لأُومدون أحد القواد، ولكنهم اختلفوا على ولاياتهم، فتحاربوا وتناصبوا، فتأسست في الشرق الدولة السلوقية المنسوبة إلى سلوقوس أحد الغالبين من القوّاد سنة ٣١٢ ق.م، ودولة البطالسة في مصر المنسوبة إلى بطليموس بن لاغس القائد الغالب سنة ٣٢٣ ق.م، فلما انتهى ملك البطالسة إلى بطليموس الأول الملقب صويتر مصر (٣٢٣ – ٢٨٣ ق.م) طمحت

(١) قبرص.
(٢) صيدا.
(٣) صيدا.

نفسه إلى الاستيلاء على فينيقية وفلسطين لأخذ الخشب الأرزي الشهير لبناء أسطوله، فنازل سورية واستولى عليها سنة ٣٢٠ ق. م، ولم يستطع التسلط عليها، فغلبه على أمره إنتغنوس فأخضعها سنة ٣١٤ ق. م، وبعد ذلك تمكن بطليموس من فلسطين وفينيقية وبعض سورية، وسنة ٣١١ ق. م، عادت سورية المجوّفة إلى ولاية أنتيغون من قواد الاسكندر المذكور آنفاً، واستعادها بطليموس ملك مصر. وسنة ٣٠٢ ق. م زحف بطلمايوس إلى فينيقية وسورية المجوّفة وفلسطين، فاستحوذ عليها ما عدا صور وصيداء[1].

وسنة ٢٦٤ ق. م صاهر بطليموس الثاني الملقب فيلادلفوس أي محب الأخ أنطيوخس ملك سورية ليساعده على افتتاح مصر واستعادتها، واستمرت الحرب بين مصر وسورية إلى سنة ٢٤٩ ق. م. وسنة ٢٤٧ ق. م، ملك بطليموس الثالث الملقب المحسن (يوْركيتيس) أو (أوركيتيس) بكر فيلادلفوس من امرأته الأولى، فوسّع نطاق مملكته فاشتملت على مصر وقسم من بلاد كوش وكيرين وبعض غربي بلاد العرب وفلسطين وفينيقية وكيلي سورية، وأقام على سورية المجوّفة أفستيوس والي الشام وسورية سنة ٢٤٣ ق. م[2].

وسنة ٢٣٣ ق. م، تقاعد[3] أونيا رئيس أحبار اليهود عن دفع الجزية السنوية لبطلمايوس وقدرها عشرون وزنة (وهي مائة وعشرة آلاف فرنك)، فشدَّد عليه بالدفع، فطرحت ضرائب سورية المجوّفة واليهودية والسامرة في المزاد، فدفع فيها ثمانية آلاف وزنة (٢٤ مليون فرنك)، فالتزمها يوسف ابن أخي أونيا الحبر بقيمة ستّ عشرة ألف وزنة أي ضعفي البدل، وأقطعه الملك تلك الأعمال عشر سنوات.

وسنة ٢٢٢ ق. م. ملك أنطيوخوس الثالث وسنة ٢٢١ ق. م حارب ملك مصر ليستردّ

---

(١) صيدا.

(٢) قلنا إن قسانتبوس والي الشام وسورية أو بلاد الشام السفلى، فبقيت ولايته المجوفة مخاصمة لكلينكوس، فحاربه هذا أي كلينكوس مهاجماً إياه أي قسانتبوس فانقلب وفرّ من أمام عساكر مصر. وقصد أنطيوخوس نواحي سورية المجوّفة لاستخلاصها من يد بطليموس فداهمه ما أخره عن فتحها، ثم أراد استخلاص قلعة ليكيسيريا الباقية بيد بطليموس (ولعلها الكرك) أو (عنجر) أو (قب الياس) (المؤلف).

(٣) تقاعس.

سورية المجوفة منه، ولما وصل إليها في السهول بين اللبنانيْن وجد (بتودت) واليها من قِبَل بطلمايوس قد حصّن معابر الجبلين بمناعة، فيئس من العبور بينهما، وعاد على أدراجه، ثم اصطلحا، وحدثت الحرب بين أنطيوخوس والمصريين على المجوّفة.

وسنة ٢١٩ ق. م، كان بطلمايوس الملقب محب الأب (فِلوباتور) الذي تولى الملك سنة ٢٢٢ ق. م، قد ناصبه العداء أنطيوخوس الثالث المذكور لضعف سياسته، فنوى الاستيلاء على ما لمصر في سورية وفلسطين، فاتفق مع ثيودوتوس (ثيودوت) والي سورية المجوّفة (كيلي سورية) من قبل بطلميوس، وافتتح صور وعكا، فغلب الجنود المصرية في السنة التالية. فرغب بطلمايوس بالصلح ليتخلى له أنطيوخوس عن سورية المجوّفة وغيرها، فثار قومه عليه. ثم احتل أنطيوخوس سورية المجوّفة وفلسطين وأعطاها مهراً لابنته كليوبطرة لما زوجها لبطلمايوس ابيفان. فلم يفِ أنطيوخوس بوعده بعد عقد الزواج، وبقي الحال مضطرباً والنفور سائداً بين الملكين إلى أن توفيت كليوبطرة سنة ١٧٣ ق.م، فطلب أنطيوخوس الرابع استرجاع سورية المجوّفة، فتجددت الحرب بين الدولتين لاحتجاج المصريين أن هذين الإقليمين فلسطين وسورية المجوّفة وقعا في قسمة الملك بين خلفاء الاسكندر في نصيب بطلمايوس الأول حتى اغتصبها منه أنطيوخوس الكبير، ثم وهبهما مهراً لابنة أم الملك. وادعى أنطيوخوس أبيفان أن سورية كلها مع سورية المجوّفة، وفلسطين وقعت في نصيب سلوقوس نيقاطور (أي الظافر) وبقي الخلاف عليهما.

ومن الحوادث الخطيرة في تاريخ هذه المنطقة أن أنطيوخوس كان ينوي تخليص سورية من بطليموس أوركثيوس، ففاجأَهُ ما أخّرهُ عن ذلك. ثم اجتهد بتخليص قلعة سورية المجوّفة الباقية بيد بطلميوس، ورجع عن عزمه بإغراء هرمياس الذي كان قد منعهُ أولاً فأخطأ، فأراد إصلاح خطإه[1] فزاد غلطاً وضلالاً.

ثم بعد ذلك صمّم أنطيوخوس على إخراج بر الشام السفلى (كيلي سورية) الباقية تحت إيالة الحكومة المصرية، ومَرَّ من مدن لاذوكية وإبامية (المضيق) فوصل إلى أراضي

---

(١) الصواب خطئه.

مرسياس[١] (أو مار سياس) الواقعة في الحضيض الكائن بين جبل لبنان والجبل الشاهق المقابل له، ولما كانت أرض مرسياس هذه منخفضة عن الأراضي الكائنة بين الجبلين المذكورين تتجمع فيها السيول التي تنحدر من الجبال وأصبحت وَحلَة. وكانت مدينة كرا[٢] واقعة على الطرف الواحد من المحل المذكور. ومدينة بروسدوم[٣] على الطرف الثاني منه.

أوقف أنطوخيوس معسكره في إحدى جهات الوحل وتمسك بمحاصرة (مدينة كرا)، ولما وصله خبر تشتيت المعسكر الذي تعين على مولون ثانية، وأن مولون جاز إلى الجهة الثانية من النهر، صرف النظر عن هذا العزم، وأشغل فكره بإيجاد حيلة لدفع البلية التي ظهرت في آسية العالية، وأمر بعقد مجلس للمذاكرة في هذا الحادث الجلل، فأقرّ الرأي على توجه أنطيوخوس بنفسه إلى شاطئ النهر، فاعترض هرمياس مرة ثالثة، وثبت الملك في استخلاص سورية المجوّفة أولاً من يد العدو، فلم يُقبل رأيه، وساروا بالعساكر إلى أبامية (المضيق)، وكان نيولاغوس مأموراً مع ثيوذوسيوس بمحافظة (كيلي سيري) فخاف ثيوذوسيوس مع بطليموس وعيّن عساكر في البواغيز بين مدينتي بتوليمية (عكاء) وسلنكية (السويدية) وقطع انطيوخوس وحاصر مدينة بتوليمية ببعض الجنود.فجمع انطيوخوس عساكره ودفع العساكر المصرية في البواغيز ومرّ منها إلى بتوليمية وطرد نيولاغوس وخلص ثيوذوسيوس وضبط أربعين قطعة من مراكب مصر من مياه صور وميناء بتوليمية. وبعد هذا كانت حروب

---

(١) لا نعلم أصل هذه التسمية وأقرب ما يوافقها كلمة باذياس اليونانية بمعنى السهل، فلعلها تحريفها. وسمى اليونان البقاع (فوكودا)، ولعل بر الياس تحريفها، لأن قربها نهر مرسياس اليوم من عنجر ويعرف بالغزيّر. (المؤلف).

(٢) لا نعلم أين موقع قلعة كرا ومدينتها، ولكن الذي يستخلص من التواريخ القديمة أن قلعة (كرا) واقعة في طرف الوادي الكائن بين جبل لبنان والجبل الشاهق. فلعلها (مشغرا) اليوم. و(كرا) لعلها سريانية بمعنى (حصن) أي كرك. فتكون كرك نوح أو قارة، وربما كانت بعلبك التي سماها غوليملس الصوري في تاريخه (أميكارا) وهو خطأ. (المؤلف).

(٣) ولعلها من كلمة بروضوم اليونانية ومعناها ما يستر الإنسان، فتكون بمعنى القلعة ويناسبها الآن كلمة (بوارش) قرب جبل بوارش أو الكنيسة. والظاهر أن حصني (مشغرا) عنجر وبوارش هما على مضايق الجبل من جهة البحر. (المؤلف).

انطيوخوس معقوداً له فيها ألوية النصر حتى موقعة رافيه التي لم ينل فيها نصراً، فصولح على تركه حقوقه من ايالات فلسطين **وفيكة**؟؟ وكيلي سيريا وابقائها بيد حكومة مصر وذلك في القرن الثالث قبل الميلاد ثم بعد ذلك جاء انطيوخوس بعمارته البحرية إلى الشام ونزع ايالتي كيلي سيريا وفلسطين من يد ابيفانيوس جبراً. وعقد صلحاً مع ابيفانيوس وزوجته كليوبترة الأولى وأمهرها كيلي سيرية وفلسطين اللتين كانتا سبب القتال والحرب وأصبح أميناً من عائلة مصر. وذلك نحو سنة ١٩٦ ق. م. ولكن انطيوخوس ترك ايالتي فلسطين وسورية المجوفة (كيلي سيرية) مهراً حسب الاتفاق ولكنه ربط نصف ريع الايالتين لنفسه.

وسنة ١٤٧ ق. م كان ابولونيوس والي بقاع سورية وفينيقية فجاهر بالانحياز إلى ديمتريوس ضد الاسكندر وفي أوائل القرن الثاني ق. م مد يوحنا هركان سلطته على مواضع كثيرة في سورية وفينيقية وبلاد العرب واستقل بملكه ١٣٥ ق. م وسنة ١١٩ ق. م استظهر انطيوخوس الشيزيكي على اخيه انطيوخوس كريبوس واتفقا أن يقسما البلاد بينهما. فكان نصيب الشيزيكي فينيقية وسورية المجوفة إلى دمشق فأقام فيها. ونصيب كريبوس سائر المملكة وأقام في انطاكية. واشتهر بالترف والملاهي وكانت بزمن سلوقس الثاني في القرن الثاني قبل الميلاد قد طرحت ضرائب سورية المجوفة واليهودية والسامرة في المزاد ولم يدفع بعض التجار اليهود في بدلها الا ثمانية آلاف وزنة (٢٤مليون فرنك) فضمنها يوسف بن[١] أخي الحبر اوتيا رئيس احبار اليهود بستة عشر الف وزنة، أي ضعفي البدل فأقطعه إياها عشر سنوات.

وسنة ١١١ ق.م كان والد كليوبطرة انثيوخوس غريبوس خامس عشر ملوك السلوقيين وأخوه انتيوخوس التاسع فيلوباثوركيزيتينيوس سادس عشر السلوقيين قد تعاقب الملك على بر الشام إلى هذه السنة (١١١ق. م) فتقاسما ذلك. فكان كيزيتينيوس حاكماً على لوائي[٢] كيلي سيرية أي سورية السفلى وفينيقية واتخذ دمشق مقراً لحكومته والألوية

---

(١) ابن.

(٢) لواءي.

الأخرى لأخيه اغريبوس وسكنت الأحوال فلم يرق ذلك في عين دولة مصر فسعت في تفريق كلمة الأخوين فتحاربا سنة ١٠١ ق. م لأن بطليموس لاتيروس ملك مصر ارسل زوجته سلنا التي كانت[١] قد تركها في مصر إلى انتيوخوس غريبوس ملك انطاكية وما إليها فسلب حسنها وثروتها عقل غريبوس فتزوج بها فاختلت أحوال الأخوين وحدثت مناوشات بينهما قتل فيها غريبوس بغدر هراقليوس نديمه معقباً خمسة ذكور، واختلت انطاكية فطمع بها كيزيتينيوس وأراد ضمها للشام فوقع بعد سلوقوس ابن انتيوخوس غريبوس وقتل. فصارت الفتن بين اولاد غريبوس فتدخلت دولة الارسكيين في بر الشام واجلست في تخت حكمها انتيوخوس ديونسيوس الحادي عشر اصغر اولاد اغريبوس[٢]. وكانت مصر تطمع في سورية فخربت سورية من جراء تنازع الملوك لها فتأخر عمرانها من زراعة وصناعة وتجارة وضجر السكان من الفتن الداخلية ويئسوا من حكومة السلوقيين وتخلصوا منهم بتسليم ممالك بر الشام لتقران ملك الأرمن وذلك سنة (٨٣ ق. م) فحكم في دمشق وانطاكية وكيلاً عنه رئيس قواده فعاداتس فهدأت الأحوال نوعاً ولم يطل العهد حتى أعلنت حكومة رومية الحرب على سواحل البحر الأسود وفتحت سورية.

نحو سنة ٨٢ ق. م. قال الدويهي في تاريخه طبع بيروت صفحة ١٣٧ ما نصه:

«سنة ١٤٤٢ م ٨٤٦ هـ قبل هذا العهد بنحو ألف وثلاثمائة وستين سنة اجتاز بالعاقورة أُوقيان ملك رومية وقطع الجبل الذي شرقيها ونهج الطريق إلى البقاع كما هو منقور على درجة الجبل». (أ. هـ.).

قال ابن العبري (في مختصر تاريخ الدول) صفحة ١٣٥، طبع بيروت: وبنى (يريد

---

(١) كان.

(٢) سنة ٨٩ – ٨٦ ق.م استولى انطيوخوس وانيس خامس ابناء غريبوس على دمشق مكان اخيه ديمتريوس وسمّى نفسه ملك سورية المجوَّفة ثلاث سنوات. ومن سنة ٨٠ – ٧٠ ق.م أبقت سيلانة أو (سلنا) امرأة انطيوخوس اوساب لنفسها عكاء وجانباً من فينيقية وسورية المجوَّفة وهي أم انطيوخوس وسلوقوس. وكان نقولا عاملاً في سورية من بطلمايوس لضبط معابر لبنان ومنع انطيوخوس من الدخول إلى فلسطين (المؤلف).

قسطنطين زوج الملكة هيلانة) بيعة بمدينة (بعلبك) وكان أهلها يتشاركون في النساء، ولم يخلص لأحدهم نسب وكفهم عن ذلك، فكفوا.

واختلف الناس في أخباره وكذلك العلماء في رواياتهم عنه، والأخبار عن ولادته متناقضة. وكذلك طرق عبادته كانت مختلفة باختلاف البلدان.

وقد صوّرهُ بعض المصريين بصورة حدث. ولكن اليونانيين كانوا يصوّرونه في الغالب بصورة صبي ظريف.

وأما في الشرق، فكانوا يصورونه بصورة رجل متوسط العمر، جليل المنظر، لابساً ثياباً طويلة. وأما أعياده والاحتفالات الدينية المقامة له في الأصل تراقة[١]، فصارت في إغريقية ورومية على غاية من الخشونة والقباحة، حتى صدر الأمر أخيراً بإبطالها من رومية.

وربما كانت في الأصل تقام إكراماً لقوة الطبيعة المثمرة المخصبة التي كان باخوس معبود الخمر لا محالة، مشخصاً لها. ومن القوى التي كانت تنسب إلى باخوس، قوة النبوة وشفاء بعض الأمراض وزيادة خصب الأرض. واشتهر من أعياده عند اليونان، ما كان يقام له وهو أهمها في أتيكة وأثينة. وكانت أربعة لا حاجة إلى ذكرها.

وأما الرومانيون فكانوا يقيمون تلك الأعياد مرة في كل ثلاث سنوات، ولكن الفظائع التي كانت تُرتكب فيها والخطر على الهيأة[٢] الاجتماعية فيها، حمل الحكومة الرومانية على الأمر بإبطالها من رومية وإيطالية وذلك سنة ١٨٦ ق. م. على أنه كان يقام احتفال يشبهها، إلا أنَّه أكثر اعتدالاً منها في السادس عشر من آذار كل سنة. (أ. هـ) عن الدائرة بتلخيص.

وجد في بوارج (البقاع) تمثال من حجر عادي ناتئ على صخر، يمثل شخصاً على رأسه قبعة مستطيلة، وأمامه ولد صغير يقدم له عنقوداً من العنب، وعليه طير وبجانبه كأس، وهو رمز باخوس، وربما كان معاصراً لتمثال قب الياس في رأس العين (أو ربما كان حثياً).

وفي نيحا حصن إلى الغرب الشمالي هو هيكل الإله هدرناس الكلداني، خربته الزلازل

---

(١) هكذا في الأصل.

(٢) الهيئة.

فتبعثرت حجارته الضخمة، وعلى كثير من تلك الحجارة نقوش من أغصان نخل وعنب ورسوم آلهة.

وعيد باخوس عند اليونان عبارة عن موسم خاص بالنساء فتسكر النساء فيه سكراً فاحشاً، يتجولن في الشوارع عندهم كالوحوش الكاسرة. وفي ذلك اليوم تكثر الفحشاء بين القوم.

لما فتح الرومانيون سورية سنة ٦٣ قبل الميلاد، قسّمت أقاليمها بين العاهل والندوة، فاستمرت سورية إقليماً ملكياً كفرنسة. وكانت أهم الولايات وتحت إمرة واليها أربعة فيالق من الجنود. ثم قسّمت سورية إلى ولايتين، إحداهما في الشمال وسُميت ولاية سورية المجوّفة، وفيها فيلقان من الجنود، والثانية في الجنوب وسُميت سورية فينيقية وفيها فيلق واحد. وكسر بومبي الفاتح الروماني الشهير شوكة الأيطوريين وغيرهم، وضرب الجزية على الأهلين. فالإناث في سن اثنتي عشرة سنة والذكور من الرابعة عشرة إلى الخامسة والستين من الجنسين [يدفعونها]، وضربوا الخراج على الأملاك في المائة واحداً، فنجحت سورية بعهدهم.

ولقد زار سورية جوليوس قيصر سنة ٤٧ ق.م وأوغسطوس قيصر، وأنالاها امتيازات وأوسعاها تحسينات من العمار وتخطيط الطرق وبناء الجسور وإتقان الزراعة والصناعة والتجارة.

وفي زمن سبتيموس ساويروس وكانت زوجته جوليا دمنة[1] سورية كان في أواخر القرن الثاني للمسيح، وكانت آسية الرومانية في عهده ١٢ قسماً أو عملاً أو إقليماً. فالثامن

(١) لم أعثر على معنى كلمة دمنة في القاموس المحيط للفيروزابادي وكذلك الوجيز، أما المنجد في اللغة والأعلام فيفيد أن معناها الحقد وتغير الباطن أو الحقد القديم، ويقال «في قلبه دمنة» أي إنه يحمل حقداً قديماً، ومنه حُسن الظاهر وقُبح الباطن. ويروى في الحديث النبوي «إياكم وخضراء الدمن» أي المرأة الحسناء في المنبت السوء. راجع: المنجد، دار المشرق، بيروت ١٩٦٨، ط. ٣٦، ص. ٢٢٥ (المحقّق).

والتاسع سورية وعاصمتها أنطاكية[1]، وكانت مندوبة الرومانية تركت مدة ما بعض الإمارات قائمة بنفسها ينوب الحاكم فيها مناب الشعب الروماني ويخدم الحكومة بجباية الأموال الأميرية، لكنها ضمت كل هذه الأميريات الصغيرة على التعاقب إلى إقليم سورية، فضمت سورية الكومجانية سنة ٧٢ وكلشيس (عنجر) في أيام دوميتيانوس والأبلية وقصدت سوق وادي بردى سنة ٤٨ [ق.م][2].

أما سبتيموس ساويروس، فقسّم سورية إلى قسمين، وجعل القسم الأول إلى الشمال وفيه سورية الكومجانية وسورية المجوّفة أي السهول التي على ضفتي العاصي إلى أنطاكية والبحر وما بين الآكام ولبنان. والقسم الثاني في الجنوب والشرق وفيه سورية الفينيقية والشطوط البحرية وشرقي لبنان إلى وسط البرية ومنه بعلبك وحمص ودمشق وتدمر. ونصب حاكماً في القسم الأول ماريوس مكسيموس من أحسن قواد جيشه، ولا علم لنا بمن أقام في القسم الثاني من قادة جيشه المحنكين. وكان أهل أنطاكية حازبوا أعداءه فعاقبهم بصرامة الخ.

سنة ٦٣ ق. م، جاء بومبي القائد الروماني الفاتح إلى دمشق، وكان بطلمايوس بن مينا حاكماً في كلشيس (عنجر) فأبقاه على ولايته بعد أن غرّمهُ بدراهم وافرة إلى أن توفي نحو سنة ٤٠ ق. م.

(١) مدينة في شمال سوريا وسط سهل خصيب في الحوض الأدنى لنهر العاصي على مقربة من مصبه. بنى أنطاكية سلوقس الأول سنة ٣٠٠ ق.م مكان مستعمرتين قديمتين لليونان. وباتت أكبر مدن الامبراطورية الرومانية وأكثرها سكاناً بعد رومية والاسكندرية، وكانت تعتبر حاضرة الولايات الآسيوية قاطبة. تعرضت لغزوات الفرس وخربت على أيديهم مرتين، كما تعرضت لزلازل دمرتها. فتحها العرب عام ١٧هـ / ٦٣٨ م وظلت بأيديهم حتى انتزعها منهم أحد قادة الامبراطور اليوناني نقفور، وفي العام ١٠٨٤ فتحها السلطان سليمان الأول السلجوقي، لكنها وقعت في أيدي الصليبيين عام ١٠٩٨، حيث ارتكبوا فيها مذبحة مروّعة. لعبت هذه المدينة دوراً صناعياً وتجارياً وكانت ذات دور ثقافي بالغ الأهمية. راجع ج. ل. سترانج، ما كتبه الجغرافيون العرب عن أنطاكية، لندن، ١٨٩٠، الصفحات: ٣٦، ٦١، ٧١، ٣٦٧ و٣٧٧ (المحقّق).

(٢) وجد في أخربة ابيلية (سوق وادي بردى) في حائط كتابة تدل على أن ليسيانوس رئيس الربع في الابيلية وله خادم اسمه (نمغا) وليسيانوس هذا ليس ابن بطليموس الأول بل الثاني (المؤلف).

وسنة ٤٠ ق. م خلفه ابنه ليسيانوس فحكم على كلشيس والأبلية (سوق وادي بردى) ولبنان الشرقي وبعلبك، وامتد ملكه جنوباً إلى بانياس وبحيرة الحولة، ووجدت بعض مسكوكاته وفيها صورة على رأسه تاج من جهة، وفي الأخرى صورة بالاس واقفة مع خطوط دالة عليه. وتغلبت عليه كليوبطرة ملكة مصر، ثم خلفه ابنه زينودر وأبقى أوغسطوس كلشيس والأبلية وبعلبك لذرية ليسيانوس وزينودر.

وسنة ٣٠ ق. م جاء من مصر بعد تمهيد شؤونها الأمبراطور اقتافيوس وفي أثناء مروره بفلسطين أمَّر هيرودس الكبير على ولايته فيها وقدم آسية الصغرى ماراً بسورية المجوّفة ومهَّد أمورها وعاد بعد سنة إلى رومية.

وسنة ٢٣ ق. م أبقى أوغسطوس قيصر[٣] لزينودر خلف ليسيانوس وابنه الولاية على كلشيس والأبلية وبعلبك إلى أن مات زينودر في أنطاكية سنة ١٩ ق. م.

وبعد سنة ١٩ ق. م أي بعد موت زينودر، أعطى أوغسطوس هيرودس بانياس وسهول الحولة، وأبقى لذرية ليسانوس وزينودر كلشيس والأبلية وبعلبك. ووجدت كتابة في الأبلية تدل على ملكهم هذا فيها[٤].

وسنة ٢٠ ق. م سار أوغسطوس قيصر إلى الشرق ورتّب أموره، فأسند ولاية الأبلية (سوق وادي بردى) إلى ليسيانوس فكان رئيس ربع عليها. وكانت سورية بعهده إقليماً ملكياً وهي أهم الولايات وتحت إمرة واليها أربعة فيالق من الجنود. وقد ضمّت إلى ولايته ولاية سورية الكومجانية وأمريات لبنان.

---

(٣) مؤسس الامبراطورية الرومانية والامبراطور الأول لها، حكمها عام ٢٧ ق.م حتى مماته عام ١٤ م. تحالف مع ماركوس أنطونيوس وماركوس ليبيدوس لهزيمة قاتلي خاله يوليوس قيصر، لكن الحكم الثلاثي سقط وأعيدت الجمهورية، لكن أوغسطوس قيصر مارس سلطة استبدادية بوصفه ديكتاتوراً فقد تمتع بالعديد من السلطات، علماً أنه سمّى نفسه «المواطن الأول». بدأ حكمه بالسلام الروماني، ووسع مناطق نفوذه شمالاً وجنوباً، وأسس الممالك العازلة، وأصلح النظام الضرائبي وطوّر شبكات الطرق، الانترنت، الموسوعة الحرة ويكيبيديا وغيرها (المحقّق).

(٤) وجد في أخربة أبيلية (سوق وادي بردى) في حائط معبد كتابة تدل على أن ليسيانوس رئيس الربع في الأبيلية وله خادم اسمهُ (نمغا) وليسانوس هذا ليس ابن بطليموس الأول بل الثاني. (المؤلف).

وسنة ٥٠ م نُصّب أغريبا الثاني الشاب أو الصغير وهو ابن ٢٣ سنة ملكاً على كلشيس، وهي إمارة صغيرة في لبنان الشرقي، كانت قصبتها خلكيس أو كلشيس أو عنجر، وكان يليها قبله عمّه هيرودس أخو أغريبا الأول أبيه.

وسنة ٥٢ م أقامه كلود ملكاً على ربع حوران وولاية الأبلية التي فيها ليسنياس، وكانت نقودهُ عليها صورة رأس أغريبا على أحد الوجهين وعلى الثاني مرساة (علامة الرجاء) وتاريخ سنة عشرة، وهي سنة تملكه كلشيس فتكون سنة ٥٠ للميلاد.

وسنة ١١٧ م، ملك هادريانوس أو أدريانوس، وتفقد المملكة بنفسه، وجاء سورية وعرف شؤون مملكته، وقسم سورية إلى ولايتين، إحداهما في الشمال وسمّاها ولاية سورية المجوّفة وأقام فيها فيلقين من الجنود. والثانية في الجنوب وسماها سورية الفينيقية وأقام فيها فيلقاً واحداً، وكانت هذه الفيالق منقسمة إلى كتائب أو فرق، تقوم كل فرقة في مدينة أو حصن، ووجدت كتابات كثيرة بأسمائهم.

وسنة ١٩٧ م صار سبتيموس ساويروس امبراطوراً فقسم سورية إلى قسمين جعل القسم الأول إلى الشمال وفيه سورية الكومجانية وسورية المجوفة أي السهول التي على ضفتي العاصي إلى انطاكية والبحر وما بين اللكام ولبنان. والقسم الثاني في الجنوب والشرق وفيه سورية الفينيقية والشطوط البحرية وشرقي لبنان إلى وسطه البرية ومنه بعلبك وحمص ودمشق وتدمر. ونصّب حاكماً في القسم الأول ماريوس مكسيموس من أحسن قواده في القرن الثاني للميلاد. وأصلح الطرق وتوجد كتابات كثيرة تدل على أعماله ومساعيه الحسان.

وسنة ٢٧٦ م، ملك مرقس أوريليوس الملقب بروبس التقي أو الفاضل، وكان يشغِّل الجنود بما يعود على بلاده بالنفع. فجفف المستنقعات، وافتتح الطرقات والأقنية، وناظر هذه الأعمال بنفسه. ولا شك أنه جفف البقاع وأنشأ فيه طرقاً وأقنية لجر المياه ولتحسين الزراعة. على أن هذا العمل لم يرق للجند، فثاروا عليه وقتلوه سنة ٢٨٢م.

٢٩٧ م، كان سكان بعلبك متحمسين للوثنية أشد حماسة، فلما تنصّر جلاسينوس الممثّل وأبى أن يمثل في المشهد الوثني، قاموا عليه وقتلوه.

٣٦١ م، ملك يوليانوس الإمبراطور المرتدّ، فأعاد الديانة الوثنية، معزّزاً شؤونها، قائماً بنشرها، ولذلك قام سكان بعلبك الوثنيون على سكانها المسيحيين، ونكّلوا بهم أشد تنكيل، وقتلوا الراهب كيرلّس، الذي كان قد حطّم أصنامهم، وتحامل على الوثنية، فمثّلوا بهِ وقطعوهُ إرباً إرباً، وأكلوا كبدهُ تشفياً منه وانتقاماً، ونُفي المسيحيون على إثر ذلك من الاسكندرية إلى بعلبك، إذ لم يبق فيها مسيحيون يعتنون بهم. وهجم البعلبكيون على دير هناك (لعلّه دير الأحمر)، كانت فيه عذارى مترهبات، فأخذوهنّ وأتوا بهنّ إلى ساحة المدينة الكبرى، بين[1] الشعب المتحمس، وعروهنّ من ملابسهنّ، واعتدوا عليهنّ بما لا يمكن تصوُّره. وبعد أن نكلوا بهنّ أشدّ التنكيل، قطعوا رؤوسهنّ وبقروا بطونهنّ وأخرجوا أمعاءَهُنَّ مع قلوبهنّ وخلطوها بدقيق الشعير، وبمواد أخرى تحبّها الخنازير وطرحوها أمامها غذاءً لها.

٣٧٩ م، قام الإمبراطور ثيودوسيوس الكبير[2] وضرب الوثنية ضربة قاضية، فلم يقفل هياكل الأصنام كما فعل قسطنطين العاهل، بل قوّض أركانها تقويضاً، وحوّل هيكل الشمس البعلبكي إلى كنيسة، ووقف بالمرصاد للوثنية في المدينة وضواحيها حتى امّحت آثارها، أو كادت منذ ذلك الحين.

في عهد دولة الإسلام

وسنة ١٤ هـ أو ١٥ هـ (٦٣٥ م أو ٦٣٦ م) روى ابن عساكر (١: ١٥٩): «قال ابن

(١) المقصود أن الراهبات وُضعن بين الجموع الهائجة (المحقّق).

(٢) آخر امبراطور للامبراطورية الرومانية الموحدة قبل انقسامها، تبنّى المسيحية عام ٣٨٠ وجعلها الدين الوحيد للدولة عام ٣٩١، وهو من أصدر أوامره بإحراق مكتبة الاسكندرية لأنها كانت تحوي أفكاراً ومؤلفات وفلسفات وثنية تخالف العقيدة المسيحية، كما أمر بنقل مسلة تحوتمس الثالث من جوار معبد الكرنك إلى القسطنطينية، وألغى الألعاب الأولمبية باعتبارها ألعاباً وثنية. وقد أطلق عملية تحويل المعابد الوثنية إلى كنائس. موقع المعرفة - الانترنت (المحقّق).

الكلبي، بعث أبو عبيدة [بن الجراح] خالداً بن الوليد[1]، فغلب على أرض البقاع وصالحه أهل بعلبك وكتب لهم كتاباً.

وقال ابن المغيرة عن أبيه: صالحهم على أنصاف منازلهم وكنائسهم ووضع الخراج.

وقال ابن اسحق وغيره يعنون سنة ١٤: فُتحت حمص وبعلبك صلحاً على يدي أبي عبيدة [بن الجرَّاح] في ذي القعدة ويقال في سنة ١٥».

وفصل الواقدي الفتوح بقوله في صفحتين ٦٠ و٧٢ من طبعة كتابه المصرية سنة ١٣٢٤ هـ (١٩٠٦ م) بما محصلّهُ: سار أبو عبيدة على طريق البقاع واللبوة، فلما وصل إلى هناك، بعث خالد بن الوليد إلى حمص وسار هو إلى بعلبك، إذ ورد بطريق جوسية ومعه الهدايا والتحف، وصالح المسلمين سنة كاملة وقال: إن فتحتم بعلبك - اللبوة فأنا بين أيديكم ولا نخالف لكم قولاً، فصالحهم أبو عبيدة على أربعة آلاف درهم وخمسين ثوباً من الديباج. فلما انبرم الصلح، سار أبو عبيدة يطلب بعلبك فما بعد من اللبوة، إلاّ وقد أشرف عليه راكب نجيب، فإذا هو أسامة بن زيد الطائي[2]، يحمل إليه كتاباً من الإمام عمر بن الخطاب من المدينة في ارتداد جبلة بن الأيهم الغساني[3] وقومه إلى النصرانية بعد إسلامهم، وأنه توجه إلى بني كلب الطاغية، وهو يحضه على فتوح حمص صلحاً أو قتلاً وبث العيون على أنطاكية

(١) هو خالد بن الوليد بن مغيرة بن لؤي بن غالب بن فهر بن قريش... ولد عام ٣٠ ق. هـ وتوفي عام ٢١ هـ (٥٩٢ - ٦٤٢م) ينتمي إلى قبيلة مخزوم ووالده وجده من سادتها، وكانت له قيادة الفرسان في حروب قريش. لقبه الرسول «سيف الله المسلول» وهو من أبرع القادة العسكريين الذين أنجبهم العرب والمسلمون. قاد الجيوش الإسلامية في معارك الردة وفي قتال الروم والفرس وتمكن بفضل عبقريته العسكرية من الانتصار عليهم في معارك غيّرت وجه المنطقة. ورد ذكره في مختلف المصادر التي تناولت المرحلة الأولى للبعثة النبوية وحروب الردة والفتوحات، ولاسيما لدى ابن هشام والواقدي والطبري والبلاذري واليعقوبي والمسعودي وغيرهم (المحقّق).

(٢) صحابي جليل، هاجر مع الرسول إلى المدينة، وأمّره الرسول قبل أن يبلغ العشرين. توفي سنة ٥٤هـ / ٦٧٣م (المحقّق).

(٣) آخر ملوك الغساسنة في الشام. عاش زمناً في الجاهلية، وقاتل المسلمين في دومة الجندل، ثم أسلم وهاجر إلى المدينة وارتدّ فيها إثر حادثة مشهورة حدثت زمن الخليفة عمر بن الخطاب. توفي سنة ٢٠ هـ / ٦٤١م (المحقّق).

والمتنصرة. فسار إلى حمص لاحقاً بخالد الذي كان قد هاجمها بثلث الجيش، فصالحهم على عشرة آلاف دينار[1] ومائتي ثوب ديباج، ثم ساروا إلى فتح قنسرين[2] والعواصم، ثم ارتأوا أن يعودوا عن التقدم في الفتوح إلى حلب وأنطاكية وما إليهما خشية أن يتحصّن أهل شيزر وأرمين وحمص وجوسية وبعلبك، ويتقووا ولا سيما بعلبك وحصنها، فإنهم أولو شدة وعديد[3]. فعادوا فوجدوا البلاد كما قالوا، فلما نظر أبو عبيدة إلى ذلك، ترك على حمص خالد بن الوليد وسار هو إلى بعلبك فلما دنا منها التقى بقافلة عظيمة فيها البغال والدواب أقبلت متجهة من الساحل إلى بعلبك وهي من الروم، ومعظم أحمالها سكّر للبعلبكيين. فلما علم ذلك قال أبو عبيدة: «إن بعلبك لنا حرب، وليس بيننا وبينهم عهد، فخذوا ما قد ساقه إليكم، فإنها غنيمة من عند الله». فأخذوا القافلة، وإذا فيها أربع مائة حمل من السكّر والفستق والتين وغير ذلك، وأسروا أهلها واستفدوهم بالمال، فتفادوا بالذهب والفضة والثياب والدواب. وهرب قوم من القافلة وأخبروا البعلبكيين بما جرى. وكان على بعلبك بطريق عظيم اسمه هربيس، فخرج بالعسكر المسلح، إلى أن التقى بعسكر أبي عبيدة، فلم ينتصح برأي أحد قوّاده، بل هاجم عساكر المسلمين بنحو سبعة آلاف من جنده، عدا بعض من تبعه وانهزم، فدخل المدينة بسبع[4] جراحات في جسمه، فأغلقوا أبواب المدينة الحصينة وأحدق بها عسكر أبي عبيدة، ثم كتب كتاباً إلى البطريق يدعوه إلى الصلح، فافترق الناس قسمين بين صلح وحرب، وقوي حزب الحرب، فعاد الرسول خائباً، فحمل المسلمون على القلعة والمدينة وأسوارها، وتراموا بالسهام والأحجار، ونصب هربيس كرسيه وسريره على برج من أبراج القلعة من ناحية النحلة (وفي النسخة المطبوعة النملة)، وقد عصب جراحاته، وكانت سهام الروم كالجراد المنتشر، وكان البرد شديداً، والقتال مستمراً، ثم جرى القتال

(١) الدينار تساوي قيمته عشرة دراهم من الفضة. والوَرِق بكسر الراء الفضة. (ابن عساكر) (١: ١٧٩). (المؤلف).

(٢) سميّت قنسرين لأن ميسرة بن مسروق مرّ عليها فلما نظر إليها قال: ما هذه؟ فسميت له بالرومية. فقال: والله لكأنها قِنّ نِسرٍ، معجم البلدان ٤: ٤٠٣ (المحقّق).

(٣) أنظر: معجم البلدان ٤: ٤٠٣ حيث ذكر هذه الحادثة.

(٤) سبعة.

على أبواب المدينة ولا سيما باب الشام، واشتد الحصار حتى ضاق ذرع الروم، وأراد هربيس أن يستصرخ صاحب عين الجوز[1]. وصاحب جوسية، فقيل له إن الأول مع قومه مشتغلون بتجارتهم في أقصى بلاد الشام، والثاني محاصر مثلنا، وما زالوا يعالجون أمر الصلح إلى أن تم لهم بغرامة قدرها ألفا أوقية من الذهب الأحمر، وألف أوقية من الفضة البيضاء، وألف ثوب من الديباج، وخمسة آلاف سيف من المدينة وسلاح المحاصرين، وخراج الأرض في العام الآتي، وأداء الجزية في كل عام، على شرط أن لا يحمل الروم سلاحاً عليهم، ولا يكاتبون ملكاً، ولا يحدثون حدثاً ولا كنيسة، ويرون النصح للمسلمين. فدخل العرب المدينة وتولى أمرها رافع بن عبد الله السلمي.

وهمَّ أبو عبيدة بالرحيل إلى حمص، فورد عليه صاحب عين الجوز، فصالحه على نصف ما صالحه عليه أهل بعلبك، وولّى عليهم سالم بن ذُويب السلمي وأوصاه بمثل ما أوصى به رافع بن عبد الله السلمي القرشي حاكم بعلبك بالعدل والرفق والسهر على الرعية والحذر من الأعداء وحفظ الجيش، وكان قد ضمّ إليه خمسمائة فارس من بني عمه وعشيرته القرشية، وأربع مائة فارس من أخلاط المسلمين.

ورحل أبو عبيدة يطلب حمصاً، فلما وصل إلى بين الرأس والفيكة (في الأصل الكفيلة)، لاقاه صاحب الجوسية ومعه هدية كثيرة، فقبلها منه وجدّد معه صلحاً، وواصل مسيرهُ إلى حمص.

وروى البلاذري نقلاً عن الواقدي أنه سنة ١٣ هـ (٦٣٤ م) جادَ[2] خالد بن الوليد

(١) عين الجوزة على حدود بعلبك ودمشق، موقعها قرب عسال الورد على بعد نحو ١٢ كيلومتراً عن عسال الورد، قربها تل عسال يطل على بلاد بعلبك، وفيها آثار هيكل روماني قديم يطلق عليه العامة اسم (قصر النمرود) وأعمدته واقفة منقوشة ضخمة وحجارة كبيرة قائمة، وهي حصينة، الموقع شديد البرد شتاءً على خط جوسية، وجوسية شماليها بأرض حمص، وبينهما بعد شاسع على الماشي يعلم، وهي اليوم تخص [... لم يذكره المؤلف]، وفيها سكان مسلمون نحو ٢٠ بيتاً، والعرب ينزلون في ضواحيها لعلهم الحروك في الأغلب. (المؤلف).

(٢) الصواب جاء (المحقّق).

حوّارين من سنير فأغار على مواشي أهلها فقاتلوه وقد جاءهم مدد أهل بعلبك وأهل بصرى وهي مدينة في حوران، فظفر بهم، فسبى وقتل ثم أتى مرج راهط، فأغار على غسان في يوم فصحهم وهم نصارى، فسبى وقتل، ووجه خالد بسراً بن أبي أرطأة العامري من قريش وحبيب بن مسلمة الفهري إلى غوطة دمشق، فأغارا على قرى من قراها. وصار خالد إلى الثنيّة بدمشق، فوقف عليها ساعة ناشراً رايته السوداء التي كانت للنبي (صلعم)، فسميت ثنية العقاب، والعرب تسمي الراية عقاباً ونزل خالد في دمشق.

وروى البلاذري أيضاً عن أمان البعلبكيين قال: ولما فرغ أبو عبيدة من أمر مدينة دمشق، سار إلى حمص فمرّ ببعلبك، فطلب أهلها الأمان والصلح فصالحهم على أن أمّنهم على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم وكتب لهم:

«بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب أمان لفلان بن[1] فلان وأهل بعلبك رومها وفُرسها وعربها على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم ودُورهم داخل المدينة وخارجها وعلى أرجائهم، وللروم أن يرعوا ما بينهم وبين خمسة عشر ميلاً، ولا ينزلوا قرية عامرة، فإذا مضى شهر ربيع وجمادي الأولى ساروا إلى حيث شاؤوا، ومن أسلم منهم فلهُ ما لَنَا وعليه ما علينا، ولتجارهم أن يسافروا إلى حيث أرادوا من البلاد التي صالحنا عليها، وعلى مَنْ أقام منهم الجزية والخراج. شهد الله وكفى بالله شهيداً». (أ. هـ.).

سنة ٤٢ هـ (٦٦٢ م) روى البلاذري في فتوح البلدان قال: وحدثني أبو اليسع الأنطاكي عن أبيه عن مشايخ أهل أنطاكية والأردن قالوا: نقل معاوية قوماً من فُرْس بعلبك وحمص وأنطاكية إلى سواحل الأردن، صور وعكا وغيرها سنة ٤٢، ونقل من أساورة البصرة والكوفة وفُرس بعلبك وحمص إلى أنطاكية في هذه السنة أو قبلها أو بعدها بسنة جماعة، فكان من قُواد الفرس مسلم بن عبد الله جدّ عبد الله بن حبيب بن النعمان بن مسلم الأنطاكي، وقُتل مسلم على باب من أبواب أنطاكية يعرف باسم باب مسلم، وذلك لما خرجت الروم من الساحل فأناخت على أنطاكية، فرماه أحدهم وهو على السور بحجر فقتله.

(١) ابن.

الأمراء المردة سنة ٦٨٥ م: كان في قب إلياس الأمير يوحنا بن[1] الأمير يوسف من أمراء المردة سكان بسكنتا (لبنان) بجيشه يغزو الجبل الشرقي ويشن الغارة على الحج إلى أن قطع السابلة على المارة، وهكذا تتابع تملك أمراء المردة للبقاع وبعض جهات بعلبك.

سنة ٧٠ هـ (٦٨٩ م) ثار الروم على مَنْ في الشام من المسلمين واستجاشوا الجراجمة في جبل اللكام وهم سكان مدينة جرجومة عند معدن الزاج فيما بين بياس وبوقا، وكانوا قد لحقوا بالروم وكذلك أثاروا لبنان، فضوت إليهم جماعة من الجراجمة والأنباط وعبيد أباق من عبيد المسلمين، فاضطر عبد الملك بن مروان الأموي على مصالحتهم بتأدية ألف دينار لهم في كل جمعة خوفاً على المسلمين، وصالح طاغية الروم على مال يؤديه إليه لشغله عن محاربته وتخوفه أن يخرج إلى الشام، فيغلب عليه واقتدى في صلحه بمعاوية بن[2] ابي سفيان، حيث شُغل بحرب أهل العراق، فإنه صالحهم على أن يؤدي إليهم مالاً وارتهن منهم رهناء وضعهم ببعلبك، ووافق ذلك أيضاً، طلب عمرو بن سعيد بن العاصي[3] الخلافة وإغلاقه أبواب دمشق حين خرج عبد الملك عنها، فازداد شغلاً وذلك في سنة ٧٠، ثم سعى عبد الملك، فقتل الرومي، ومن معه، ونكل بمن شايعه، فتفرق الجراجمة في قرى حمص ودمشق، ورجع أكثرهم إلى جرجومة مدينتهم في جبل اللكام، وأتى الأنباط قراهم، فرجع العبيد إلى مواليهم.

قال البلاذري الذي روى هذه القصة نقلاً عن الواقدي قال: «خرج بجبل لبنان قوم

(١) ابن.

(٢) والمعروف أن صلح معاوية هذا حدث بعد مصرع الخليفة الرابع علي بن طالب وجاء في «أعقاب هجوم من جانب طاغية الروم فخاف أن يشغله عما يحتاج إلى تدبيره وإحكامه فوجه اليه فصالحه على مائة ألف دينار. وكان معاوية أول من صالح الروم وكان صلحه إياهم في أول سنة ٤٢ هـ ٦٦٢ م». راجع تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، الطبعة السادسة ١٩٩٥، ج. ٢، ص. ٢١٧ (المحقّق).

(٣) الصواب عمرو بن سعيد بن العاص وهو الملقب بالأشدق، وكان عبد الملك في العام ٧٠ هجرية/ ٦٨٩ م قد خلفه على دمشق فخرج عليه فيها، فدبر الخليفة الأموي مقتله ورمى قاتلوه برأسه والدنانير إلى جماعته فأخذوا الدنانير وتفرقوا عنه بعد مصرعه. راجع المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق شارل بلا، منشورات الجامعة اللبنانية، ١٩٧٠، ج. ٣، ص. ٣٠٤- ٣٠٥ (المحقّق).

شكوا عامل خراج بعلبك، فوجه صالح بن علي بن عبد الله بن عباس من قتل مقاتليهم، وأقرّ من بقي منهم على دينهم وردّهم إلى قراهم وأجلى قوماً من أهل لبنان». وقيل إن الإمام الأوزاعي كتب إلى صالح رسالة منها: «وقد كان من إجلاء أهل الذمة من جبل لبنان ممن لم يكن ممالئاً لمن خرج على خروجه ممن قتلت بعضهم، ورددت باقيهم إلى قراهم ما قد علمت فكيف تؤخذ عامةً بذنوب خاصّة حتى يخرجوا من ديارهم وأموالهم وحكم الله تعالى: أن لا تزر وازرة وِزْرَ أُخرى، وهو أحق ما وقف عنده واقتدى به، وأحق الوصايا أن تحفظ وترعى وصية رسول الله (صلعم) فإنه قال: مَنْ ظلم معاهداً وكلّفه فوق طاقته فأنا حجيجه». (أ. هـ).

نحو سنة ٩٠ هـ (٧٠٧ م) روى ابن خلدون (٣٠٩:٤) ما نصه: «ادعى ذكرويه بن مهداويه داعية القرامطة باسم يحيى وكني بأبي القاسم، وزعم أنه محمد بن عبد الله بن المكثوم بن إسماعيل الإمام فلقبوه (المدّثر). وزعم أنه المشار إليه في القرآن. ولقب غلاماً من أهله (المطوّق)، وسار من حمص إلى حماة ومعرة النعمان إلى بعلبك إلى سلمية، فقتل جميع من فيها حتى النساء والصبيان والبهائم، ونهب سائر القرى من كل النواحي، وذلك نحو سنة ٩٠ هـ». (أ. هـ).

سنة ١٣٨ هـ (٧٥٥ م) روى الصلاح الصفدي في كتابه تحفة ذوي الألباب في من حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب المخطوطة أنه تولى دمشق (يزيد بن رياح اللخمي) كان أميراً على بعلبك، وكان صالح بن علي بمصر على طاعة أبي جعد، فلما بلغه أن عبد الله بن علي قد خلع (أبي جعد)، أقبل صالح بمن معه فلقي الحكم بن صعبان الجذامي ومعه خلق كثير، وأفلت الحكم حتى أخذه يزيد بن رياح ببعلبك وضرب عنقه وبعث برأسه إلى صالح، فبعث به إلى المنصور وولى صالح بن علي يزيد بن رياح أمرة دمشق وذلك في سنة ثمانٍ وثلثين ومائة.

سنة ١٤٠ هـ (٧٥٧ م) أو ١٤١ هـ (٧٥٨ م) في زمن أبي جعفر عبد الله بن محمد أمير

المؤمنين[1]. كانت قطائع للعرب على ما فصلها ابن عساكر في تاريخه الكبير المطبوع حديثاً في دمشق (٣٨٢:١) «...ثم صارت أشرية بيد أهلها يؤدون العشر عنها ولا جزية عليها. فرفعت إلى ابي جعفر تلك الأشرية، وأنها تؤدي العشر ولا جزية عليها، وأن ذلك أضرَّ بالخراج وكسرهُ، فأراد ردها إلى أهلها، فقيل له: قد وقعت في المواريث والمهور واختلط أمرها. فبعث بالمعدلين إلى كُوَر الشام (في تلك السنة) منهم عبد الله بن يزيد إلى حمص وإسماعيل بن عياش إلى بعلبك في أشباهٍ لهم، فعدّلوا تلك الأشرية على من اتصلت إليه بشراء أو ميراث أو مهر، فعدلوا ما بقي بيد الأنباط من بقية الأرض على تعديل مسمّى ولم تعدل الغوطة في تلك السنة...».

١٤٢ هـ أو ١٤٣ هـ (٧٥٩ م أو ٧٦٠ م) ذكر ابن عساكر في تاريخ الشام المطبوع (٣٤١:٥): «إن إمرة الشام وليها رياح بن عثمان بن حيان بن معبد بن شداد وذلك لصالح بن علي الهاشمي أمير الشام ومصر من قبل المنصور... ومن الوقائع في زمن رياح أن الروم دخلوا طرابلس ثم ظهر في لبنان رجل من أهل المنيطرة شاب ممتلئ الجسم وذلك في سنة اثنتين أو ثلاث وأربعين ومائة وسمّى نفسه الملك ولبس التاج وأظهر الصليب واجتمع عليه أنماط[2] جبل لبنان وغيرهم ثم استفحل أمرهم فسبوا بعض قرى البقاع فقتلوا المسلمين وأخذوا ما وجدوا وكتب بندار الملك إلى أهل بعلبك يعلمهم بمصيرهم ويأمرهم بقتالهم، فتأهبوا وقاتلوهم في أسفل جبل لبنان، ثم أظهروا الهزيمة، فأمعنوا في الطلب، فلما بعدوا عن الجبل كرّت عليهم خيل بعلبك، فقتلوا منهم مقتلة عظيمة وانهزم بقيتهم، ثم إنهم هاجموهم في قلعتهم فظهروا عليهم وامتلكوها منهم، وهرب بندار إلى بلاد الروم، فكتب

---

(١) أبو جعفر المنصور (١٣٦–١٥٨ هـ) (٧١٢–٧٧٥م) هو الخليفة الثاني في الدولة العباسية بعد شقيقه أبو العباس السفاح. يعود له الفضل في إرساء دعائم هذه الدولة بعد قضائه على عمه عبد الله بن علي وأبي مسلم الخراساني. لكن أبقى إنجازاته يتمثل في بنائه عاصمة الخلافة بغداد. كما جابه العديد من الثورات وتمكن من القضاء عليها. راجع أخباره لدى الطبري والبلاذري واليعقوبي والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد، وفاروق عمر في كتابه «العباسيون الأوائل» وزهير هواري «السلطة والمعارضة في الإسلام» وغيرها من المصادر والمؤلفات التي تناولت تلك الفترة (المحقّق).

(٢) يستعمل المؤلف هنا كلمة أنماط والصواب أنباط، وهي تسمية كانت تطلق عموماً على الفلاحين، وقد تكون خطأ كتابياً (المحقّق).

حينئذٍ صالح بن علي يأمر بإخراج من بقي من الجبل وتفريقهم في بلاد الشام وكفورها يعني قراها». (أ. هـ.) نقلاً بالحرف.

نحو سنة ٢٨٣ هـ (٨٩٧ م) ظهر القرامطة[1] نسبة إلى زعيمهم (كرميتة) وهو اسم نبطي لحمرة العين وكان أحمرها، ثم خفف فقالوا قرمط وتبعه بعض سواد الكوفة والبادية وقام بالدعوة للمسيح (عيسى) مدعياً الألوهية ومرسلاً اثني عشر رجلاً كالحواريين (الرُّسل) فحدثت مشاغب ونفرات كثيرة على إثر هذه الشيعة وجاء بعضهم إلى الشام، وجمع قوماً من الاعراب، وحدثت مواقع بينهم وبين طغج بن جف والي دمشق من قبل هارون بن خمارويه، وحاصروا دمشق، فقتل يحيى زعيم القرامطة وولّي مكانهُ أخوه الحسين، فحاصر حمص وفتحها ومضى إلى دمشق، فصالحه أهلها على مال وعاد إلى حمص وأخذ حماة والمعرّة، وقتل كثيرين وعاد إلى بعلبك وقتل أكثر أهلها، وسار إلى سلمية، فحارب أهلها واستأمنوه فأمنهم، ثم فتك بهم حتى الأطفال والبهائم.

٢٩٠ هـ (٩٠٢ م) فتح القرامطة بعلبك وقتلوا أهلها واستبقوا قليلاً منهم.

٣٦٣ هـ (٩٧٣ م) روى الصلاح الصفدي (تحفة ذوي الألباب): أبو الحسن بن المنجا المعروف بالشيخ، ولي دمشق هو وابنه أبو عبد الله، وكان أبو الحسن قد قدم والياً على دمشق في ذي القعدة سنة (٣٦٢)، وقدم ابنه أيضاً والياً في شهر رمضان من السنة أيضاً من جهة القرمطي فأقامه إلى أن غلب عليها ظالم العقيلي، فقبض عليهما في شهر رمضان سنة (٣٦٣)، وكان ذلك بمراسلة من المصريين، فقصده ظالم من بعلبك، وكان ابن منجا قد حبس عن الجند العطاء فأعانوه على المذكورين، فوضعهما في قفص خشب وجهزهما إلى مصر فحبسا بها. (أ. هـ.).

---

(١) ظهر القرامطة في منطقة السواد بالعراق في النصف الثاني من القرن الهجري الثالث/ أواخر القرن التاسع الميلادي، وكان من أبرز قادتهم الحسين الأهوازي وحمدان بن الأشعث - قرمط، لكن الحركة تعرضت إلى انشقاقات، علماً أن هذه الحركة هي انشقاق عن الحركة الإسماعيلية بالأصل. وقد شغلت الحركة القرمطية ردحاً من تاريخ الصراع السياسي والطبقي في الإسلام، وانضوت فيها بطون عربية ومجاميع من الفلاحين المستضعفين وشملت في مراحل متعددة المنطقة الممتدة من البحرين حتى بلاد المغرب العربي. راجع: حسن بزون، القرمطية بين الدين والثورة، دار الحقيقة، بيروت، ط. ١، ص٣٥- ٤٦ وغيره من المصادر (المحقق).

٣٦٤ هـ (٩٧٤ م) لما قصد هفتكين[1] التركي المستولي على دمشق محاربة ظالم ابن مرهوب أمير بعلبك من جهة المعزّ العبيدي، كتب إلى الأمير تميم يطلب منه أن يوافيه بالرجال إلى بعلبك وأن لا يقبل ابن مرهوب إذا التجأ إليه، فأجابه جواباً غريباً. فوقع ذلك بقلبه، ثم قدم إلى بعلبك فانهزم ابن مرهوب واختبأ عند الأمير تميم[2] وكتب ابن مرهوب إلى المعزّ يخبره، فأمره بالإقامة في صيداء[3]، ثم رجع هفتكين عن بعلبك بسبب قدوم الإفرنج إلى الشام.

٣٦٤ هـ (٩٧٤ م) روى سعيد بن بطريك[4] ٢: ١٤٥، فيها غزا ياليس بن الشمشقيق الشام، ونزل على بعلبك وفتحها يوم السبت في نصف رمضان وأخربها وأخذ جماعة من أهلها وأسر حسين (حسن) بن الصمصام، وقاطع أهل دمشق على ستين ألف دينار يحملونها إليه في كل عام وكتب عليهم بذلك كتاباً وأخذ فيه خطوط الأشراف وأخذ جماعة منهم رهينة عنده[5].

٤٣٣ هـ (١٠٤١ م) ذكر المؤرخون أنه فيها نقل رأس يحيى (عم)، من بعلبك إلى مقام إبراهيم في قلعة حلب بزمن أبي علوان ثمال بن صالح المرداسي الملقب بعز الدولة وملكها.

سنة ٤٣٥ هـ (١٠٤٣م) ذكر محمد بن الشحنة الحلبي في كتابه (الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب) نقلاً عن ابن العظيمي أنه في هذه السنة ظهر ببعلبك في حجر منقور رأس يحيى بن زكرياء (عم) فنُقل إلى حمص، ثم منها إلى مدينة حلب في هذه السنة ودفن في (جامع القلعة) في جرن من الرخام الأبيض ووضع في خزانة إلى جانب المحراب وأغلقت ووضع عليها ستر يصونها.

٤٧٠ هـ (١٠٧٧ م) توفي الأمير رشد الدولة أبو الفوارس زنكي بن صالح بن محمود

---

(١) ويقال الفتكين وهو أبو منصور الشرابي التركي، هرب من بغداد إلى الشام ونزل بقرب حمص، فخرج إليه ظالم العقيلي من بعلبك ليقبضه فلم ينله. وكاتب أهل دمشق الفتكين فقدم بها وهرب. وكان مع الفتكين عسكر من بغداد، فغلب على دمشق يوم الأحد ٢٣ من شعبان سنة ٣٦٤ (المؤلف).

(٢) الأمير تميم هو من آل أرسلان أمراء لبنان. راجع (أخبار الأعيان للشدياق) ص ٦٥٦ (المؤلف).

(٣) صيدا.

(٤) الصحيح هو سعيد بن بطريق. (المحقّق).

(٥) روى يحيى بن سعيد الأنطاكي في ذيل تاريخ سعيد بن بطريق ٢: ١٤٥ (المؤلف).

بن مسعود بلا عقب وعمره ٤٨ سنة، وكان هماماً مكرماً عند الملوك. ولي المعاملات الكبيرة مثل اللجون وبعلبك وصفد وغيرها[١].

٤٧٤ هـ (١٠٨١ م) روى ابن تغري بردي في تاريخه ما يأتي: «فيها سلم ابن صقيل قلعة بعلبك إلى تاج الدولة تتش صاحب الشام، وكان مقيماً فيها من قبل المستنصر العبيدي وكان ذلك في صفر».

٣٨١ هـ (.... م)[٢] روى يحيى بن سعيد الأنطاكي في ذيل ابن البطريق: وحدث بدمشق زلزلة عظيمة يوم السبت سابع عشر المحرم وسنة إحدى وثمانين وثلاثمائة، وسقط منها زهاء ألف دار ومات تحت الردم خلق عظيم وخسف في........[٣] (بقرية من قرى بعلبك). وكانت الزلازل بدمشق وأعمالها وبعلبك وخرج الناس من دورهم إلى الصحراء والخيم، وقامت الزلازل متتابعة إلى يوم الجمعة.

روى سعيد بن البطريق في تاريخه طبع اليسوعيين ص ١٨٢ ما خلاصته: وقع في هذه السنة في قلعة فامية مضيق نار وأحرقها بكل ما كان فيها من القوت وغيره.

سنة ٤٨٤ هـ (١٠٩١ م) لما قدم السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان، وفد عليه أمراء الشام، فلما انصرفوا من عنده، أمر أخاهُ تاج الدولة تتش (تنش) صاحب الشام أن يذهب [إلى] دولة العلويين من ساحل الشام، ويفتح بلادهم، فسار إلى حمص، وفيها صاحبها خلف ابن[٤] ملاعب الكلابي[٥] وقد عظم ضرره وضرر ولده فحاصرها وملكها، ثم ملك قطعة عرقة وأماسية.

---

(١) أخبار الأعيان، صفحة ٦٦٣. (المؤلف).

(٢) الموافق ٩٩١ م.

(٣) بياض في الأصل.

(٤) بن.

(٥) هكذا روى ابن خلدون هذه الحادثة (١١:٥)، وأما أبو الفداء (٢٠٢:٢) فرواها باختصار سنة ٤٨٥ هـ (١٠٩٢ م)، وأما خلف بن ملاعب هذا فوصل أمره أبو الفداء (٢٢٠:٢) وقال إن رجاله وأصحابه كانوا يقطعون الطريق على الناس، فتفاقم ضررهم، فأخذ تنش حمص منه، وتقلبت بابن ملاعب الأحوال إلى أن دخل مصر، وأقام بها فسعى له بعضهم بقلعة فامية (المضيق)، فلما تسلمها خلع طاعة المصريين وعاد إلى قطع السابلة، فسعى قاضي فامية بقتله هو وبعض أولاده، وفرّ بعضهم، ثم جاء الفرنج وامتلكوا فامية وقتلوا القاضي الذي تغلب فيها (المؤلف).

سنة ٥٠٨ هـ (... م)[١] ذكر.... في مرآة الزمان: «وكان ابن صنجيل صاحب طرابلس قد خرج، فنزل عين الجن (والصواب عين الجر) وأخرب البقاع، فخرج إليه طغتكين والبرسفي من العراق في دمشق ليلاً وقتلا من أصحابه ثلاثة آلاف، وأسروا مثلهم وعادا إلى دمشق. وانهزم ابن صنجيل في نفر يسير».

وسنة ٥١٠ هـ (... م)[٢] جاء بدران بن صنجيل صاحب طرابلس البقاع فحارب البرسفي وطغتكين فانكسر بدران.

وسنة ٥١٨ هـ (١١٢٤م) قبض بلك بن بهرام بن أرتق صاحب حلب على الأمير حسّان البعلبكي[٣] صاحب منبج، وحاصر قلعة منبج فأُصيب بسهم قتلهُ، فاضطرب عسكره وتفرّقوا، ونجا حسّان صاحب منبج وعاد إليها وملكها.

سنة ٥٢٦ هـ (١١٣١ م) توفي تاج الملوك نوري بن طغتكين صاحب دمشق، فوصّى بالملك بعدهُ لولده شمس الملوك إسماعيل، ووصّى ببعلبك وأعمالها لولده شمس الدولة محمد. فاستولى محمد هذا على حصن الرأس وحصن اللبوة، فأوغر ذلك صدر أخيه إسماعيل فجاء واستعادهما، ثم حاصر بعلبك، فطلب أخوه منه الصلح، فأعاد عليه بعلبك وأعمالها.

سنة ٥٢٨ هـ (١١٣٣ م) روى ابن خلدون (١٥٧:٥) قوله: «ثم سار شمس الملوك إسماعيل صاحب دمشق إلى شقيف بيروت، وهو في الجبل المطل على بيروت وصيداء[٤]، وكان بيد الضحاك بن جندل البقاعي رئيس وادي التيم وهو ممتنع به وقد تحاماه المسلمون والإفرنج وهو يحتمي من كلٍّ منهما بالآخر، فملكه شمس الملوك في المحرم سنة ٥٢٨هـ وعظم ذلك على الإفرنج وخافوه، فساروا إلى حوران وعاثوا في جهاتها. وجمع شمس الملوك الجموع وناوشهم، ثم أغار على بلادهم من جهة طبرية، ففت ذلك في عضد الفرنج، ورحلوا عائدين إلى بلادهم، ثم وقعت الهدنة بينهم وبين شمس الملوك.

---

(١) الموافق ١١١٤م.

(٢) الموافق ١١١٦م..

(٣) لعله من أمراء الحرافشة إذ لا نعلم في بعلبك أمراء غيرهم. (المؤلف).

(٤) صيدا. والمقصود بشقيف بيروت هو قلعة الشقيف في ارنون بجنوب لبنان حالياً(المحقّق)

وفي هذه السنة (٥٢٨هـ) قال ابن الأثير في الكامل (٤:١١) في المحرم سار شمس الملوك اسماعيل صاحب دمشق منها إلى شقيف تيرون[١] وهو في الجبل المطل على بيروت وصيدا وكان بيد الضحاك بن جندل رئيس (وادي التيم)قد تغلب عليه وامتنع به فتحاماه المسلمون والفرنج يحتمي على كل طائفة بالآخرين، فسار شمس الملوك إليه في هذه السنة وأخذه منه في محرم.

وقال ابن الأثير (١٠: ٢٦٩- ٢٧٩): وكان بوادي التيم من أعمال بعلبك أصحاب مذاهب مختلفة من النصيرية والدرزية والمجوس وغيرهم وأميرهم اسمه الضحاك فسار إليهم بهرام[٢] سنة اثنين وعشرين وخمسماية وحصرهم وقاتلهم فخرج إليه الضحاك في ألف رجل وكبس عسكر بهرام فوضع السيف فيهم وقتل منهم مقتلة كبيرة وانهزم من سلم وعادوا إلى بانياس على أقبح صورة.

سنة ٥٣٠ هـ (١١٣٥ م) لحق الموالي بشمس الدولة محمد بن[٣] تاج الملوك في بعلبك، وبثوا السرايا إلى دمشق، فقامت في نواحيها حتى أسعفهم شهاب الدين صاحب دمشق بكل ما طلبوه، فرجعوا إلى ظاهر دمشق وتحالفوا مع شهاب الدين، الذي قتل في شوال سنة ٥٣٣ هـ (١١٣٨ م)، إذ اغتاله ثلاثة من مواليه في مضجعه بخلوته وهربوا، فنجا واحد منهم وأصيب الآخران، فكتب معين الدين أتز إلى أخيه شمس الدين محمد بن بوري

(١) هكذا ورد في ابن خلدون طبع مصر. والصحيح (شقيف تيرون) وروى أبو الفداء في تاريخه (٨:٣) شقيف بالقاف وهو تصحيف. وكرر ابن خلدون (شقيف) أيضاً بالقاف.

(٢) هو شيخ الاسماعيلية بهرام ابن أخت الأسداباذي صاحب قلعة بانياس وهو الذي قتله خاله الأسداباذي وسلمه قلعة بانياس وهرب إلى الشام... فاستجاب له أوباش الناس وطغامهم وكثر جمعه وأراد التقرب من ايلغازي، فأشار ايلغازي على طغتكين صاحب دمشق أن يجعله عنده فأخذه إليه واجتمع الناس حوله وعضده العزيز. والإسماعيلية إحدى الفرقة الشيعية، لكنها تنهي سلسلة الأئمة بالإمام السادس إسماعيل، وهي بهذا المعنى ترفض نزع إمامته ونقلها إلى ابن الإمام جعفر الصادق الثاني موسى الكاظم. وقد توفي إسماعيل في المدينة عام ١٤٣ هـ/ ٧٦١ م قبل وفاة أبيه بخمسة أعوام. راجع: دائرة المعارف الإسلامية، ج.٢، ص. ١٨٧- ١٩٣ والشهرستاني، الملل والنحل وغيرهما من مصادر كتب الشيعة والفرق (المحقّق).

(٣) ابن.

صاحب بعلبك بالخبر، فسارع ودخل دمشق وتبعه الجند والأعيان وفوّض أمر دولته إلى معين الدين أتز، مملوك جده وأقطعه بعلبك واستقامت أموره.

سنة ٥٣٢ هـ (١١٣٧ م) سار نور الدين زنكي إلى حماة ومنها إلى بقاع بعلبك، فملك حصن المجدل[١]، وكان لصاحب دمشق وراسله مستحفظ بانياس وأطاعه وسار إلى حمص فحاصرها.

سنة ٥٣٣ هـ (١١٣٨ م) كان صاحب بعلبك جمال الدين محمد بن ثوري بن طغتكين فملك دمشق عوض أخيه محمود الذي قتل في هذه السنة. فسار عماد الدين إلى بعلبك وحاصرها ونصب عليها أربعة عشر منجنيقاً، وطلب أهلها الأمان، فغدر بهم وصلبهم عن آخرهم، فاستقبح الناس ذلك وحذّروه، حتى إنه بعد سنة، حاصر دمشق وبذل لصاحبها جمال الدين المذكور بعلبك وحمص، فلم يأمنه لغدره المذكور[٢]. وفيها كثرت الزلازل في بلاد الشام وخربت مدنها.

وكانت بعلبك لمعين الدين أتز أعطاه إياها محمد لما ملك دمشق، وكان لأتز جارية يحبها، فأخرجها إلى بعلبك، فلما ملك زنكي بعلبك أخذ الجارية وتزوج بها في حلب وبقيت عنده حتى قتل على قلعة جعبر، فأرسلها ابنه نور الدين محمود بن زنكي إلى أتز، وكانت أقوى سبب في المحبة بينهما[٣].

سنة ٥٤١ هـ (١١٤٦ م) بعد قتل عماد الدين زنكي، قصد صاحب دمشق مجير الدين أبق حصن بعلبك وحاصره وكان فيه نجم الدين أيوب بن شاذي مستحفظاً فخاف أن أولاد زنكي لا يمكنهم إنجاده عاجلاً، فصالحه وسلم القلعة إليه، وأخذ منه إقطاعاً ومالاً وملكه عدة قرى من بلاد دمشق.

وسنة ٥٤١ هـ (١١٤٦ م) طال على عماد الدين حصار قلعة جعبر، فأرسل مع الأمير حسّان البعلبكي صاحب منبج يقول لصاحب قلعة جعبر علي بن مالك بن سالم بن مالك بن

(١) مجدل عنجر (المؤلف).

(٢) يشير إلى قصة حسان في سنة ٥١٨ هـ/ ١١٢٤م فراجعها (المؤلف).

(٣) ابن سباط. (المؤلف).

بدران بن المقلد بن المسيب العقيلي: «قل لي من يخلصك مني»؟ فقال صاحب قلعة جعبر لحسّان: «يخلصني منك الذي خلّصك من بلك بن بهرام بن أرتق»[1]. فرجع حسّان إلى زنكي ولم يخبره بهذا، فاستمر زنكي منازلاً قلعة جعبر إلى أن وثب عليه جماعة من مماليكه وقتلوه في ربيع الآخر من هذه السنة وهربوا إلى قلعة جعبر وأخبروا بما جرى.

قال ابن عساكر في سنة ٥٤١ هـ (٥:٣٨٥): زنكي التركي المعروف بابن قسيم ملك بعلبك.

سنة ٥٤٤ هـ[2] روى ابن سباط: وفيها حاصر زنكي دمشق وصاحبها جمال الدين محمد بن بوري، وبذل لصاحبها بعلبك وحمص، فلم يأمن إليه لسبب غدره بأهل بعلبك الخ.

سنة ٥٤٩ هـ (١١٥٤ م) ملك نور الدين بن زنكي دمشق، فاستولى الضحاك بن جندل البقاعي[3] على بعلبك لأنها كانت في يده، فامتنع بها وشغل نور الدين عنه بالفرنج. وكان مجير الدين أتز بن طغتكين قد راسل الإفرنج ضد نور الدين الذي غلبه على دمشق.

سنة ٥٥١ هـ (١١٥٦ م) تسلم الملك العادل نور الدين بعلبك.

سنة ٥٥٢ هـ (١١٥٧م) استنزل نور الدين زنكي الضحاك البقاعي عن بعلبك وملكها، وبنى أسوار مدن الشام التي هدمتها الزلازل ومنها سور مدينة بعلبك. وبنى المدرسة النورية فيها، وأسس مدارس كثيرة في حلب وغيرها. ووكل أمر تولية التدريس فيها إلى ابن أبي عصرون التميمي الموصلي الشافعي الذي ترأس المدرسة العصرونية في حلب، ثم جاء دمشق وتوفي فيها. وسنة ٥٧٠ هـ (١١٧٤ م) حدثت زلازل عظيمة خربت بعلبك وغيرها.

سنة ٥٦٤ هـ[4] (روى ابن سباط): ولما ملك عماد الدين قلعة بعلبك، جعل أيوب

---

(١) ويقال له أتابك زنكي بن أقسنقر. (المؤلف).

(٢) الموافق ١١٤٩ م.

(٣) قال ابن خلدون (٥:٢٤٣) إنه منسوب إلى بقاعة. وسكت أبو الفداء عن اسمه (٣:٣٣). (المؤلف).

(٤) الموافق سنة ١١٦٨ م.

مستحفظاً عليها، ولما حاصرها عسكر دمشق بعد موت زنكي، سلمها أيوب إليهم على إقطاع كبير شرطوهُ له وبقي أيوب من أكبر أمراء عسكر دمشق.

الأمراء التنوخيون القيسيون: وتملك هؤلاء الأمراء اقطاعات من ملوك عصرهم، كانت منها أراضٍ في البقاع وبعلبك من ذلك أنه في ١٣٦٠ م ولي الملك نور الدين كرامة بن بحتر القنيطرة وجلبايا في البقاع، وحاربوا أهل سورية المجوّفة مراراً سنة ٥٤٩ هـ/ ١١٥٤م ومحمد السلطان نور الدين محمود الأمير ظهير الدين التنوخي في وادي التيم عوض الجنادلة.

الأمراء المعنيون: ثم امتد ملك الأمراء المعنيين الذين نزلوا البقاع سنة ١١٢٠ م إلى البقاع وبعلبك ولا سيما في عهد كثير منهم أخصهم الأمير فخر الدين المعني. وبنى الأمير أحمد ابن الأمير يونس الحرفوش، زوج كريمته في مشغرة داراً، وامتد ملك الأمراء الحرافشة من بعلبك إلى البقاع في أيامهم، فاستعمروا مشغرة وقب الياس.

الدولة الأيوبية

ابتدأت هذه الدولة بصلاح الدين يوسف بن أيوب الذي ملك بعلبك سنة ٥٧٠ هـ (١١٧٤ م)[١].

قال ياقوت في معجم البلدان (١١٢:٤): (دُوِيْن) بلدة من نواحي أدّان في آخر حدود أذربيجان بقرب تفليس منها ملوك الشام بنو أيوب. وذلك سنة ١١٧٢ م (٥٦٨ هـ). فكان الملوك الأيوبيون يحكمون سورية ومصر تارة وأحياناً يفصلون الواحدة عن الأخرى.

وكان في بعض أنحاء سورية نوع من الاستقلال مثل حلب ودمشق وحمص وحماة وبعلبك، ولكل عمل إدارة على حدة، وإن كان الولاة عليها من الأمراء الأيوبيين. وكان الملك الأمجد بهرام شاه بن فروخ[٢] شاه حاكم بعلبك سنة ٥٧٨ هـ (١١٨٢ م) إلى سنة ٦٢٦ هـ (١٢٢٨ م) أي نحو ٤٩ سنة، وهو شاعر، بل أشعر ملوك بني أيوب، وفي مكتبتي (أنا المؤلف المعلوف) ديوانه المخطوط، نسخة بديعة موشاة بأصباغ ونقوش، وتوفي سنة ٦٢٧ هـ (١٢٢٩ م).

وفي الدارس للنعيمي المخطوط: في سنة ٦٤٣ هـ (١٢٤٥ م) استقرت بعلبك وبصرى بيد الصالح أبي الحسن إسماعيل بن[٣] الملك العادل سيف الدين أبي بكر، وذلك عام الخوارزمية، ثم أُخذتا منه ولم يبق له بلد يأوي إليه، فلجأ إلى المملكة الحلبية في جوار الناصر يوسف صاحب حلب.

وانقرض ملك الأمراء الأيوبيين في مصر سنة ١٢٥٥ م (٦٥٣ هـ) أي بعد أن حكموا (٨٣) سنة بقتل الملك الأشرف في مصر، وانقرض ملكهم بسورية بقتل

---

(١) راجع قبالته حوادث ٥٧٠ هـ/ ١١٧٤م (المؤلف).

(٢) راجع قبالته سنة ٥٧٥ هـ/ ١١٧٩. (المؤلف).

(٣) ابن.

هولاكو[١] ملك التتر الملك الناصر، وخلفهم المماليك البحريون أو المماليك التتر.

٥٥٦ هـ (١١٦٠ م) أقطع الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي الأمير كرامة بن بحتر التنوخي قرى بعضها من البقاع مثل القنيطرة وتعلبايا. والقنيطرة مزرعة سكانها متاولة، وتعلبايا قرب زحلة.

٥٥٧ هـ (١١٦١ م) روى أبو الفداء في تاريخه (٤٠:٣): في المحرم توفي الشيخ عدي بن مسافر الزاهد، المقيم ببلاد الكهارية[٢] من أعمال الموصل. وأصل الشيخ عدي من الشام من بلد بعلبك[٣]، فانتقل إلى الموصل وتبعه أهل السواد والجبال بتلك النواحي وأطاعوه وأحسنوا الظن به.

٥٦١ هـ (١١٦٥ م) مات في البقاع بعلبك هذه السنة الشيخ أبو محمد عبد الله بن محمد الأشيري المغربي إمام أهل الحديث والفقه والأدب بحلب خاصة. وبالشام عامة، وهو مشهور بأدبه، وذلك بينما كان عائداً من الشام.

٥٦٧ هـ (١١٧١ م) اتخذ نور الدين بالشام الحمام الهوادي وتسمّى المناسيب لنقل البطايق والأخبار.

٥٦٨ هـ (١١٧٢ م) سار صلاح الدين من مصر إلى الكرك، وكان نور الدين محمود بن

---

(١) هولاكو خان (١٢١٧ - ١٢٦٥م) أبرز قائد مغولي بالنظر إلى فتوحاته الواسعة، وهو باني الامبراطورية المغولية التي امتدت من جنوب شرق آسيا إلى غربها، وبلغت جيوشه بلاد الشام بعد اجتياحها عاصمة الخلافة العباسية بغداد وتدميرها بما فيها من قصور ومكتبات ومستشفيات ومبانٍ، مما أدى إلى بقائها خالية من السكان عدة سنوات. تصدى المماليك لجيوشه في معركة عين جالوت (٦٥٨هـ/ ١٢٦٠ م) وألحقوا بها الهزيمة على يد السلطان قطز وقائده الظاهر بيبرس، وحاول هولاكو إقامة تحالف مع الصليبيين وراسل البابا لهذه الغاية، الا أن هذا الحلف لم يتحقق. راجع: الهمداني رشيد الدين، جامع التواريخ مجد٢، وتاريخ هولاكو خان، دار احياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦٠، والمواقع الالكترونية (المحقّق).

(٢) الهكارية.

(٣) والأصل من البقاع من خربة قنافار حيث مرقد والده مسافر. (المؤلف).

زنكي قد توفي هذه السنة في دمشق، وهو الذي بنى أسوار مدن الشام التي خربتها الزلازل ومنها بعلبك، فسلم صلاح الدين بعلبك لابن المقدم.

سنة ٥٧٠ هـ (١١٧٤ م) ملك صلاح الدين الأيوبي قلعة بعلبك. وفي هذه الأثناء غزا الإفرنج من صيداء[1] البقاع وبعلبك، فوصلوا هذه وسماها غوليلمس الصوري في تاريخه (أميكارا)، وهو خطأ، وعادوا إلى صيداء[2] غانمين.

وفي ابن خلدون[3] (٥: ٢٩١ – ٢٩٣) تفصيل الحادثة أكثر مما فصّله أبو الفداء. وهاك ما جاء في ابن خلدون: «كان شمس الدين محمد بن المقدم صاحب بعلبك، وأغار جمع من الإفرنج على البقاع من أعمال حلب (والصحيح دمشق). فسار إليهم وأكمن لهم في الغياض حتى نال منهم وفتك فيهم وبعث إلى صلاح الدين بمائتي أسير منهم، وقارن ذلك وصول شمس الدولة توران شاه بن أيوب من اليمن، فبلغه أن جمعاً من الإفرنج أغاروا على أعمال دمشق، فسار إليهم ولقيهم بالمروج، فلم يثبت وهزموه، وأسر سيف الدين أبو بكر بن السلاّر من أعيان الجند بدمشق، وتجاسر الفرنج على ملك الولاية. ثم اعتزم صلاح الدين على غزو بلاد الفرنج، فبعثوا في الهدنة وأجابهم إليها. ولما ملك صلاح الدين بعلبك استخلف فيها شمس الدين محمد بن عبد الملك المقدّم جزاء بما فعله في تسليم دمشق. وكان شمس الدولة محمد أخو صلاح الدين ناشئاً في ظل أخيه وكفالته، فكان يميل إليه وطلب إقطاع بعلبك، فأمر ابن المقدم بتمكينه منه فأبى. وذكّره عهده في أمر دمشق. فسار ابن المقدّم إلى بعلبك، وامتنع فيها، فنازلته العساكر، فامتنع وطاولته، ثم بعث إلى صلاح الدين يطلب العوض، فعوضه عنها. وسار أخوه شمس الدين إليها فملكها».

---

(١) صيدا.

(٢) صيدا.

(٣) عبد الرحمن بن خلدون، ولد عام ٧٣٢هـ وتوفي عام ٨٠٨هـ/ ١٣٣١ - ١٤٠٥ م تتلمذ على والده وكبار علماء تونس والمغرب، وشغل مناصب رفيعة في بلاط المرينيين قبل سجنه، غادر المغرب إلى غرناطة ملتحقاً ببلاط بني الأحمر، ثم عمل للحفصيين في بجاية. اعتكف أخيراً في قلعة سالم وشرع في تأليف كتابه: العبر وتاريخ المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومَنْ عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ثم ألحقه بمقدمته الذائعة الصيت باعتبارها تقديماً لمؤلفه في التاريخ العام، وهي أهم مؤلف عربي في العصور الوسطى لجهة العمق والتفكير والابتكار لعلم العمران (المحقّق).

وأما في أبي الفداء فهو كما يلي:

سنة ٥٧٤ هـ (١١٧٨ م) طلب توران شاه من أخيه السلطان صلاح الدين الأيوبي بعلبك، وكان السلطان أعطاها لشمس الدين محمد بن عبد الملك المقدّم لما سلم دمشق إلى صلاح الدين، فلم يمكن صلاح الدين منع أخيه عن ذلك، فأرسل إلى ابن المقدم ليسلّم بعلبك، فعصى بها ولم يسلمها، فأرسل السلطان وحصرهُ ببعلبك وطال حصارها، فأجاب ابن المقدم إلى تسليمها على عوض، فعوض عنها وتسلمها السلطان وأقطعها أخاه توران شاه.

سنة ٥٧٥ هـ (١١٧٩ م) في ذي القعدة نزل توران شاه وأخو السلطان الناصر بن أيوب عن بعلبك وطلب عوضها الاسكندرية فأجابه السلطان صلاح الدين إلى ذلك، واقطع بعلبك لعزّ الدين فرخشاه بن شاهنشاه ابن[1] أيوب[2]، فسار لها فرخشاه، وسار شمس الدولة توران شاه إلى الاسكندرية وأقام فيها إلى سنة وفاته. وأما عز الدين فرخشاه، فاستخلف بعد سنة أي سنة ٥٧٦هـ (١١٨٠م) بالشام لوفاة شمس الدولة توران شاه أخ صلاح الدين وبقي على بعلبك إلى سنة ٥٧٨هـ (١١٨٢م)، فتوفي نائباً عن أخيه صلاح الدين في دمشق وكان شاعراً شجاعاً كريماً فاضلاً.

سنة ٥٧٨ هـ (١١٨٢ م) أرسل صلاح الدين الأيوبي فأقرّ بعلبك على بهرام شاه بن فرخشاه المذكور.

وفي ربيع الأول مرَّ الرحالة محمد بن جبير الكناني البلنسي (المتوفى سنة ٦١٤ هـ (.... م)[3] بقارة وقال عنها: «نزلنا بقرية كبيرة للنصارى المعاهدين تعرف (بالقارة) ليس فيها من المسلمين أحد، وبها خان كبير كأنه الحصن المشيد، في وسطه صهريج كبير مملوء ماءً يشرب له تحت الأرض من عين على البعد، فهو لا يزال ملآن، فأرحنا بالخان المذكور إلى

---

(١) بن.

(٢) كان نور الدولة شاهنشاه بن أيوب أخا السلطان صلاح الدين قتله الفرنج في منازلة دمشق سنة ٥٤٣هـ (١١٤٨ م). وكان أكبر من صلاح الدين وترك ولدين الملك المظفر عمر صاحب حماة وفرخشاه صاحب بعلبك. (أبو الفداء (٣: ٢١). (المؤلف).

(٣) الموافق ١٢١٧ م.

الظهر، ثم رحلنا منه إلى قرية تعرف بالنبك بها ماءٌ جار، ومحرث متسع، فنزلنا بها للتعشية، ثم رحلنا منها بعد اختلاس تهويمة خفيفة وأسرينا الليل كله الخ».

قلت: وهو لم يدخل بلاد بعلبك والبقاع لأنها في أيدي الإفرنج. إذ قال عن بعلبك: أعادها الله، ولكنه وصف قبري شيث ونوح كما أخبره بعضهم. فقال: قبر شيث أربعون باعاً، وقبر نوح ثلاثون، وبإزاء قبر نوح ابنة له[1]، وعلى هذه القبور بناء ولها أوقاف كثيرة ولها قيّم يلزمها. وأشار إلى العاصي ومنبعه فقط فقال إنه مغارة[2] بسفح جبل، فوقها بمرحلة بموضع يقابل بعلبك أعادها الله.

٥٨٤ هـ (..... م)[3] قال الشهاب المقدسي في الروضتين [4] قال العماد: ثم رحل السلطان (صلاح الدين الأيوبي) فسلك في جبل بنوس (الصواب يبوس) إلى عين الجر إلى الدلهمية على البقاع وأتى بعلبك وخيّم بمرج عدُّوسة، ثم رحل على سمت اللبوة ثم أتى الدّراعة (.....)[5]، ووصل الخبر بوصول عماد الدين صاحب سنجار في جموعه وجنوده ونزوله على قَدَس من عمل حمص على نهار العاصي... فخيم السلطان عند مخيمه... فأقاموا بقَدَس إلى آخر الشهر، حتى اجتمعت الجموع ووصلت قبائل العربان. ثم سار السلطان (صلاح الدين) أول ربيع الآخر وخيّم بقرب حصن الأكراد على البقيعة، ثم شن الإغارة على نواحي الحصن وصافيتا والعريمة. ولكثرة الحصون، فاستخرج ما فيها من المخزون وفتح حصن يحمور وسامة الدمور.... الخ.

---

(١) هي حبلة ابنة نوح وقبرها في عرجموس كما ذكر ياقوت في زعمهم(المؤلف). ويقول ابن جبير في رحلته: «ومن المشاهد الكريمة التي لم نعاينها ووصفت لنا قبرا شيث ونوح (عليهما السلام)، وهما بالبقاع وهي على بعد يومين من البلد»، راجع: رحلة ابن جبير، تقديم حسين نصار، كتاب السفير، ٢٠٠٤، ص. ٣٤١ (المحقّق).

(٢) يريد مغارة الهرمل. (المؤلف).

(٣) الموافق ١١٨٨ م.

(٤) وأبو شامة هو شهاب الدين عبد الرحمن المتوفى سنة ٦٦٥ هجرية ١٢٦٦م وكتابه «الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية» طُبع مراراً (المحقّق).

(٥) هكذا في الأصل.

وسنة ٥٨٩ هـ (١١٩٣ م) توفي السلطان صلاح الدين الأيوبي فاستقر في الملك (دمشق) وبلادها المنسوبة إليها، أكبر أولاده الملك الأفضل نور الدين علي والمعهود إليه بالسلطنة، وكان في دمشق مع عسكره، و(في الديار المصرية) الملك العزيز عماد الدين عثمان و(في حلب) الملك الظاهر غياث الدين غازي و(في الكرك والشوبك والبلاد الشرقية) الملك العادل سيف الدين أبو بكر بن أيوب (وفي حماة وسلمية والمعرّة ومنبج وقلعة نجم) الملك المنصور ناصر الدين محمد ابن الملك المظفّر تقي الدين عمر، وفي (بعلبك) الملك الأمجد مجد الدين بهرام شاه بن فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب، وفي (حمص والرحبة وتدمر) شيركوه بن محمد بن شيركوه بن شادي، وبيد الملك الظافر خضر بن[1] السلطان صلاح الدين (بصرى)، وهو في خدمة أخيه الملك الأفضل، وبيد جماعة من أمراء الدولة (بلاد وحصون). ومنهم سابق الدين عثمان بن الداية بيده (شيزر)، وأبو قبيس وناصر الدين بن كورس بن خماردكين بيده (صهيون وحصن برزية) وبدر الدين دلدرم ابن[2] بهاء الدين ياروق بيده (تل باشر) وعز الدين أسامة بيده (كوكب وعجلون) وعز الدين إبراهيم بن شمس الدين ابن[3] المقدم بيده (بعرين وكفرطاب وفامية). واستوزر الملك الأفضل ضياء الدين نصر الله بن محمد بن[4] الأمير مصنّف (المثل السائر) وهو أخو عز الدين بن الأثير مؤلف التاريخ المسمى (بالكامل).

ولتحاسد المقربين منهم، حصلت نفرة بينه وبين أخيه الملك العزيز. وسنة ٥٩٠ هـ (١١٩٤ م)[5]، استحكمت المشاحنة بينهما، وتوثقت عرى الوحشة، فجاء العزيز من مصر بعسكره وحصر أخاه الأفضل في دمشق، ثم أصلح ذات بينهما عمهما العادل وأخوه الظاهر وابن عمهما الملك المنصور صاحب حماة. ومات الملك العزيز عماد الدين عثمان ابن

---

(١) ابن.

(٢) بن.

(٣) بن.

(٤) ابن.

(٥) الصواب ١١٩٣ م.

السلطان الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب في القاهرة سنة ٥٩٥ هـ (١١٩٨ م) بعد أن ملك ست سنين إلاّ شهراً، وكان عمرهُ سبعاً وعشرين سنة وأشهراً.

وسنة ٥٩٨ هـ (١٢٠١ م) كانت زلازل هائلة خربت بها مدن ودمرت قلاع حماة وبعرين وبعلبك ودمشق ونابلس وعكا وطرابلس والقدس.

وسنة ٥٩٩ هـ (١٢٠٢ م) سار الملك المنصور صاحب حماة إلى بعرين مرابطاً للفرنج، وأقام بها وكتب الملك العادل إلى صاحب بعلبك وإلى (صاحب حمص) بإنجادهِ فأنجداهُ، واجتمعت الجيوش، فانهزم الفرنج، وفيها أي سنة ١٢٠٢ م، حدث زلزال تقوّضت منه قلعة بعلبك وأسوار طرابلس وعكا وبعض مدن، وقذفت المراكب والأسماك إلى الشاطئ. وقال ميشو: إنَّ أعالي لبنان انفتحت وهبطت في أماكن كثيرة.

وسنة ٦٠١ هـ (١٢٠٤ م) أغارت الفرنج على حماة ووصلوا إلى قربها إلى الرقيطاء، وامتلأت أيديهم من المكاسب، وأسروا من أهل حماة شهاب الدين البلاغي، وكان فقيهاً شجاعاً، تولى برّ حماة مرة وسلمية أخرى. وحمل إلى طرابلس فهرب وتعلق بجبال...[1] ووصل إلى أهله بحماة سالماً، وهادن الملك المنصور صاحب حماة الفرنج.

وسنة ٦٠٤ هـ (١٢٠٧ م) كان فخر الملك بن[2] عمار في جبيل، فنازله الإفرنج فتركها، فلحق ابن عمار بشيزر، فنزل على صاحبها سلطان بن علي بن منقذ الكناني ولحق منها بدمشق، فأكرمه طغتكين، وأقطعه الزبداني من أعمال دمشق في المحرم.

وسنة ٦١٨ هـ (١٢٢١م) سار أنسباء الملك الكامل إلى معاضدة الملك الأشرف على الفرنج في الديار المصرية. وكان بينهم الملك الأمجد بهرام شاه بن فرخشاه بن شاهنشاه بن أيوب صاحب بعلبك وجميع أصحاب البلدان الشرقية وعادوا ظافرين.

وسنة ٦٢٦ هـ (١٢٢٨م) أرسل الملك الأشرف أخاهُ صاحب بصرى الملك الصالح إسماعيل بن[3] الملك العادل بعسكر، فنازل بعلبك وصاحبها الملك الأمجد بهرام شاه

(١) فراغ في الأصل.
(٢) ابن.
(٣) ابن.

المذكور وشدد الحصار عليه، فلما اشتد الحصار وطال نحو سنة، سلمها بهرام شاه للأشرف، وعوّضه عنها الزبداني وقصير حمص (دمشق) الذي شماليها في وادي معربا ومواضع أُخر.

وقتل الملك الأمجد هذه السنة ٦٢٧هـ (١٢٢٩م) في دمشق، وكان قد ملك (بعلبك) تسعاً وأربعين سنة، لأن السلطان صلاح الدين ملّكه إياها سنة ٥٧٨ هـ(١١٨٢م). وكان الأمجد أشعر بني أيوب وشعره مشهور[1].

سنة ٦٣٥هـ (١٢٣٧م) لما توفي الملك الأشرف في هذه السنة، وعلم أخوه الملك الكامل بوفاته، سار إلى دمشق ومعه الناصر صاحب الكرك، واستعد الملك الصالح إسماعيل للحصار، فجرى له ما أفضى إلى تسليم الصالح دمشق لأخيه الكامل، وتعوض عنها بعلبك والبقاع مضافة إلى بُصرى التي كانت له.

سنة ٦٣٦ هـ (١٢٣٨ م) كان الملك الصالح أيوب ابن الملك الكامل قد استولى على دمشق بمعاضدة الملك المظفر صاحب حماة، ولما استقر له الملك، استقدمه المصريون لتملك بلادهم، فغادر دمشق واستناب فيها ولدهُ الملك المغيث عمر، وشرع يكاتب عمهُ الصالح إسماعيل صاحب بعلبك لمعاضدته، وهذا يتظاهر أنه معه ويعتذر عن تخلفه عن الحضور إليه، ويعمل عليه سراً. وكان الملك الناصر صاحب الكرك قد قصد مصر واتفق مع الملك العادل على قتال أخيه الملك الصالح صاحب دمشق، فدخلت سنة ٦٣٧ هـ (١٢٣٩م) والملك الصالح أيوب في نابلس قاصداً للاستيلاء على مصر وعارفاً ما يضمره له عمه إسماعيل من المضارة. فأرسل طبيبه الذي يثق به الحكيم سعد الدين الدمشقي إلى بعلبك ليطالعه بأخبار عمه ومعه قفص من حمام البطاقة النابلسي. فأكرم إسماعيل وفادة الحكيم، ثم سرق حمام النابلسي وجعل موضعها حالاً حمام بعلبك، فلم يشعر الطبيب بهذه

(١) راجع تفصيل هذا في كتاب (فوات الوفيات للكتبي طبع مصر ١:٨١) وقد ذكر الكتبي أن ابرهيم بن سليمان بن حمزة بن خليفة وهو جمال الدين ابراهيم بن النجار الدمشقي بمجوّد، المتوفى سنة ٦٥١ هـ (١٢٥٣ م) كتب للأمجد صاحب بعلبك، وكان كاتباً وشاعراً. (فوات الوفيات ١:٥). وأبو علي بن نصر بن عقيل الواسطي البغدادي الشيعي خدم الأمجد في بعلبك وتوفي سنة ٥٩٦ هـ (١١٩٩م) وكان شاعراً. (فوات الوفيات ١:١٢٤). أ. هـ. وقد اقتنى مؤلف التاريخ المعلوف ديوان الملك الأمجد في دمشق (المؤلف).

الحيلة، فصار يكتب إلى الصالح أن عمك إسماعيل يجمع رجاله قاصداً دمشق، فيقعد الطير في بعلبك، فيكتب إسماعيل على بطاقة أخرى أن عمك إسماعيل جمع الرجال لمعاضدتك وهو واصل إليك ويسرّحه على حمام نابلسي، فانطلت الحيلة على الصالح. ولم يلبث الصالح أن زحف على دمشق مع شيركوه صاحب حلب، وحاصرا قلعتها وتسلماها. وهكذا أفسد الأمر على الصالح وابنه المغيث صاحب دمشق ونائبه فيها.

سنة ٦٤٣ هـ (١٢٤٥ م) تسلم عسكر الملك الصالح أيوب دمشق من الصالح إسماعيل على أن يستقر بيد الملك الصالح إسماعيل بعلبك وبصرى والسواد.

وسنة ٦٤٤ هـ (١٢٤٦ م) أرسل الصالح أيوب يطلب الصالح إسماعيل من الملك الناصر يوسف صاحب حلب الذي استجار به فلم يسلمه الناصر، فرحل حسام الدين بن أبي علي الهذباني بمن عنده من العسكر في دمشق، ونازل بعلبك وفيها أولاد الصالح إسماعيل وحاصرها وتسلمها بالأمان. وعمل أولاد الصالح إسماعيل إلى الملك الصالح أيوب فاعتقلهم في الديار المصرية[1].

سنة ٦٤٨ هـ (١٢٥٠ م) ملك الناصر يوسف صاحب حلب مدينة دمشق ودخلها في يوم السبت لثمانٍ من ربيع الثاني من هذه السنة، فعصت عليه بعلبك وعجلون وشميميس مدة مديدة، ثم عادت فطلبت التسليم.

وسنة ٦٥٩ هـ (١٢٦٠ م) انقرض ملك بني أيوب في الشام، كما انقرض ملكهم في الديار المصرية، وكان بدء ملكهم بصلاح الدين يوسف بن أيوب سنة ٥٦٨ هـ (١١٧٢ م)،

(١) روى الكتبي في فوات الوفيات (١:٢٨٨) «أن عبد العزيز بن رفيع الدين الجيلي الشافعي قاضي القضاة بدمشق، الفقيه الناظر المتكلم المتفلسف، ولي القضاء ببعلبك أيام صاحبها الصالح إسماعيل ووزيره أمين الدولة السامري، وفي سنة ٦٤٢ هـ (١٢٤٤ م) أخرج الرفيع من داره وحبس بالمقدمية، ثم أخرج ليلاً وسجن في مغارة في نواحي البقاع، وقيل أُلقي من شاهق وقيل بل خنق. قال (ابن واصل) حكى لي ابن صبح بالقاهرة أنه ذهب بالرفيع إلى شقيف أرنون (شتيف) قال: فعرف أني أريد أن أرميه. فقال: بالله عليك دعني أصلي ركعتين، فأمهلته حتى صلاّها ثم رميته فهلك». انتهى قول صاحب الفوات (المؤلف).

وانقرضوا بقتل هولاكو ملك التتر الملك الناصر. وتولى الملوك الأيوبيون سورية ومصر تارة معاً وتارة بانفصال المملكة الواحدة عن الأخرى. وكان في سورية كحلب ودمشق وحمص وحماة وبعلبك نوع من الاستقلال لكل عمل على حدةٍ وإن كان ولاتها من الأيوبيين إلى أن انقرض ملك الأيوبيين في مصر سنة ٦٥٣ هـ (١٢٥٥م) بقتل الملك الأشرف، وخلفتهم دولة المماليك البحرية ويسمون المماليك التتر.

الأمراء التنوخيون القيسيون: وتملك هؤلاء الأمراء اقطاعات من ملوك عصرهم، كانت منها أراضٍ في البقاع وبعلبك من ذلك أنه في ١٣٦٠ م ولي الملك نور الدين كرامة ابن بحتر القنيطرة وجلبايا في البقاع، وحاربوا أهل سورية المجوّفة مراراً سنة ٥٤٩ هـ/ ١١٤٤م ومحمد السلطان نور الدين محمود الأمير ظهير الدين التنوخي في وادي التيم عوض الجنادلة.

الأمراء المعنيون: ثم امتد ملك الأمراء المعنيين الذين نزلوا البقاع سنة ١١٢٠ م إلى البقاع وبعلبك ولا سيما في عهد كثير منهم أخصهم الأمير فخر الدين المعني. وبنى الأمير أحمد ابن الأمير يونس الحرفوش، زوج كريمته في مشغرة داراً، وامتد ملك الأمراء الحرافشة من بعلبك إلى البقاع في أيامهم، فاستعمروا مشغرة وقب إلياس.

زحف التتر على سورية

نشأ التتر في تركستان الصينية وتركستان الروسية.

وقد رحل التتر إلى ما يجاورهم ودوخوا أرضهم كما صنعوا بأهل خوارزم.

وفي أوائل القرن الثاني عشر للميلاد، فكان أول ملوكهم جنكيز خان ومعناه بلغتهم (ملك الملوك). فهذا الطاغية امتدت فتوحه وعبثه إلى الصين وروسية الجنوبية والعراق والجزيرة. وقسّم عند موته مملكته بين أولاده الأربعة.

وكان الخامس من ملوك التتر اسمه هولاكو، فزحف سنة ٦٥٧ هـ (١٢٥٨ م) إلى شرقي الفرات ونازل حرّان فملكها واستولى على البلاد الجزرية، وأرسل ولده سموط إلى الشام فقاتله فيها عسكر توران شاه ابن السلطان صلاح الدين الأيوبي نائباً عن أخيه الملك الناصر

يوسف، فأكمن التتر في الباب المسمّى (باب الله) فقاتلوا العسكر ليلاً واندفعوا قدامه حتى خرجوا عن البلد، ثم ارتد التتر على الحلبيين فهربوا طالبين المدينة والتتر يعملون السيوف في أقفيتهم حتى دخلوا البلد، واختنق في الأبواب جماعة من المنهزمين، ثم رحل التتر إلى أعزاز فاستلموها بالأمان.

سنة ٦٥٣ هـ (١٢٥٥ م) ذكر صالح بن يحيى في تاريخ بيروت (صفحة ٩٢) أن ابن ودود وابن حاتم قدما إلى الغرب (لبنان) بعساكر وجمعا عليه العشران[١] من ولاية بعلبك والبقاعيين، فنازلوه بقرية عيتات وعادوا مخذولين.

سنة ٦٥٨ هـ (١٢٥٩ م) وبعد أن نازل التتر حلب وحماه وحمص ودمشق وخربوا بعض أسوارها، ساروا إلى بعلبك فأخذوها هي وعجلون. وحكم في هذه السنة بيبرس البندقداري ثم غيّر لقبه السابق لأنه غير مبارك، فلقّب بالملك الظاهر.

سنة ٦٥٩ هـ (١٢٦٠ م) جهز الملك الظاهر بيبرس البندقداري عسكراً مع علاء الدين البندقداري أستاذه لقتال علم الدين سنجر الحلبي في دمشق، فتنازلوا في ظاهر المدينة، واستظهر الملك الظاهر عليهم، فهرب علم الدين إلى قلعة دمشق، ولما جنّ الليل، فرَّ إلى جهة بعلبك، فتبعه العسكر واعتقلوهُ وأرسلوهُ إلى مصر ثم أطلق، وصارت دمشق بيد الملك الظاهر.

---

(١) العشير وجمعه عشران يطلق على بعض قبائل عربية نزلت البقاع وجبال لبنان. قال المقريزي في كتاب السلوك: «عشير الشام فرقتان قيس ويمن لا يتفقان قط، وفي كل قليل يثور بعضهم على بعض». واشتهر عشير البقاع بصولته ودهائه حتى قال يحيى بن محمد الأصيلي المصري من أهل القرن الحادي عشر فيه مورّياً:

عن العشير أبعد وكن مسالماً ... وكن فتى بالبعد عنهم مشير

عاشرت منهم واحداً خانني ... عهدي وميثاقي فبئس العشير

وكان في بيروت لهم البرج الصغير البعلبكي.

وقيل إن العشران جمع عاشر من يؤمن المارة من اللصوص وقيل بمعنى المتطوع. وكان أهل كسروان يسمون عشران البر. وكانوا في البقاع وجبل لبنان، وسماهم البعض قوم جبلية يقال لهم العشير. وقيل إنهم الموارنة عَشَرية. (المؤلف).

سنة ٦٦٨ أو ٦٦٩ هـ (.... م)[١] ذكر الصلاح الصفدي في تذكرته (جزء ٣٨) المخطوطة: «وفي سادس صفر الخير توفي الأمير علم الدين سنجر الصيرفي ببعلبك، وكان من أعيان الأمراء بالقاهرة، وكان السلطان أخرجه إلى الشام ليأمن غائلته وأقطع له عدة قرى ببعلبك».

سنة ٦٧٢ هـ (.... م)[٢] وذكر الصفدي في تذكرته هذه: «وفي خامس صفر الخير توفي الأمير سيف الدين عيسى بن ناصر الدين موفق بن أبي الزهر بن مبارك التنوخي أو (الشوخي) ببعلبك وكان من أعيان الأمراء الجبلية، كثير المروءة، صادق اللهجة، كثير البر لأصحابه.

وفي شهر ربيع الأول توفي الشيخ أبو بكر بن عمر بن الحبال البعلبكي المعروف بابن دُشَينة وهو في عشر السبعين، وخلف تركة تقارب مائة ألف دينار، فأخذ السلطان منها نحو أربع مائة[٣] ألف دينار عيناً وترك لأهل البيت الوثائق والأملاك.

سنة ٦٧٣ هـ (١٢٧٤ م) وذكر الصفدي في تذكرته: «في رابع عشر من شهر رجب توفي الأمير سيف ابرهيم بن سروة بن علي بن مزريان الجاكي، وكان والي حرّان وأميرها، فدار عبد الملك العزيز ابن الملك الناصر، وولي ولاية بحلب، وكان الظاهر يحترمه ويعظمه، وتوفي ببعلبك».

سنة ٦٧٤ هـ (١٢٧٥ م) وذكر الصفدي في تذكرته: «وفي الرابع والعشرين من شهر رمضان توفي الأمير عز الدين أيبك الاسكندري نائب الرحبة، وكان والي الشوبك في أيام الصالح أيوب، وتولى نيابة بعلبك في أيام الظاهر سنتين، ثم ولاه الرحبة. وفيها فتح حصن القُصير، وكان فيه قسيس يعظمه الإفرنج ويتبركون به».

سنة ٦٧٤ هـ (١٢٧٥ م) توفي في بعلبك الشيخ ابرهيم بن عبد الرحيم بن علي بن اسحق بن علي بن شيت القرشي الأسنائي أصلاً، وهو ابن صاحب كتاب (معالم الكتابة ومغانم الإصابة) في الإنشاء، طبع مؤخراً، ودفن في تربة الشيخ اليونيني عن نحو سبعين

---

(١) الموافق ١٢٦٩م أو ١٢٧٠ م.

(٢) الموافق ١٢٧٣ م.

(٣) لعلها أربعين ألف دينار. (المؤلف).

سنة، وروى عنه الشيخ اليونيني في مشيخته، اتصل بخدمة الناصر داود والناصر يوسف وحظي عندهما، وولي بعلبك في أيام الملك الظاهر، فأدار البلد والقلعة وسيّره السلطان رسولاً إلى عكا، وكان عالماً ابن عالم، وأخوه علي مثلهما.

سنة ٦٧٧ هـ (م)[1] جاء غرب لبنان عساكر وعشران من ولاية بعلبك والبقاعين وصيداء[2] وبيروت لقضية قتل قطب الدين السعدي الذي استقطع قرية كفرعِميّة من أمراء الغرب فقُتل فيها، فأقامت العساكر والعشران في الغرب سبعة أيام في نهب وأسر وحريق وهدم وخراب. وكانت أشد حادثة جرت على الغرب وأمرائه.

سنة ٦٧٩ هـ (.... م)[3] قال الصفدي: «وفي ثاني صفر، خرج الكامل من دمشق وجمع من عنده من العساكر وضرب دهليزه بالحولة، وخيّم هناك واستخدم وأنفق وحضر عنده عرب ابن مهنّا وابن حجي ونجدة حلب وحماة ورجّالة من بعلبك». (أ.هـ.).

سنة ٦٨٧ هـ (١٢٨٨ م) كان بنو تغلب من مشغرا أثاروا الفتن في البقاع، فسجنهم لاجين نائب الشام بالقلعة وقرّر عليهم مائة ألف درهم تأديباً. واتصل بنو تغلب بعلم الدين سنجر الشجاعي الذي كان نائب الشام، ونزعوا بعض الاقطاعات من أيدي مالكيها وألحقوها بطرابلس ثم أعيدت. ولعل اسم مشغرة كان قد جدب من شغرت البلاد برجلها إذا لم يعد فيها من يحميها.

سنة ٦٨٩ هـ (١٢٩٠ م) ذكر صالح بن يحيى في تاريخ بيروت طبع اليسوعيين في بيروت صفحة ١٢٤ ما نصّهُ: «في هذه السنة من أيام المنصور قلاوون حيث فُصّل (بنو تغلب من مشغرا على الجبلية بصيداء[4] وبيروت، فأخرجوا ما بأيديهم من الأملاك والإقطاعات للحلقة بطرابلس عند فتوحها. ومن جملة ذلك إقطاعات السلف (يريد أسلافه البحتريين أمراء الغرب). وكان الأغلب عليها أنهم تملكوها من عهد بحتر بن علي الأول بمحاضر شرعية مثبتة منفّذة من قاضٍ إلى قاضٍ... الخ».

---

(١) الموافق ١٢٧٨م.

(٢) صيدا.

(٣) الموافق ١٢٨٠ م.

(٤) صيدا.

سنة ٦٩١ هـ (.... م)[1] قال الصفدي: «وورد بعلبك في أثناء شهر شعبان الأمير بدر الدين ومعه سنقر الأشقر».

سنة ٦٩٣ هـ (١٢٩٣ م) وبعد أن أخرج الفرنج من بيروت في هذه السنة، جعلوا لبيروت مراقبة البحر[2] وجعلوا فيها رهيجة[3] وحمام بطاقة[4] مدرج إلى دمشق، وخيل بريد[5]، فكانت الرهيجة للحوادث في الليل يشعلون ناراً في ظاهر بيروت في مكان معلوم، فتجاوبها نار في رأس بيروت العتيقة ومنها إلى جبل بوارش أو الكنيسة فوق المريجات في البقاع. ومنه إلى جبل يبوس قرب الزبداني. فجبل الصالحية فوق دمشق فقلعة دمشق. وحمام البطاقة يسير على أبراج الحوادث والبريد من بيروت إلى دمشق لما يتجدّد من الأخبار وله أربعة مواقف أولها في الحصين وثانيها في زبدل وثالثها في خان يسنون ورابعها في دمشق.

سنة ٦٩٥ هـ (١٢٩٥ م) خرج الملك العادل زين الدين كتبغا (أحد مماليك المنصور قلاوون الذي أخذ الملك عنوة) من مصر إلى الشام، فوصل إلى دمشق وتوجه إلى جهة حمص متصيداً، وقدم إلى جوسية، وهي قرية على طريق بعلبك من حمص وكانت خراباً، فاشتراها وعمّرها، فوصل إليها ورآها وعاد إلى دمشق. وجوسية إلى جنوبي شرقي حمص على ست ساعات منها ونحو نصف ساعة من ربلة على شاطئ نهر العاصي. وهناك جامع عفت آثاره إلاّ المحراب، ويظهر أنه محوّل عن كنيسة مهدومة، وفوق المحراب كتابة ذات أسطر أربعة، بخط نسخي مملوكي، جيد النقش. وكانت الكتابة على ثمانية أحجار، ففقد منها حجران، وهي تدل على أن باني الجامع السلطان زين الدين كتبغا بن عبد الله المنصوري في نظر أحمد بن الحمد الحنفي سنة ٦٩٥ هـ[6]، وهي كتابة عزيزة الوجود لقلة مثل هذه الكتابات المحرابية.

---

(١) الموافق ١٢٩١م.

(٢) مراقبة البحر هي الدرك كما سترى. (المؤلف).

(٣) والرهيجة هي النار تصل بيوم واحد. (المؤلف).

(٤) حمام البطاقة أي الرسائل أو الزاجل (المؤلف).

(٥) البريد أعجمية (المؤلف).

(٦) الموافق ١٢٩٥ م.

وسنة ٦٩٧ هـ (١٢٩٧ م) وصل المغول إلى وادي التيم، وكان حاكمها الأمير سعد الشهابي، فأرسل حريمه مع ابنه الأمير علي إلى جبل الشوف، وجمع إخوته وأولاد عمه وغلمانه وفرسانه وبعض رجال بلاده، فدهمهم المغول، ونكلوا بهم، ثم حملوا عليهم فخرقوا المغول ونفذ الأمير ورجاله إلى صحراء كامد (اللوز) في البقاع والتتر تطردهم حتى عبروا نهر الغزيّل (الغزيّر) وخيم الظلام، فعادوا عنهم. فسار الأمير بمن معه إلى قمة الجبل، وقد قتل اثنان من إخوته وثلاثة من أبناء عمه وسبعمائة فارس وجرحت الثلاثمائة الباقون. وعند الصباح رأوا بلاد البقاع مغطاة بالدخان من وإلى بطحاء نهر الصفا حيث حريمه، وعاد التتر عن الشام وحلب، ثم عاد إلى بلاده بنحو خمسمائة رجل فوجدها بلا نفع، فنزل خارج حاصبيا وشرع يصلح المساكن، وبقيت وادي التيم خراباً خمس سنوات، لم يعمر منها سوى حاصبيا.

سنة ٦٩٨ هـ (.... م)[1] ذكر الصلاح الصفدي في تذكرته جزء ٣٨: «وفي يوم الجمعة خامس عشرين شهر ربيع الأخر، خطب السلطان الملك الناصر بجامع دمشق وباشر الشّدّ بالشام الأمير سيف الدين قطلوبك في جمادي الأول، وباشر ولاية البر سيف الدولة إلى الولاية ببعلبك (كذا)». (أ. هـ).

سنة ٦٩٩ هـ (.... م)[2] قال الصفدي أيضاً: «وتوجه السلطان إلى بعلبك وقتل جماعة من الأمراء».

سنة ٧٠٢ هـ (١٣٠٢ م) حدثت زلزلة عظيمة هدمت بعض أسوار قلعة حماة، كما ذكر ذلك صاحبها أبو الفداء في تاريخه، وتضررت أماكن كثيرة في سورية ومصر ومنها بعلبك. وعاد التتر إلى اكتساح الشام وما يجاورها، فحدثت مواقع هائلة.

سنة ٧٠٥ هـ (١٣٠٥ م) وبعد فتح المسلمين لكسروان في لبنان الغربي، أمر الملك الناصر تركمان الكورة أن ينزلوا في ساحل كسروان ليحافظوا عليه من غزوات الفرنج وهم

---

(١) الموافق ١٢٩٨ م.

(٢) الموافق ١٢٩٩ م.

آل عساف، فكان دركهم أي محافظتهم من حدود قرية إنطلياس قرب بيروت إلى مغارة الأسد وجسر المعاملتين تحت بلدة غزير، وكانوا لا يسمحون لأحد أن يمرّ في دربند[1] نهر الكلب إلا بإجازة أو رخصة من الوالي أو من أمراء الغرب البحتريين التنوخيين.

وأقام التركمان المذكورون ثلاثة أبدال كل بدل مائة فارس يقوم بالدرك[2] شهراً، وكانت منازلهم في إنطلياس وبيوت اليزك[3] على نهر الكلب، وفي البرج الذي يليه جنوباً، وفي برج جونية، وكانت أزواقهم[4] من حولهم، وهي المعروفة بالعامرية، وزوق الخراب وزوق مصبح وزوق مكايل، ونسبت إلى مقدمي الأزواق، وبنوا لهم منازل وغرسوا حدائق في عين طوره وعين شقيق لإقامة أمرائهم شتاءً وصيفاً. وأما أرباب الأيزاك، فكانوا جنود حلقة بعلبك يتجردون إلى بيروت أبدالاً، يبقى كل بدل شهراً.

وكان للبعلبكيين برج في بيروت يسمّى البرج الصغير العتيق أو (برج البعلبكية)، وقد شيده الأمير سيف الدين أبو سعيد تنكز من مماليك الملك الأشرف خليل بن قلاوون، ولاهُ الملك الناصر نيابة دمشق سنة ٧١٢ هـ (١٣١٢ م) وله أبنية كثيرة في مدن سورية، وكان بين هذا البرج وبرج السور بجانب البحر، باب عليه سلسلة تمنع المراكب الصغار من الدخول والخروج، فسمّي باب السلسلة.

وسنة ٧٠٦ هـ (١٣٠٦ م) أن نائب الشام لما رجع من فتح كسروان إلى دمشق بعساكره في رابع شهر صفر من هذه السنة، جعل الناظر في بلاد بعلبك والجبال الكسروانية بهاء الدين قراقوش، فقهر ما كان تأخر بجبال كسروان وقتل من أعيانهم جماعة، ثم أعطوا أماناً لمن استقر في غير كسروان، ثم اقطعوا علاء الدين بن معبد البعلبكي وعز الدين خطاب وسيف

---

(١) (الدربند) كلمة تركية بمعنى المضيق مركبة من در (باب) وبند (حاجز)، وهناك مضيق لا يُمرُّ إلا منه. (المؤلف).

(٢) الدرك الموقف يحرسه الجنود مثل المخفر ويطلق الدرك على الذين يحرسون أيضاً. (المؤلف).

(٣) اليزك وجمعها أيزاك، فارسية بمعنى رؤساء العسس والطلائع التي تستكشف حالة العدوّ (المؤلف).

(٤) الزوق: لفظة تركمانية بمعنى منزل، والمتداول من أمثلة العامة في لبنان وسوريا قولهم: (الله يخرب زوقه) لخراب هذه الأزواق (المؤلف).

الدين بكر الحسامي وابن صبح أراضي[1] في كسروان[2]، ثم أبطلوها عنهم وأقطعوها التركمان، فأدركوا مواني البحر ودروب البر من ظاهر بيروت إلى عمل طرابلس واستمروا فيها وشهروا باسم تركمان كسروان.

وكان الكسروانيون أربعة آلاف راجل، فهلك منهم بالسيف خلق كثير، وكان...[3] حاملاً راية ابن تيمية أمامه، والذين سلموا من الكسروانيين تفرقوا في جزين وبلادها، وفي البقاع وبلاد بعلبك. وقد أفتى ابن تيمية في هذه الغزوة.

وفي القرن الرابع عشر، اشتهر (عشران البقاع) بقيادة علاء الدين بن الحرفوش جد الحرافشة حكّام بعلبك وأمرائها، وكانوا بزمن تيمورلنك يُسمون عشران البقاع وصيداء[4] وبيروت.

وسنة ٧١٧ هـ (١٣١٨ م) يوم الثلاثاء في ٢٧ صفر سنة ٧١٧ هـ الموافق ١٠ أيار سنة ١٣١٨ م. حدث في بعلبك السيل الجارف، الذي أرسل لمشاهدة أضراره الأمير بدر الدين بن معبد من دمشق، فوصفهُ بقوله ملخصاً:

---

(١) أراضٍ.

(٢) لما نقل المطران يوسف الدبس في كتابه تاريخ سورية (٦:٣٩٠) هذه الحادثة، وقع فيها تحريف ونقص، أصلحناه هنا. فاعتمد عليه. (المؤلف).

(٣) هكذا في الأصل. ويشير المقريزي في كتابه «السلوك لمعرفة دول الملوك» إلى ذلك بقوله: وفي المحرم من عام ٧٠٥ هـ/ ١٣٠٥م سار الأمير جمال الدين أقوش الأفرم نائب الشام من دمشق في عساكرها لقتال أهل جبال كسروان... ونازلهم فخرب ضياعهم وقطع كرومهم ومزقهم وملك الجبل عنوة وأسر ستماية رجل وغنمت العساكر منهم مالاً عظيماً وعاد إلى دمشق في الرابع عشر من صفر... و يذكر الحافظ الذهبي أن ابن تيمية بعد دراسته تفرغ للتدريس وبرع في علم الكلام والقرآن والفقه والحديث وغيرها... وقد أدى جداله إلى إثارة علماء المذاهب الثلاثة عليه، وشارك في حملة العام ٧٠٤ هـ/ ١٣٠٥ م على كسروان وحارب الاسماعيلية والنصيرية والحاكمية... أعتقل عدة مرات في قلعة دمشق وجُرِّد من كتبه وأوراقه وأقلامه، ما أدى إلى مرضه، حيث توفي في العام ٧٢٩هـ/ ١٣٢٨ م. وقد اتهم ابن تيمية بعض علماء السنة بالزندقة، ووصف الشيعة بالرافضة. يقال أن له حوالى خمسماية مؤلف راجع: الذهبي، تذكرة الحفاظ، طبع حيدرآباد، (د.ت) ج٤، ص ٢٨٨ وغيره (المحقّق).

(٤) صيدا.

«من التاريخ المذكور بين الظهر والعصر، ظهرت سحابة كثيفة أبرقت وأرعدت وأمطرت سيلاً وبَرَداً، سالت منه الأودية في شرقي المدينة، واقتلعت الأشجار من كرم وغيره، وانقسمت على البلدة شعبتين، إحداهما على الناحية الشرقية إلى جهة الجنوب، اتصلت بالنهر، واجتمعت بحيرة عظيمة على السور الذي حجزها، فارتفعت حتى كادت تبلغ شرفاته. والثانية دخلت البلد ما بين باب دمشق وباب نحلة شرقي البلد إلى الشمال، فاجتمعت هناك على السور وثلمته نحو أربعين ذراعاً طولاً، وصدعت ما يليه مع متانته، وبلوغ سمكه خمسة أذرع، ثم طغت المياه، فأخذت برجاً ذرعه من كل جانب خمسة عشر ذراعاً. فحملته غير منتقض البنيان إلى مسافة خمس مائة[1] ذراع، ثم انتقض بناؤه وتبعثرت حجارته. ثم طغا [2]السيل في جهة الغرب، فجرف كل ما صادفه في طريقه من أبنية وغيرها من الناس والحيوانات. ثم اتصل بالجامع الأعظم والمدرسة التي تليه[3] فانجزر فيه حتى كاد يبلغ العمد بتناهيه، فلم يبق فيه شيئاً، وانفجر على الجدار الغربي من الجامع فقوّضه، وجرف ما مرَّ به من الأبنية حتى بلغ خندق القلعة، فخرق من سور البلد الغربي الملاصق لها نحو خمس وعشرين ذراعاً[4]، وخرج من البلد، فجرَّ ما مرَّ به من المساكن والأشجار والبساتين، وعلى الجملة كل ما اعترضه من الأشياء، حتى لم يبقِ ولم يذر على شيء.

ومما شاهدهُ بدر الدين من التخريب الجامع المذكور، وجانب السور والدور والحوانيت والحمامات والطواحين والاصطبلات، وما علمه عن الهالكين بالسيل[5] من السكان عدا الغرباء الذين كانوا في الجوامع والمساجد والطرق والحمامات فمن يجلهم، فكان تقويم هذه النكبة هكذا: القتلى من رجال ونساء وأطفال سوى من مات في الجامع والطريق ١٤٧ نفراً. والمهدوم من البيوت ٨٩٥ خراباً و٤٥٠ اختلالاً. ومن الحوانيت ١٣١

---

(١) خمسمئة.

(٢) طغى

(٣) هو الجامع الكبير، ولعلها المدرسة النورية. (المؤلف).

(٤) خمسة وعشرين ذراعاً.

(٥) ذكر ابن حجر العسقلاني في الدرر الكامنة (٣:١١٤) أن علي بن محمد ابن الشيخ علي الحريري غرق بهذا السيل في صفر سنة ٧١٧ هـ (١٣١٨ م) (المؤلف).

منها ٥٤ خراباً و٧٧ تشعيثاً. ومن البساتين ٤٤ ومن المساجد والمدارس ١٣ منها الجامع المعمور. ومن الأخراف ١٧ ومن أقنية الماء ٤ ومن الطواحين ١١ قتل فيها من الناس ٤٧ نفراً. (أ. هـ).

وقال ابن حبيب في تاريخه: «سنة ٧١٧ هـ وصلت في بعلبك زيادة أخربت ستمائة مكان وأحللت مائة وأربعين نفراً من السكان».

قال أبو الفداء المؤرخ: «وأتلف السيل كتب الحديث والمصاحف». وجميع ما في الأماكن من الرياش والأثاث والأمتعة، مما يُعدُّ خسارة عظيمة. ومات في الجامع الشيخ علي ابن[١] الحريري (لعله صاحب التاريخ المنسوب إليه)، ولن يزال[٢] مجرى ذلك السيل يسمّى إلى يومنا هذا (وادي السيل).

وقال في ذلك الإمام زين الدين بن الوردي المشهور، وأجاد ما شاءت بلاغته:

سيل طغى في (بعلبك) وراعدٌ ولهيب نار ثار للتعذيبِ
فلئن تركب ثم مازج سورها (فلبعلبك المزجُ في التركيبِ)

ونحو سنة ٧١٠ هـ (....م.)[٣] ونيف، كان علي بن حسن بن صبح الدمشقي علاء الدين أحد الأمراء بها، مقدم العشران بالبقاع. ولما مرَّ الجيش على البقاع مكسوراً، تلقاهم بالماء والزاد، فشكروا له ذلك وأعطي أمرة طبلخانة دمشق. وكان من رجال الدهر رأياً وحزماً ومات سنة ٧٢٤ هـ. ذكره ابن حجر في الدرر الكامنة (٣٨:٣).

سنة ٧١٨ هـ (....م)[٤] قال الصلاح الصفدي في تذكرته الجزء (٣٨) المخطوطة: «أحضر الفقيه زين الدين عبد الرحمن بن عبيدان البعلبكي الحنبلي في مجلس دار السعادة».

سنة ٧٢١ هـ (١٣٢١ م) أطلق الملك عماد الدين الألفي مقدمي البقاع، جمعة الحرباني النابلسي، محمد بن صبح قاطن قرية حمّارة فجمعا عسكراً ودخلا بلاد التيم على حين غفلة،

---

(١) بن.

(٢) ولم يزل.

(٣) الموافق ١٣١٠م.

(٤) الموافق ١٣١٨ م.

عندما كان الأمير حسين الشهابي حاكمها في الجولان، وعاثا فيها، فنمي إليه الخبر، فجمع رجاله والتقى بالمقدمين في صحراء بيت لهيا وحاربهما فكسرهما إلى سهل المحيدثة. وأرسل الحرباني وأرسله إلى حاصبيا[١]، وهرب ابن صبح ملتجئاً إلى الأمير سعد الدين المعني[٢] أمين الشوف، وقتل من عسكر المقدمين نحو خمسمائة رجل، ثم زحف الأمير حسين على البقاع فأحرقها، ورجع إلى حاصبيا مضطراً، فتوسط المعني الصلح، فأحضر محمد بن صبح إلى حاصبيا وأطلق جمعة الحرباني وعاد المعني إلى الشوف وساق الأمير حسين حجرة (مهرة) عربية، وبعد انصرافه بثلاثة أيام، عاد محمد بن صبح وجمعة الحرباني إلى البقاع، بعد أن نالوا غاية الإكرام من الأمير حسين.

وسنة ٧٢٦ هـ (١٣٢٥ م) في أوائل شهر رمضان، وصل الشيخ أبو عبد الله محمد بن بطوطة المغربي الطنجي المتوفى سنة ٩٧٧ هـ (١٣٧٨ م) إلى بعلبك عشية النهار، وخرج منها في الغد، ووصفها باختصار، ولم يُشر إلى قلعتها، وخرج منها، فوصل دمشق يوم الخميس في ٩ رمضان (وفيها):

«جاء ابن بطوطة عن طريق بيروت لزيارة أبي يعقوب يوسف الذي يزعمون أنه من ملوك المغرب، وهو بموضع يعرف بكرك نوح من بقاع العزيز، وعليه زاوية يطعم بها الوارد والصادر. ويقال إن السلطان صلاح الدين الأيوبي، وقف عليها الأوقاف، وقيل السلطان نور الدين. وكان السلطان يعقوب من الصالحين، ينسج الحصر ويقتات بثمنها. وذكر قصة مع السلطان نور الدين ملك دمشق»[٣].

وسنة ٧٢٨ هـ (١٣٢٧ م) زار أبو الفداء المؤرخ في ذهابه إلى القدس الشريف كرك

---

(١) يبدو من النص أن تكرار كلمة أرسل الحرباني لا معنى لها، إذ الصواب أن أرسله الأولى هي أسر الحرباني وأرسله إلى حاصبيا، وعلى هذا النحو يستقيم المعنى (المحقّق).

(٢) لا نعرف اسم سعد الدين بين المعنيين (المؤلف).

(٣) روى القصة ابن خلكان في ترجمته وابن بطوطة في رحلته، وأنكرها المقرّي في (نفح الطيب) (المؤلف). ويبدو أن هناك ارتباكاً في تحديد المواقع، إذ إن السلطان يعقوب تبعد عن كرك نوح مسافة ليست قصيرة، فالأولى تقع على قمة في سلسلة جبال لبنان الشرقية جنوبي عنجر، وهي قرية آهلة اليوم والثانية في اللحف الشرقي لجبل الكنيسة على مسافة قصيرة من زحلة (المحقّق).

نوح في البقاع، ماراً من حماة إلى بارين إلى بعلبك إلى الكرك، وانحدر إلى الساحل، فنزل بيروت، وسار منها إلى صيداء[1] وصور وعكا فالقدس والخليل، ثم عاد إلى حماة، فدخلها يوم السبت ٢٥ جمادي الآخرة.

سنة ٧٣٤ هـ (..... م)[2] مات لاجين القيمي والي الرحبة، وولي البقاع قبلها ونابلس، وكان بندراً سفاكاً للدماء، ينوّع للناس العذاب. وله حوادث ذكرها ابن حجر في الدرر (٢٧:٣).

سنة ٧٣٥ هـ (.....م)[3] كان حمزة التركماني متصلاً بتنكز، فصار سفيره عند الناصر، وظلم وخرّب بيوتاً كثيرة، وأبعد جماعة من خواص تنكز. فكثرت الشكاوى عليه. فتغير عليه تنكز وأمسكه سنة ٧٣٥ هـ وسجنه وعذبه. ثم أفرج عنه. فبلغه عنه كلام سوء، فأرسل مَنْ رماه بالبندق، فتورم جسده، ثم بعث به إلى البقاع، فقطع لسانه من أصله فهلك في هذه السنة. (الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني ٢: ٧٨).

سنة ٧٣٧ هـ (١٣٣٦ م) زار لبنان وسورية المجوّفة رودلف كاهن سوخن (Rodolphe. K. Suchen) من وستفالية.

سنة ٧٤٥هـ (١٣٤٤م) في شهر صفر، كانت الوقعة بين أهل البقاع وأهل وادي التيم، وقُتل من الفريقين خلق كثير، وأحرق ابن صبح[4] ثلاث عشرة قرية من وادي التيم وانقطعت السبل، ولا سيما طريق الزبداني. وكان ذلك في سلطنة الملك الصالح إسماعيل بن محمد، فجرت الواقعة بين البقاعية والتيامنة، وسلمت من قرى وادي التيم الكنيسة وكفرقوق وعيحا من النهب والحريق. وانقطع الدرب بوادي التيم وبوادي الزبداني. (تاريخ بيروت لصالح بن يحيى صفحة ١٧٦).

---

(١) صيدا.

(٢) الموافق ١٣٣٣م.

(٣) الموافق ١٣٣٤ م.

(٤) نرجّح أنه الأمير شهاب الدين بن صبح أو صبيح الذي كان يتولى النيابات، منها نيابة صفد في أيام الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون. ذكر في هذه النيابة سنة ٧٠٤ هـ (١٣٠٤ م). وقد أقطع أراضٍ في كسروان هذه السنة أيضاً. (المؤلف).

أقول: وربما كان في هذه السنة استقدام قبائل الطفيليين من (طُفيلة) في القلمون لتأمين الطرق، فسكنوا في وادي الزبداني ويحفوفة وتفرقوا، ومنهم بنو ياغي في بعلبك وبنو الشِمَّاط في سرغايا الخ.

نحو سنة ٧٥٩هـ (١٣٥٧م) درّس في المدرسة (الباذرائية) في دمشق الشيخ شهاب الدين أحمد بن محمد الحلبي، ثم الدمشقي قاضي كرك نوح والخطيب بها. (الدارس في المدارس للنعيمي)[1].

٧٦٧ سنةهـ (١٣٦٥م) قدم إلى دمشق بيدمر نائباً عليها وذلك بزمن الملك الأشرف شعبان، وقصد العصيان على السلطان، وتجمع إليه مقدمو البلدان، وحضر إليه ابن كلش ومعه سبعة آلاف، ومقدم الزبداني ومعه ألف نفس، فأرسل السلطان الجيوش، وبعد حصار شهرين، تسلم دمشق، وقبض على النائب وقتله.

وسنة ٧٨٤ هـ (١٣٨٢ م) لما جاءت العمارة الجنوبية إلى صيداء[2] فأخذتها وزحفت إلى بيروت، وكان قد حضر إلى بيروت العساكر الشامية، ومعهم جماعة من الأمراء والمقدم عليهم جمال الدين الهداني، وكان مقدم ألف، وكان عندهم عُشْران البلاد والبقاع، فبقوا في بيروت للمحافظة، فذهبت العمارة إلى جهة قبرص ثم عادت إلى أسكلة بيروت وهي اثنا عشر غراباً كبيراً، وكان فيها قرقورتان للبنادقة فأخذوهما وشحنوهما بالرجال وقدموهما، حتى تمكن الرماة منهم بالجروخ (آلات الرمي بالحجارة والأسهم النارية والنفطية) والحجارة من صواريها على برج بيروت الصغير البعلبكي. وحدثت موقعة عظيمة كان الظفر فيها للمسلمين، وحضر بيدمر من الشام لإخباره عن ذلك بالنار، فعادت الشواني إلى بلادها.

وسنة ٧٩٣ هـ (١٣٩٠ م) كان أحمد منطاش من موالي الملك الناصر محمد بن قلاوون قد ولاّه السلطان برقوق، فانتفض عليه، وأثار بعض العمال في مصر والشام فعصوا وفرّ منطاش مخذولاً، وبقي شريداً إلى منتصف هذه السنة، وكان كلما دخل بلدة يفر نائبها من وجهه خوفاً من السلطان، فلما دخل بعلبك، هرب نائبها إلى دمشق، فخرج إليه الناصري

---

(١) اسم الكتاب: الدارس في تاريخ المدارس للنعيمي. (المحقق).

(٢) صيدا وجاءت قبلها.

نائب دمشق في العساكر على طريق الزبداني، وسار منطاش بطريق آخر، فاقتتلوا في المدينة مدة شهرين، وجرى بعد ذلك حوادث كثيرة قدم لأجلها السلطان إلى دمشق وفرّ منطاش.

وقتل منطاش في بعلبك والد الأمير علاء الدين بن الحرفوش وأخاه أمسكهما فيها.

وكان الأمير علاء الدين ولعلّ هذا أول من تأمّر (أخذ الإمارة) من بني الحرفوش الخزاعيين، لأن السلطان الملك الظاهر برقوق أعطاه أمرة طبلخانات، فكان يعتمد عليه، حتى إنه لما استقرت قواعد الدولة الظاهرية هذه، جرّد لمقاتلة تركمان كسروان علاء الدين الحرفوشي، وعشران البقاع، فقتلوا علي ابن[1] الأعمى وجماعته من تركمان كسروان، واعتقلوا أخاه عمر بن الأعمى ثم أطلقوا سراحه. ولما جرت الموقعة بين يلبغا الناصري نائب الشام ومنطاش المذكور، قُتل كثير من الأمراء، منهم علاء الدين بن الحرفوش هذا، وكان ذا سطوة وبسالة، ولم تهدأ الحال حتى قتل منطاش والمنصوري.

سنة ٨٠٣ هـ (١٤٠٠ م) زحف إلى سورية تيمورلنك (أي الأعرج الحديدي) فلاقاه بأمر الملك الناصر زين الدين فرج بن[2] السلطان برقوق نوّاب الشام وغيرهم من الحكّام إلى حلب، فاستظهر ملك التتر عليهم بخيانة تمرداش نائب حلب، واعتقل نائب الشام وصفد وغزة. وفتك بالحلبيين وبمن اجتاحه في طريقه، إلى أن وصل إلى بعلبك، فخرج إليه أهلها مستأمنين، فلم يرثِ لتذللهم، بل أعمل فيهم الفتك والنهب والاستئصال، وتابع مسيرهُ إلى دمشق، وكان قد سبقه إليها السلطان فرج بن برقوق بجيوشه من مصر، فخشي بأسه وخرج ليلاً من القلعة راجعاً إلى مصر ومرَّ ببقاع العزيز، وزار قبر نوح، وبات في سفح لبنان تحت الصفصاف بين قريتي نيحا وجباع الحلاوة، وبقي متابعاً طريق الساحل إلى مصر، فطمع تيمور بدمشق ونكّل بها. ثم جاء الجراد، فساعدهُ على اكتساح البلاد وتخريب عمرانها وتعميم القحط فيها. وكان ذلك في ٢٩ آذار فزرَّ في أرضها ونقف (فقّس) في ١٢ آيار وأباد خضراءَها وغضراءَها، وحدث غلاء فاحش ومجاعة شديدة أكل الناس فيها عبيدهم

(١) بن.

(٢) ابن.

وجواريهم ودوابهم مما لا يؤكل، والجيف المنتنة فحدث منه وباء جارف فانتشر في سورية الويل المثلث: تيمور والجراد والوباء، وعاد عن سورية بعد أن عمّها الخراب.

وفي تاريخ بيروت لصالح بن يحيى صفحة ٢٥١ «أنه في هذه السنة حضر الملك الناصر فرج بن برقوق لمحاربة تيمور، فأرسل قبل وصوله إلى دمشق مرسوماً إلى تنكز بغا، نائب بعلبك والكاشف على صيداء[1] وبيروت أن يأخذ عشران البقاع وصيدا وبيروت ويلاقي السلطان إلى دمشق. فحضر تنكز بغا إلى صيداء وبيروت، فتوجه أمراء الغرب معه وبينهم الأمير بهاء الدين داود البحتري، وتوجه المقدمون والعشران، من ثلاث معاملات ومعهم متولي بيروت ناصر الدين محمد بن سويدان البيدمري. فلما وصلوا وادي دمّر وراء جبل الصالحية، وجدوا عساكر السلطان هاربة من تيمرلنك، فرجع المذكورون مع الهاربين، وتصور لهم أن التيمرلنكية تطردهم، فلاذوا هم أيضاً إلى الهرب ورموا لبوسهم وبعض سلاحهم وقماشهم ليخففوا بذلك عن خيولهم، ووثقوا على السرعة بالخفة. وفارق كل خلٍّ خليله، ولم يلتفت الرفيق إلى رفيقه، وفقد ذلك اليوم بهاء الدين داود المذكور، ولم يُعلم له خبر. فمن رفقته من قال: رأيته وصل إلى البقاع، ومنهم من قال: كان قدامنا عند وصولنا إلى زبدل. ومنهم من قال: انقطع عند ميسنون ولم يصل إلى البقاع. ومنهم من ظن أنه اختلط بعسكر السلطان وراح معهم إلى وادي التيم. واختلف القول في أمر المذكور، ولكن القول المرجّح أنه تعدّى البقاع في أوائل الناس. والمظنون أنه أصيب عند بساتين زبدل أو فوقها. والله أعلم.

وقد أصيب من عسكر السلطان في ذلك اليوم وبعده من العشران وأهل الجبال خلق كثير، ومن انفرد من المعسكر أبادهُ العدو سلباً وقتلاً، وبيعت الخيل واللبوس والسلاح بأرخص الأثمان. وجرى على المنفردين من العسكر ما لا يستحله عبّاد النار والأوثان. فنسأل الله العفو والعافية.

وكان هرب العسكر من تيمرلنك يوم الجمعة العشرين من جمادي الأولى سنة ٨٠٣ هـ (١٤٠٠م)، يوم فقد بهاء الدين المذكور.

(١) صيدا.

وسنة ٨٠٩ هـ (١٤٠٦م) سعى الأمير سيف الدين جكم نائب حلب من قبل السلطان الملك الناصر فرج بن برقوق بترميم قلعة حلب وأسوارها التي أحرقها ودكها تيمورلنك[١]، فأحضر إليها أخشاباً من جهات بعلبك من بلاد دمشق، ولما تولّى الملك المؤيد الشيخ عليها، أمر بتسقيف القصر بأخشاب نفيسة، فأخذها من بعلبك، وكانت في غاية الطول ونهاية الغلظ، فسقّفه بها وصار قصراً عالياً فخيماً جداً، كما روى ذلك ابن الشحنة في تاريخ حلب.

وبعد سنة ٨١٠ هـ (١٤٠٧ م) كان أمراء بنو الحمراء أو الحُميْراء وهم حي من عرب البقاع يحكمونه، فحدث لهم ما حملهم على النزول إلى بيروت وترك البقاع، فأناخوا عند رأس بيروت، واشتروا كنيسة المخلّص للرهبانية الفرنسية المؤسسة سنة ١٢٢٦ م، فنقلوا حجارتها إلى مدرستهم التي عمّروها في بيروت وبقوا هناك إلى أن حدث لهم مع الأمير عزالدين صدقة التنوخي المتوفى سنة ٨٤٨ هـ (١٤٤٤ م) ما اضطره إلى أن طردهم من بيروت وقطع رأس أحدهم وأرسله إلى دمشق[٢] وذلك سنة وفاته ١٤٤٤ م.

وسنة ٨١٧ هـ (١٤١٤ م) قدم الإفرنج من البحر إلى الدامور بين صيدا وبيروت، فنهض إليهم من دمشق السلطان أبو الفتح المقتفي الداودي، رابع ملوك الجراكسة، فمرّ بوادي التيم والبقاع ولبنان لملاقاة الأمير قاسم الشهابي حاكم وادي التيم، وقدّم له الميرة وجمع فرسانه ورحل [من] وادي التيم، وسار معه لقتال الفرنج والتقى بالسلطان الأمير أحمد بن[٣] الأمير عثمان المعني حاكم لبنان في قمة الجبل، فساروا جميعاً وقاتلوا الفرنج واستظهروا عليهم وعاد السلطان إلى دمشق فبات في وادي الفريديس على نهر الباروك في سفح لبنان بضيافة المعني. ثم قام حمود الشهابي فبات على نهر البقاع في صحراء قرية جب جنين ثم إلى الديماس، ومن هناك ذهب الأمير قاسم إلى بلاده والسلطان إلى دمشق[٤]. (عن تاريخ الشهابيين في حاصبيا) (مخطوط).

---

(١) يلاحظ أن المؤلف يكتب تيمورلنك أو تيمرلنك تبعاً للمصدر الذي يأخذ عنه (المحقّق).

(٢) راجع كتاب (تاريخ الأعيان) لطنوس الشدياق اللبناني صفحة ٢٤٣ وتاريخ بيروت لصالح بن يحيى صفحة ٧٠ و١٣٥ و١٤٩ و٢٦٠ (المؤلف).

(٣) ابن.

(٤) راجع هذه الموقعة مفصلة في تاريخ الشدياق في أعيان لبنان صفحة ٦٧٣ سنة ١٤١٣ م. (المؤلف)

وسنة ٨٤٧ هـ (١٤٤٣ م) امتد الوباء (الطاعون)[١] في سورية حتى خرج من دمشق أكثر من ألف جنازة في يوم واحد. ومات كثيرون في بعلبك والبقاع وما إليهما.

سنة ٨٢١ هـ (.... م)[٢] ذكر برهان الدين البقاعي في كتابه (عنوان العنوان) في التيمورية كما أفادني صاحبها العلامة أحمد تيمور باشا، أنه ليلة الأحد في ٢٩ شعبان من هذه السنة، قُتل والده عمر بن الرباط حسن بن علي بن بكر في (خربة روحا) في جمع من إخوته وبني عمّه في كائنة قال إنه ذكرها في ترجمته ولم نقف عليها. وذكر أنه ممن قُتل في هذه الكائنة يوسف بن مكي بن عثمان بن علي بن حسن قريبه الفقيه الشافعي المولود سنة ٥٧٠ هـ (...... م)[٣] في خربة روحا من البقاع. ووالده المذكور كان عالماً أيضاً.

سنة ٨٨٣ هـ (.... م)[٤] قال ابن سباط البهاليهي في تاريخه المخطوط عندي: «وفي هذه السنة قُتل علم الدين سليمان بن حسين الصوّاف في مكان يعرف بقلابات عين فخور، فأحرقت القرية ونهبت، وخرج صاحب دمشق إلى البقاع طالباً غُرماء. وهلك أبو بكر بن الشهاب مقدم وادي التيم بسببه في (جسر زينون) وهو الذي أسس خان هرماس ولم يُتمم بناءه».

وسنة ٩٠٨ هـ (١٥٠٢ م) تولى نيابة دمشق قانصوه المحمّدي فظهر إلى البقاع وانهزم منه ناصر الدين بن محمد بن حنش[٥] مقدم البقاع، وكانت بينهما مناوشات.

---

(١) أحد الأمراض المعدية الذي ينتقل في الهواء والمواد الملوثة، وهو على أنواع تبعاً للمناطق التي يصيبها من الإنسان (الغدد اللمفوية، الدم، الرئتين). وقد تبين أن المسبب الفعلي له هي البراغيث وليس الفئران والجرذان التي تحمله من الأولى. لعب هذا المرض دوراً تدميرياً لمدن العصور الوسطى التي تعرضت له (ترجمة عن مجموعة مقالات في الانترنت) (المحقّق).

(٢) الموافق ١٤١٨ م.

(٣) الموافق ١١٧٤ م.

(٤) الموافق ١٤٧٨م.

(٥) ابن حنش هو كما ترجمه النجم الغزي في الكواكب السائرة ونقلته إلى تاريخ فخر الدين المعني (الذي ألفته مطولاً) من أسرة حكمت البقاع وذكر منها ابن سباط المؤرخ البهاليهي بتاريخه المخطوط في خزانتي بعض حكامها وكانوا مقدمين ولهم اصطلاح في الكتابة مثل أمراء بني معن وغيرهم كما في كتاب (............). (المؤلف).

سنة ٩٠٩ هـ (١٥٠٣ م) طما سيل على إثر ديمة استمرت ٢٧ يوماً منها خمسة أيام بلياليها. لم يُر شمس ولا قمر، فطغت الأنهر طغياناً عظيماً وأغرقت البيوت والدواب والحوانيت والبساتين، حتى إن نهر الليطاني في البقاع، أهلك كثيراً من الدواب، وهدم جسر القرعون الذي كان مرتفع البناء من الحجر المتين.

«وفيها أيضاً» جهّز الأمير ناصر الدين بن محمد بن حنش مقدّم البقاع خمسة آلاف مقاتل على عبد الساتر بن بشارة في قرية شيحين، وكان مطر عظيم فقتل من جماعة ابن حنش نحو مائتين.

سنة ٩١١ هـ (١٥٠٥ م) جهز نائب الشام قانصوه المحمدي العساكر مع جوان بك الإفرنجي الدوادار إلى (البقاع) فقتل الدوادار وقتل معه ثلاثمائة نفر. ثم جمع النائب عساكره وأزمع المسير بنفسه إلى البقاع، فمات قبل مزايلته دمشق. وكانت الموقعة مع الأمير فخر الدين بن عثمان المعني، أمير الشوف من أعمال صيداء[١]. وقُتل الدوادار عند جسر كامد اللوز، أي جسر القرعون[٢].

وفيها في شهر ذي الحجة، دخل سيباي الأشرف إلى مدينة دمشق نائباً بها، فلم يلبث إلاّ أياماً يسيرة حتى قبض على الأمير فخر الدين عثمان بن معن، وركب على الأمير ناصر الدين بن الحنش، وجرت أمور كثيرة وحوادث عظيمة يطول شرحها. وأقام سيباي (محمد بن قرقماس) كاشفاً على البقاع، فلم تقبل البلاد حاكماً عليها من غير أهلها.

سنة ٩٢١ هـ (..... م)[٣] وقعت الفتنة بين الشراكسة[٤] والعثمانية في دمشق، ورحل

(١) صيدا.

(٢) الصحيح أن جسر جب جنين كان يسمى جسر كامد اللوز، وليس جسر القرعون كما ورد (المحقّق).

(٣) الموافق ١٥١٥ م.

(٤) ينتسب الشركس إلى المنطقة التي تقع بين بحري قزوين والأسود وهم عبارة عن مجموعة شعوب يتكون كل شعب منها من عدة قبائل، وخلال مراحل تاريخية انطلق هؤلاء من منطقة القوقاز وانساحوا في كل من تركيا وسوريا والعراق والاردن ولبنان. وللشركس لغات عدة وليس لغة واحدة، ويدين معظمهم بالإسلام، إلا أن هناك أقلية مسيحية منهم. لعب الشركس دوراً لا يستهان به في الطور المتأخر من عمر الدولة العباسية وخلال العصر المملوكي خصوصاً، راجع، محمد عبد الرحمن، تاريخ القفقاز، دار النفائس، بيروت، وكذلك المواقع الالكترونية. (المحقّق).

كثير من الناس إلى البقاع وبعلبك، ومنهم عبد الله بن القرعوني (من القرعون في البقاع). (تنبيه الطالب وإرشاد الدارس إلى ما في دمشق من المدارس) لمحيي الدين أبي المفاخر النعيمي الدمشقي[١] وسكنوا القرعون وبقوا نحو ثمانية أشهر فيها. (عن مختصر الدارس للعلوي) المخطوط.

[الفتح العثماني]

سنة ٩٢١ هـ (١٥١٥ م) لما فتح السلطان سليم العثماني الديار الشامية والمصرية، ركدت عواصف الفتن، وخمدت نيران المشاحنات، ورتبت الإمارات والولايات وعمرت البلاد، فجاء المتاولة (الشيعيون) من جهة بعلبك إلى لبنان وسكنوا في فاريّا وحراجل وبقعاتا. وقدم السنّية (المسلمون الأصليون) من البقاع، واستوطنوا فتقا وساحل علما وفيترون وفقّيع (القليعات) والجديدة.

وكان الغزالي[٢] الشركسي في هذا الوقت نائب الشام، قد انحاز إلى عسكر السلطان سليم بإغراء خيري بك نائب حلب طمعاً للإمارة، ولما فشل الغوري الشركسي وقُتل، اغتنم الغزالي فرصة موت السلطان، وأثار الناس على العثمانيين، فجاء فرحات باشا وقبض عليه في الصالحية، وقطع رأسه وأرسله إلى الآستانة.

سنة ٩٢٢ هـ (١٥١٦ م) لما فتح السلطان سليم سورية، وكانت بعلبك والبقاع إقطاعاً للملوك بزمن الأيوبيين والصليبيين، ثم ألحقت بحكومة صيداء[٣] إدارياً. كان يتولاها

(١) وقفتُ الفقير مؤلف تاريخ سورية المجوّفة هذا على الكتابين التنبيه ومختصره في دمشق أيام كنت عضواً في المجمع العلمي سنة ١٩١٩. ونقلت منه فوائد لهذا الكتاب، واشتغلت مع زملائي الأعزاء بمقابلتهما على نسخ دقيقة، وعندي نسخة (من الدارس في المدارس) للنعيمي. (المؤلف).

(٢) كتبت أنا عيسى اسكندر المعلوف مؤلف هذا التاريخ مقالة في الغزالي عن مخطوط لابن المقّار في مجلة العرفان بصيدا. (المؤلف).

(٣) صيدا.

في هذه السنة الأمير ناصر الدين ابن[1] الحنش صاحب صيداء[2] والبقاعين فعصى على السلطان وفرّ من وجهه. فقبض السلطان على بعض المعنيين وأخذهم إلى الآستانة لأنهم يوالونه ويحرّشونه على العصيان، وبقوا مأسورين إلى أن أرسل إليه رأس ابن الحنش، فأطلق سراحهم، وكان يتنازع هذه البقعة ولاة دمشق وصيداء[3] (لبنان) وفيها حدثت معارك كثيرة. وتوالى على ولايتها بعد ابن الحنش ابن فريخ وبنو حيمور (من سلالة بني الحمراء عرب البقاع) والمعنيون والحرفشيون والشهابيون واللمعيون[4].

والظاهر أن الحرافشة لزموا للسكينة لخوفهم من السلطان الذي كان عدوّ التشيع، فلم نسمع عنهم شيئاً عند الفتح العثماني.

سنة ٩٣١ هـ (١٥٢٤ م) في ٢٢ تشرين الثاني، توفي المطران جرجس بن صدقني من مزرعة الحدث في قرية اليمونة وهو يزور رعيتهُ، ونقل ليلاً ودفن في دير قنُّوبين.

سنة ٩٣٣ هـ (١٥٢٦ م) جاء جراد من ناحية الجنوب في شهر نيسان، فعاث في البلاد وغطى أشجارها وأراضيها ما عدا بعلبك وجون عكار، وأكل جميع الزروع والنبات، ثم خرج الزحّاف، فأكل جميع الأشجار وعقبه غلاء فاحش.

سنة ٩٣٣ هـ (١٥٢٦ م) في شهر ذي الحجة ارتحل إلى كرك نوح الشيخ زين الدين بن علي بن أحمد... بن مشرف العاملي الجبعي (الشهيد الثاني) المولود سنة ٩١١ هـ (١٥٠٥ م). وقرأ في الكرك على المرحوم المقدسي السيد ابن السيد جعفر جملة فنون فيها (العُمدَ الجلية في الأصول الفقهية) من تأليفه.

نحو سنة ٩٤٠ هـ (١٥٣٣ م) استفحل الخصام بين مالك ابن[5] أبي الغيث اليمني شيخ العاقورة وبين هاشم العجمي شيخ القيسية، لأن مالكاً لما كبس جبة المنيطرة

---

(١) بن.

(٢) صيدا.

(٣) صيدا.

(٤) رأيت تاريخ هذا الفتح لأحمد بن زنبل الرمال المصري مطبوعاً على الحجر وفيه فوائد كثيرة وهو بحوزتي (المؤلف).

(٥) بن.

وأحرقها، اتفق أهل المنيطرة مع قيسية العاقورة، وكمنوا لمالك في طريق الصرد (الجرد) واغتالوه. فشكاهم حنش وحرفوش أخوا مالك إلى الشام، فكتب نائب الشام إلى الأمير منصور العسّافي أن يرسل إليه الجانين ليقتص منهم. فحرّش الأمير عبد المنعم أخ هاشم على قتله. فتأثره عبد المنعم برجاله فقتل أحد أبناء عمه. وكان أخوا مالك يرافقانه، فالتجأ هاشم إلى كرك بعلبك ولاذ بحمى الأمراء والحرافشة فيها. فنهبوا قرية لاسا، وأحرقوا بعض ضياع المنيطرة، فخاف قيسية العاقورة وهربوا إلى نواحي طرابلس الشام، فانتهبت دورهم وأُحرقت العاقورة، فصارت قاعاً صفصفاً، واستوحش الأمير منصور من عبد المنعم وتغير عليه، فأدرك نيته وتلافى المسألة بالانحياز إلى الحرافشة لقتل هاشم، وتعهد لهم بقتل الأمير منصور وتسليمهم ولايته، فقتل الحرافشة هاشماً فوق الكرك وطرحوا جثته في بئر هناك تسمّى إلى يومنا بئر هاشم. وأوجس العاقوريون خوفاً. وفرّ القيسيون منهم إلى طرابلس واليمنيون إلى دمشق، فخلت سبع سنوات من السكان لتخريبها.

سنة ٩٤٣ هـ (١٥٣٦ م) ذكر ابن طولون المؤرخ في كتابه (ذخائر القصر في تراجم العصر) المخطوط: «في قرية تل ذنوب من أرض البقاع من الشوف وقد غير اسمها الشيخ محمد بن عراق لما كان بمجدل معوش».

(ذو النون) وهي وقف الأتابكية. توفي السيد عمر بن محمد بن حمزة الحسيني نجم الدين ابن شيخنا السيد كمال الدين ابن السيد عز الدين وقد ذهب إلى قسمة القرية. وقيل إن بعض الفلاحين نخسه في جنبه فأدى ذلك إلى موته ولم يثبت وذلك ليلة الأربعاء وقت العشا في خامس عشرين ربيع الآخر سنة ٩٤٣، وحمل على تل تبن على أن ينقل إلى دمشق، فأدخل من باب الفرج إلى منزله بالنحاسين.

وتطيّر أهل دمشق من دخوله إليها ميتاً ودفن بباب الصغير تجاه سيدي بلال. وكان مولده بدمشق سنة ٩٠٧ هـ[1].

وسنة ٩٥٣ هـ (١٥٤٦ م) أقام الشيخ زين الدين بن مشرف المذكور في بعلبك، ودرس فيها مدة في المذاهب الخمسة وكثيراً من الفنون، ونال منزلة كبيرة، وقتل نحو سنة ٩٦٦ هـ (١٥٥٨ م) في القسطنطينية.

---

(١) الموافق سنة ١٥٠١ م.

سنة ٩٥٥ هـ (١٥٤٨ م) زار بلون (......)[1] الرحالة الفرنسي قلعة بعلبك، فرأى هيكلها الكبير قلعة منيعة، وكانت أعمدته القائمة تسعة وأعمدة الهيكل الصغير القائمة تسعة وعشرون عموداً (فوقع من الهيكل الكبير ثلاثة أعمدة بالزلزلة سنة ١٧٥٩ ومن الصغير تسعة أعمدة والمخلخل الحجر الأوسط من عتبته باقية.

وفي سنة ٩٩٢ هـ (١٥٨٤ م) نهبت خزينة السلطان مراد في جون عكار في طريق الحج من طرابلس إلى القسطنطينية. فأمر الباب العالي جعفر باشا الطواشي حاكم طرابلس أن يصادر السيفيين، فألقوا التهمة على العسافيين والمعنيين، فجاء لبنان ابرهيم باشا والي مصر بعسكر جرار وخيّم في مرج عرجموش تحت مدينة زحلة المسمّى الآن بالفيضة، وقطع طريق البحر والبقاع، وضايق الناس وقتل خلال ذلك كثيراً، وصادر المعنيين، ففر الأمير قرقماس والد فخر الدين الثاني إلى مغارة تيرون تحت جزين حيث قضى نحبه. كما فصلت ذلك.

سنة ٩٩٩ هـ (١٥٩٠ م) ذكر نجم الدين الغزي في (الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة) من مخطوطاتي: قتل بدمشق الأمير علي ابن الأمير موسى الحرفوشي أمير بعلبك وأرسل رأسه إلى التخت السلطاني.

سنة ١٠٠١ هـ (١٥٩١ م) كان الأمير علي بن موسى الحرفوشي حاكماً في بعلبك فقبض عليه مراد باشا حاكم دمشق بمعية الأمير فخر الدين المعني وخنقه في قلعة دمشق سنة ١٠٠٢ هـ (١٥٩٣ م)، فتولى إمارة بعلبك الأمير موسى وشايع المعني.

١٠٠٢ هـ (١٥٩٣ م) كان الأمير منصور ابن[2] الفريخ البدوي أمير البقاع قد وشى على الأمير قرقماز المعني بحادثة نهب خزينة السلطان، وشايع يوسف باشا سيفا، فسعى به فخر الدين المعني لدى وزير دمشق فقتله في القلعة سنة ١٥٩٣م وصادر بوارش وقب الياس حيث كان ولده قرقماز فيهما وقتلوه على يد الأمير موسى الحرفوشي. بعد سنة تولى المعني البقاع.

---

(١) هكذا في الأصل.

(٢) بن.

سنة ١٠٠٤ هـ (١٥٩٥ م) ركب الأمير موسى الحرفوشي برجاله الخمسة عشر ألف مقاتل على يوسف باشا سيفا حاكم طرابلس الشام وذلك تلبية من الوزير محمد باشا السيد نائب الشام ونجدة للأمير فخر الدين المعني حاكم البقاع وعدو السيفيين، فزحف على غزير، وقد جاءته رسالة من الأمير الأعوج الحموي يحثه فيها على السيفي أنشد فيها شعراً:

غزير طورٌ ونار الحرب موقدة   وأنت موسى وهذا اليوم ميقات[1]

الـقِ العصا تتلقف كل ما صنعوا   ولا تخف فحبال القوم حيّات[2]

والتحم القتال قرب نهر الكلب فاندحر السيفي وأبلى رجال الحرفوشي بلاءً حسناً.

سنة ١٠١٥ هـ (١٦٠٦ م) قصد أحمد باشا الحافظ دمشق محاربة الأمير يونس الحرفوشي، فأنجده الأمير فخر الدين المعني.

سنة ١٠١٦ هـ (١٦٠٧ م) كان الأمير موسى الحرفوشي في نجدة الأمير فخر الدين المعني لعلي باشا جنبلاط وكان الحرفوشي سفيراً في الصلح بين وزير دمشق والجند [وبين][3] الجنبلاطي، فعاد مخذولاً، ولما اشتدت العداوة بينهم وبين الجند الدمشقي، فرّ الحرفوشي إلى دمشق وأخبر بعزمهم على دخول دمشق، فانتهز الفرصة الأمير يونس بن حسين الحرفوشي ابن عم الأمير موسى هو ورجاله وأولاد عمه منحازين إلى الجنبلاطي والمعني المخيمين في البقاع، فقصدوا بعلبك ونهبوها وفرقوا أهلها، ونال على إثر ذلك الأمير يونس ولاية بعلبك والبقاع متمكناً منها. فلما رجع ابن جنبلاط، خرج الأمير موسى إلى القيروانية وجمع عشيراً كبيراً لقتال ابن عمه وإخراجه من بعلبك. ثم تفرق العشير ورجع إلى دمشق مريضاً فتوفي فيها يوم الجمعة في ١٧ صفر سنة ١٠١٦ هـ (١٦٠٨ م).

---

(١) غير واضحة في الأصل وتم أكمال البيتين من المحبي، خلاصة الأثر، ج ٤، ص ٤٣٢ (المحقق).

(٢) كانت هذه أيضاً غير واضحة. وهناك رواية عن هذه المعركة تفيد أن هذه الأبيات هي لأمير حماة أبو الفوارس خلاف ما هو وارد. وقد أرسلها إلى الأمير موسى الحرفوشي في معركة أعزاز بولاية حلب لإخضاعها بعد عصيانها على السلطنة العثمانية وليس في معركة غزير (المحقّق).

(٣) زيادة يقتضيها السياق.

وسنة ١٠٢٠ هـ (١٦١١ م) سار الأمير يونس الحرفوشي برجاله لنجدة الأمير علي ابن[1] الأمير فخر الدين المعني في نواحي دمشق وعجلون ثم بإغراء الأمير أحمد الشهابي حاكم حاصبيا، حضر يونس إلى دمشق، ودخل في طاعة الحافظ وأنجده برجاله على المعني، وبذلك ضعف المعني وهرب إلى البندقية، واشتهر الحرفوشي بموقعة جسر الخردلة هو ورجاله وحسين باشا سيفا ورجاله.

ولما دانت البلاد للحافظ بهرب المعني، طلب من الأمير يونس الحرفوشي أن يسلمه حصن اللبوة وقلعة بعلبك، وخرج إليه بالعساكر من دمشق فاسترضاه يونس بخمسين ألف غرش.

وسنة ١٠٢٠ هـ (١٦١١ م) توفي المنلا قاسم بن أحمد الكردي نزيل دمشق من أفاضل الأكراد، ولما مات أحمد باشا (......)[2] استأجر وقفه في بعلبك، وصرف جهده في تنمية الوقف، وبعده اضمحل أمره وخربت قراه. (خلاصة الأثر للمحبي ٣:٢٩٢).

سنة ١٠٢٤ هـ (١٦١٥ م) اقطع محمد جركس باشا البقاع إلى الأمير شلهوب الحرفوشي لقاء اثني عشر ألف غرش دفعها له وأمده بخمس مائة فارس، فحاصر ابن عمه الأمير يونس الحرفوشي في قلعة قب إلياس حتى سلمها إلى شلهوب بالأمان. فتوجه الأمير يونس إلى حلب لمقابلة الصدر الأعظم فيها. وقرّر عليه البقاع وبلاد بعلبك بأربعين ألف ذهبية. وجاء بالأوامر من الوزير إلى محمد جركس باشا تؤذن برفع يد الأمير شلهوب الحرفوشي عن البقاع وتسليمها له.

(وفيها) استدعى يوسف باشا سيفا الأمير شلهوب الحرفوشي والأمير أرسلان والأمير موسى الكردي من رأس نحاس وحسن آغا ومعهم عشرون بلوقباشياً من السكمان وأكثر رجال بلاده لحفظ بيروت ومساعدة الشيخ مظفر العينداري اليمني فحضروا إليه وحدثت موقعة ١٠٢٦ هـ (١٦١٧ م)، وعقد الأمير علي بن[3] الأمير فخر الدين المعني عقد ابنته فاخرة على الأمير أحمد بن[4] الأمير يونس الحرفوشي.

---

(١) ابن.

(٢) توفي سنة ١٦١٧ م (المحقّق).

(٣) ابن.

(٤) ابن.

وفيها أرسل الأمير علي ابن الأمير فخر الدين المعني مدبرهُ إلى الأمير يونس الحرفوشي في بعلبك لاسترضاء وزير دمشق عليه، فسار الأمير يونس مع مدبر المعني إلى دمشق. واستقرض المدبر من الأمير يونس عشرة آلاف غرش ودفعها للدائنين الذين لهم ما على سيده المعني، وكتب لهم بالباقي صكاً إلى شهرين بكفالة الأمير يونس، وعادا، فشكر المعني الحرفوشي على كفالته وأرسل له دينه الذي أخذه المدبر.

(وفيها) قدم إلى مشغرة في البقاع الأمير أحمد بن[1] الأمير يونس الحرفوشي صهر المعني. وشرع ببناء دار فيها وأرسل مشايخ المتاولة بالتقرب منه. فتأفف المعني من ذلك وكتب إلى والده الأمير يونس في بعلبك أن يمنعه عن السكن في مشغرة، فمنعه والده.

(وفيها) عاد الأمير فخر الدين المعني من البندقية إلى لبنان، فذهب الأمير أحمد الحرفوشي للسلام عليه وقدم له هدية من جياد الخيل المطهمة، فقبلها منه، وتوسط والده الأمير يونس الحرفوشي بإرسال مدبره للأمير المعني الكبير الحاج ناصر الدين منكر الذي اعتقله اقتصاصاً منه. وكان ولده الأمير أحمد قد راسله لما سكن مشغرا كما مرَّ. وكفل الأمير يونس عن الحاج ناصر هذا اثني عشر ألف غرش يدفعها لأرباب الدَّيْن في دمشق فأطلقه.

(وفيها) لما ضايق الأمير فخر الدين المعني بلاد بشارة ومشايخها بطلب الأموال عن الخمس سنوات التي هجر فيها البلاد، فر مشايخ بلاد بشارة بنو منكر وبنو علي الصغير إلى بلاد بعلبك ولاذوا بحمى الأمير يونس الحرفوشي.

سنة ١٠١١ هـ (١٦٠٢ م) فاجأ الأمير موسى (من قبل الأمير يونس الحرفوشي) جُبّة بشراي في لبنان، ونهب بيوتها ومواشيها، وأهلها في الساحل اقتصاصاً من السيفي، فجمع يوسف باشا سيفا خمسة آلاف مقاتل يزحف بهم على بعلبك، فنهبها وشتت أهلها، فتحصن شلهوب بن نبعة في القلعة مع جماعة من الحرافشة والبعلبكيين، وكانوا نحو ألف رجل ما

---

(١) ابن. لكن لم يكن تأفف المعني من بناء الأمير أحمد الدار، بل كان جرّاء تخوفه من هذا التصرف دون علمه في منطقة تعتبرموقع نفوذ له هي مشغرة القريبة من جبل الشوف وتربطه بوادي التيم وحاصبيا ولقربها من سنجقية صفد لذا سعى إلى وقف ذلك. وقد يكون تم ذلك بمساعٍ من العثمانيين في إطار مراقبة احتمال التفاعل بين سكان منطقتي بعلبك وجبل عامل مع التوجهات الصفوية التي قد تشكل متاعب لهم في المستقبل. تاريخ الصفدي، ص ٦٦ (المحقّق).

عدا النساء والأولاد، فشدّد السيفي الحصار على القلعة مدة خمسين يوماً، فاحتلها وقتل جماعة من أعدائه الذين نكلوا برجاله في موقعة نهر الكلب مثل ابن فاطمة ورعد بن نبعة الطبشازي، ثم أحرق السيفي قرية (حدث بعلبك) وأمن للباقين وعاد ظافراً[1].

سنة ١٠١١ هـ (١٦٠٢ م) توفي القاضي الأكحل ابن[2] مفلح الراميني المحدث الرحالة المؤرخ، وكان قد ولي قضاء بعلبك وصيدا وله تاريخ ترجم فيه معاصريه (المحبي ٣: ٣١٥) وعندي تاريخ قديم عليه حواشٍ بخط ابن مفلح، وهو مخطوط مهم كتبه يحيى الشمبرلاسي المصري.

وفي سنة ١٠١٤ (١٦٠٥ م) التجأ الأمير يونس الحرفوشي إلى الأمير فخر الدين المعني والي جبل لبنان خوفاً من ابن عمه الأمير يونس، فأجابه وعقد للأمير أحمد ابن الأمير يونس على ابنته.

سنة ١٠١٦ هـ (١٦٠٧ م) ذكر النجم الغزي الدمشقي في (الكواكب السائرة) أنه مات في دمشق في هذه السنة الأمير موسى بن علي بن موسى الحرفوشي أمير بعلبك، وليها بعد قتل أبيه، وكان أقرب أهله إلى التسنّن. وقتل الأمير علي بن سيفا والأمير قرقماس (ابن الإفرنج). ولما دخل ابن حنبلاط بعلبك قاصداً الشام، انحاز هو وعياله إلى دمشق، وابن عمه الأمير يونس إلى آل معن.

وسنة ١٠٢٨ هـ (١٦١٤ م) كتب الأمير فخر الدين إلى الأمير يونس الحرفوشي أن يضبط ما لآل سيفا من المواشي والغلات في قريتي القيروانية والهرمل فلبى أمرهُ وغنم بذلك أموالاً طائلة.

وسنة ١٠٢٩ هـ (١٦١٥ م) كتب الحاج كيوان وكرد حمزة إلى الأمير فخر الدين المعني يستنجدانه على الشيخ رشيد شيخ حوران، فأرسل الأمير موسى بألف فارس وسار معهما من بعلبك إلى الزراعة ثم عادوا بلا قتال.

(وفيها) مرّ الأمير فخر الدين بفرسانه من البترون إلى حدث بعلبك في جرود لبنان

---

(١) راجع الدويهي ص ١٨٤ مفصلة أكثر، وابن سباط والشدياق، ص. ٢٢٠ (المؤلّف).

(٢) بن.

ومنها إلى المجرّ في بلاد بعلبك قاصداً عكار، فلما نمي الخبر إلى الأمير يونس هلع ولاذ بحصن اللبوة، فقصده المعني بعشرة فرسان وواجهه وأمنه، فاستقدمه إلى خيمته فسار معه ورجع من فوره إلى حصن اللبوة محتجاً بتقديمه الميرة للعساكر وأخلف بوعده بحضوره وبتقديم الميرة. فسار المعني لمقاتلة السيفي.

(وفيها) توفي الأمير أحمد بن الحرفوشي زوج ابنة الأمير فخر الدين، فطلب الأمير يونس من كتخداه الحاج كيوان نعمة لما عاج ببعلبك قاصداً مخدومه المعني أن يستأذن له من سيده بتزويج ابنته المترملة أي زوجة الأمير أحمد بابنه الأمير حسين لقاء ثمانية آلاف غرش استرضاء لخاطر المعني، فقبل وطلب إلى الحاج كيوان مدبره أن يجري العقد ويقبض من الأمير يونس ثمانية آلاف غرش.

(وفيها) أرسل الأمير المعني يلتمس من الدولة سنجقية[1] حمص للأمير يونس الحرفوشي فجاء الأمر بنيلها. فأرسل ولده الأمير حسين حاكماً إليها.

سنة ١٠٣٣ هـ (١٦٢٣ م) حدثت موقعة بين مصطفى باشا والي دمشق والأمير فخر الدين المعني والي لبنان، فكان مع الوزير ضد المعني الأمير يونس الحرفوشي حاكم بعلبك وآل سيفا حكام طرابلس الشام، فاقتتلوا عند نبع عنجر، فظفر المعني بهم.

ونال المعني سناجق عجلون وصفد ونابلس والبقاع، وذهب المعني إلى بعلبك، فحاصر قلعتها وأخذها وهدمها.

سنة ١٠٣٣ هـ (١٦٢٣ م) ولي محمد بن عبد الباقي المحبي ابن عم والد صاحب خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر (للهجرة) (قضاء بعلبك) ثم (صيدا) وتوفي سنة ١٠٣٣ هـ (المحبي ٤: ٢٩٥).

سنة ١٠٣٣ هـ (١٦٢٣ م) تولى الأمير قاسم بن[2] الأمير علي الشهابي مقاطعة الزبداني بواسطة الأمير فخر الدين المعني وبقي فيها نحو سنتين.

---

(١) السنجقية وحدة إدارية وعسكرية أصغر من الإيالة التي تتألف من مجموعة سناجق. واختلفت مساحة السنجق بين فترة وأخرى من عمر الدولة العثمانية (المحقّق).

(٢) ابن.

١٠٣٥ هـ (١٦٢٥ م) نال فخر الدين المعني ولاية بعلبك.

سنة ١٠٣٧ هـ (١٦٢٧ م) في أول حزيران نهار أحد العنصرة سنة ٧١٣٦[1] لآدم الموافق ٨ شوال سنة ١٠٣٧ هـ. اجتمع في دير سيدة رأس بعلبك أحد عشر أسقفاً وعقدوا مجمعاً إنطاكياً وهم سمعان (سيادن) مطران مدينة حماة ويواكيم مطران حمص وملاثيوس مطران مدينة حلب ومكاريوس مطران مدينة صور وصيداء[2] ونيقولاوس مطران حوران وأبيفانيوس مطران مدينة بعلبك ويواكيم مطران مدينة طرابلس وسمعان (سيادن) أسقف صيدنايا ويواكيم أسقف الزبداني ويواصف أسقف قارة وأغناطيوس مطران بانياس وذلك بزمن السلطان مراد ابن[3] عثمان وبنظارة الأمير فخر الدين بن معن الذي كان يحكم من كرك الشوبك إلى جبل انطاكية الشام. وكان إذ ذاك في قلعة بعلبك واللبوة، وكان الواسطة بهذا المجمع الشيخ أبو شلهوم (شلهوب) بن لطيف من معمورة الفرزل، وهو كان مندوباً من قبل الأمير فخر الدين المعني. وكان شيخ معمورة الراس إلياس ابن الشيخ فرح المكنى قسطنطين وبقي إلى العاشر من تموز. وكان سبب هذا المجمع الخلاف الذي حصل بين البطريرك أغناطيوس وقزما ابن[4] الدباس المسمَّى كيرللس الذي أراد أن يكون بطريركاً خامساً على أنطاكية، وقد طلب هو عقد المجمع، ثم تخلف عن الحضور إليه، فأفرزوه يوم الأحد في ٢٩ حزيران في عيد الرّسل، وسجن في قلعة دمشق بأمر الحاكم، ثم نفي من دمشق بأمر السلطان، وأرسله حاكم المسلمين إلى الأمير المعني[5] فسجنه في مغارة الراهب منفياً قرب الهرمل، ووضعوا في هذا المجمع قانوناً من عشرين مادة. وكل هذا منقول بتلخيص عن كتاب مخطوط في المكتبة البطريركية بدمشق عدد ١٥٥٨.

وسنة ١٠٧١ هـ (١٦٦٠ م) مات في البقاع العزيزي ابراهيم بن حسن بن حسين بن

---

(١) هكذا في الأصل.

(٢) صيدا.

(٣) بن.

(٤) بن.

(٥) ولما أحضرته أمام الأمير المعني قال لرجاله: «لا تروني وجهه خذوه إلى مكان بعيد وأريحوا الناس من شره» (المؤلف).

أحمد بن رضوان بن مصطفى الغزي المولد المشهور حاكم غزة بحياة أبيه إذ تنازل له عنها. وكان قد تعين للسفر على الدروز في خدمة الوزير أحمد باشا، فعاد والده إلى حكم غزة بعده وهم مشهورون.

سنة ١٠٧٦ هـ (١٦٦٥ م) بعد سنة ١٠٧٦ هـ أخذ مصطفى بن حسين المعروف بابن (قرنق) الدمشقي (مقاطعة بعلبك). (خلاصة الأثر للمحبي ٢:١١٨).

سنة ١٠٨١ هـ (١٦٧٠ م) توفي خليل بن عبد الرحيم العاني مفتي الشام. استقل بنصب بعلبك على طريق التأبيد. (خلاصة الأثر للمحبي ٢:١٣٣).

سنة ١٠٨٤ (١٦٧٣ م) ذكر الشيخ إسمعيل المحاسني الدمشقي في كتابه المخطوط في المكتبة التيمورية في القاهرة وقد وقفت عليه في دمشق ما يأتي:

في يوم الأربعاء غرة محرم ١٠٨٤ وقع ما وقع بين عثمان أفندي قاضي الشام وبين الشيخ ياسين البقاعي. كانت الأسئلة الشافعية القصص بيان الجامع بحيث إنه وضعت رِجْلاَ الشيخ ياسين في الفلقة وضرب بالعصي وسترت البلدة ثم فتحوا وكان المفتي أحمد أفندي الحلبي مريضاً وهجموا عليه العوام يريدون منه فتوى وأخذوه إلى المحكمة ليأخذ بيد ياسين ثم انفضوا على الصلح (أ. هـ).

سنة ١٠٩٢ هـ (١٦٨١ م): كانت رأس بعلبك زعامة لميخائيل الطبجي المدفعي الذي اخترع مدفعاً فتح فيه بغداد السلطان مراد خان العثماني. كما قرأت في البراءة التي نقلتها إلى (تاريخ الأسر الشرقية) وفيها فوائد فراجعها فيه.

سنة ١١٠٠ هـ (١٦٨٨ م) جاء البقاع وبعلبك الشيخ عبد الغني النابلسي الدمشقي الشاعر، العلامة المشهور ودوّن أخبار هذه الجهات في رحلته الصغرى التي قال فيها من أبيات:

والذي في النعيم فارغ بالٍ   لا يبالي أرّخ وصيف البقاع

ووصف كثيراً من ثغوره وقراه وحوادثه. وفي خزانتي نسخة مخطوطة من هذه الرحلة باسم (حلية الذهب الإبريز في رحلة بعلبك والبقاع العزيز).

سنة ١١٠٠ هـ (١٦٨٨ م) توفي سعيد بن محمد أمين بن خليل بن عبد الرحيم المعروف

بالسعساني الحنفي الدمشقي. أعطي قضاء بعلبك على طريق التأبيد كما في سلك الدرر للمرادي (٢:١٢٨).

سنة ١١٠٨ هـ (١٦٩٦ م) جاء الرحالة الإنكليزي هنري مُنْدرل Henry Mandrell القدس من طريق حلب وعاد إليها بطريق دمشق وبعلبك. وفي (٣) أيار سنة ١٦٩٦ مرَّ بقبر هابيل فوق سوق وادي بردى وطوله ٣٠ يرداً (ثلاثون يرداً). وفي (٥) أيار وصل بعلبك ونصب خيامه مع رفاقه عند رأس العين، وأسهب في وصف بعلبك. وفي اليوم التالي في ٦ منه سافر إلى طرابلس الشام بطريق عيناتا وعاج ببركة اليمونة، وشاهد آثار سورية المجوّفة ومنها عاد إلى حلب[1].

سنة ١٧٠٥ م[2] زار بعلبك الرحالتان جيرارد وسوته (....)[3] فوصفا موقع القلعة وأعمدتها وآثارها. ونقل عنهما الأستاذ بولس بردريزة (Paul Perdrizet) في كتابه عن بعلبك وتدمر. وزارها المسيو بولارد قنصل طرابلس الشام الفرنسي ونسخ كتابات عنها، وأرسلها إلى الكونت بونشارترن تدل كلها على مثلث بعلبك: المشتري والزهرة وعطارد. فجوبيتر المشتري كان يمثل البعل، والزهرة فينوس تنوب عن عشتروت، والإله مركور لا يعرف ماذا يمثل من الآلهة الوطنية. وكان الثور رمز جوبيتر البعلبكي.

سنة ١١١٨ هـ (١٧٠٧ م) وجد بوكوك الجوالة الإنكليزي صفيحة في أخربة الأبلية (سوق وادي بردى). أنظرها في الآثار القديمة.

سنة ١١٢١ هـ (١٧١٠ م) لجأ إلى الهرمل الأمير حيدر الشهابي حاكم لبنان واختبأ في مغاور فاطمة المسماة مغارة عزرائيل الكائنة في سفحها، وبقي هناك سنة ثم عاد إلى لبنان.

سنة ١١٢٢ هـ (١٧١١ م) يوم الثلاثاء في ١١ كانون الأول و١٢ ذي القعدة جاء شديد الناصر أو النصر من قبل باشة طرابلس إلى الهرمل وقتل الرجال ونهب المواشي والأموال، وجاء إلى حمص ونزل عند الصومعة وسكّر الأبواب وضرب البندق، وخرج السكان إلى

---

(١) راجع نخباً من رحلته هذه في مجلة المقتطف (٣٧:٩٩٠) (المؤلف).

(٢) الموافق ١١١٧ هجرية.

(٣) هكذا في الأصل.

التلال والأسوار وطلب المفتي والقاضي والنقيب ولم يخرج أحد منهم إلى بعد الظهر وذهب وراح سليمان آغا (ابن إبراهيم آغا سويدان) بالليل هو وأتباعه إلى حسية ومجيئه إلى حمص بهذا اليوم وإلى نهار الأربعة[1] في ٦ ذي القعدة.

سنة ١١٢٨ هـ (١٧١٥ م) في محرم جاء ابن باشة طرابلس الشام إلى حمص ونزل بالسرايا وحرق الهرمل ونهب ما فيها وثقّل على حمص ومفتيها علي أفندي. (عن تاريخ حمص المخطوط).

سنة ١١٣٥ هـ (١٧٢٢ م) زار السائح دي لاردك بعلبك ونسخ كتاباتها واكتشف كثيراً من شؤونها.

وسنة ١١٤٣ هـ (١٧٣٠ م) لما رحل الشيخ عبد الغني النابلسي الدمشقي الشهير إلى بعلبك المحروسة وجبل لبنان وهي رحلته الثانية وهي في سنة وفاته نصب له قصره في رأس العين كما أخبر هبة الله بن محمد بن يحيى التاجي الشيخ السيد محمد كمال الدين الغزي العامري نقلاً عن حسان والد محمد التاجي. وذكر ذلك في الورد الأنسي للغزي.

سنة ١١٤٥ هـ (١٧٣٢ م) ذكر سجل الرهبنة الحناوية أن الأمير إسمعيل كان فاراً من البلاد وموكلاً عوضه اثنين من أهل البلاد وهما شديد وعثمان والرأس خالية وأهلها في الهرمل والقيروانية.

سنة ١١٤٨ هـ (١٧٣٥ م) ذكر سجل الرهبنة الشويرية الكبير أن ابرهيم باشا الكردي في طرابلس الشام قتل الأمير إسمعيل حرفوش الخزاعي بموجب فرمان من الدولة العلية وذلك لشكوى أهل بعلبك عليه لشدة بطشه وعداوته لمفتي المدينة يحيى أفندي التاجي.

سنة ١١٥٦ هـ (١٧٤٣ م) قتل الأمير حسين الحرفوش الشيخ مهنا من بيت الحاج نعمة من مشايخ رأس بعلبك، لأن المشايخ أقاربه اشتكوا عليه ووافقتهم كهنة القرية، فحرم البطريرك كيرللس الكهنة وربط الكنائس ثم حضر بنفسه وقاصّهم بالقوانين الكنسية. (عن تاريخ القس روفائيل كرامة).

سنة ١١٦٠ هـ (١٧٤٧ م) طلع أسعد باشا العظم حاكم الشام إلى البقاع لمحاربة جبل

---

(١) الأربعاء.

لبنان، فلاقاه الأمير ملحم الشهابي حاكم الجبل، وحدثت بينهما موقعة هائلة في البقاع، وانتصر الشهابي على ابن العظم وخفت (وفخت) طبوله، فرجع إلى الشام مغلوباً واشتهر حديث الجبل والدروز بالنصر والجبر والقوة.

سنة ١١٦٣ هـ (١٧٤٩ م) في شهر حزيران، كان القس بطرس ابن[١] النُّمير من دير السيدة في رأس بعلبك آخذاً غذاءً لأخوته، أمسكه رجال الأمير حيدر الحرفوش الذي كان ثائراً يخرِّب على أخيه المير حسين. وعرضوا عليه التشيُّع فما رضي، فامتهلهم ريثما صلّى، فقتلوه ورثاه الخوري نقولا الصائغ بقوله من قصيدة:

أي بطرس القس تم الحكم فيك كما ... قـضـى لأنـه لا ردٌّ لـمـا حكما
قـتـلت ظلمـاً فيـا رعـياً لمنظلـم ... والتبُّ والبؤس للجاني الذي ظلما
سامـوك ظلماً فلم تكفر فـمتّ على ... حفظ الوديعة بالإيمان معتصما
لـئن لكن عـفت أرضاً والحياة بـهـا ... حربٌ فنلت سلماً في السماء كما
وإن تكـن ذقـت مـرَّ الذبح مـن ألمٍ ... فحزت حلو ملاذٍ لن يرى الأكما الخ...

سنة ١١٦٥ هـ (١٧٥١ م) زار بعلبك المهندسان روبرت وود ودوكنس الإنكليزيان (Wood and Dokins) فوضعا تاريخاً مطولاً وزيناه برسوم هياكلها بتدقيق دهش منه العالم الأوربي[٢] الذي كان يجهلها، فعظمت أخربتها في أعين المستشرقين والأثريين وبدأوا يتقاطروا[٣] لزيارتها والبحث عن تاريخها وعظمتها، وقد ذكر هذان الرحالتان في مفتتح كتابهما أنها[٤] جاآ[٥] بعلبك برخصة سلطانية، وأن الحاكم عليها في ذلك الوقت كان الأمير حسين الحرفوشي. كان أخوه الأمير حيدر يقود عصابة ثائرة على أخيه، فدهم قرية عرسال قبل مرورهما فيها وخرّبها، وأن المرتب على مقاطعة بعلبك كان في ذلك العهد مائة كيس

(١) بن.
(٢) الأوروبي.
(٣) يتقاطرون.
(٤) أنهما.
(٥) جاءا.

(الكيس خمس مائة غرش) وبعد مزايلتهما بعلبك بأيام، عرفا أن الأمير حيدر قتل أخاه الأمير حسيناً وتملك عوضه.

وذكر أحدهما (وود) أن بعلبك كانت في ذلك العهد بلدة صغيرة لا يتجاوز عدد سكانها خمسة آلاف نسمة، وقد طبع كتابه (أطلال بعلبك) في لندن سنة ١٧٥٧ برسوم بديعةٍ منها رسم القلعة بأعمدتها التسع[١] التي أسقطت منها زلزلة ١٧٥٩ ثلاثة فبقيت الستة أعمدة فقط وهو رسم بديع رأيته في بيت مخايل أفندي موسى ألوف في بعلبك في آذار سنة ١٩٢٨ م، وأخذت عنه رسماً شمسياً نشرته في تاريخ الأمير فخر الدين المعني المطبوع.

سنة ١١٦٥ هـ (١٧٥١ م) (وفيها) زار بعلبك الرحالة پوكوك Pocoke أيضاً.

سنة ١١٦٥ هـ (١٧٥١ م) وفيها اتفق رهبان دير السيدة في رأس بعلبك القس روفائيل شعيب رئيس الدير مع بعض الرهبان وسلّموا الدير إلى الرهبنة الحناوية الشويرية واشتركوا معهم، وتم ذلك بواسطة الأبوين المدبرين القس يعقوب الحلبي والقس موسى الشامي.

سنة ١١٦٨ هـ (١٧٥٤ م) سيم القس موسى الشامي المدبر أسقفاً على بعلبك من يد البطريرك كيرللس في دير المخلص يوم خميس الأسرار، ورجع إلى مار يوحنا الشوير. ثم سافر إلى بعلبك ومعه القس ديمتريوس قيمجي والشماس روفائيل كرامة (المؤرخ)، وبعد بضعة أيام من وصوله، أمسك الأمير حيدر الحرفوش سبعة رجال من نصارى بعلبك وغرّمهم بسبب شكاية مخايل سرور البعلبكي، إذ اشتكى عليهم أنهم عاصون على أسقفهم، مع أنهم مطيعون له، فلحقهم ضرر كبير، فأحرمه المطران وتشفع فيه الأمير حيدر، فلم يحلّه لإصراره على غيّه. وقيل كان ذلك سنة ١٧٥٢.

سنة ١١٧٠ هـ (١٧٥٦ م) سقط ثلج كثير في شهر تشرين الثاني، وكثر الجَمَد (الجليد) حتى جمد نهر العاصي، وتعطل الناس عن أعمالهم.

سنة ١١٧٣ هـ (١٧٥٩ م) من ١٩ تشرين الأول حدثت زلزلة قوية عند انبثاق الفجر وقتلت كثيرين ودمرت أماكن وعادت في نصف تشرين الثاني بعد غياب الشمس وخربت بلاد بعلبك ورأس بعلبك ونواحيها والشام وقتل في هذه الأماكن نحو ثلاثمائة نفر. وروى

(١) التسعة.

أحد المؤرخين أنه قتل نحو عشرين ألفاً في سهول بعلبك. وبقيت ترقص أعطاف الأرض أو ترتعد فرائصها جزءاً ثلاثة أشهر، فسكن الناس الخيام كل تلك المدة.

سنة ١١٧٣ وصف زلزلة ١٧٥٩ م. لم يؤرخها واصفها بسنة حدوثها. قرأت في كتاب مخطوط لشاهد عياني في وصف هذه الزلزلة وهو من بلدة الفيكة بعلبك وأنه نعمة مراد:

في ليلةٍ دهماء سوداء والناس بأجمعهم هادئون في بيوتهم، وكان ذلك في آخر الخريف، فاهتزت الأرض باضطراب شديد وقلبت البيوت على سكانها، وكانت الفيكة (عامرة)، وبيوتها متلاصقة بعضها فوق بعض، ومأهولة بجمٍ غفيرٍ من الأهالي وكان لها سوقٌ مقبوٌ بقناطر قوية، وكان طوله من جورة مقام القديس جاورجيوس إلى الحمام الذي بجوار الطاحون التي بجوار الصخر، فلم يسلم من الأهالي إلاّ القليل، فمنهم مَنْ كان خارج البيوت، ومنهم من كان خارج البلد، فتعالت صرخاتهم والتأموا بعضهم مع بعض، ومن شدة الظلام الحالك، ما قدروا أن يروا ما جرى في البلد من الخراب، فتماضروا إلى الساحة وأشعلوا ناراً قوية، فظهر لهم عند ذلك خراب البلد برمتها، فمن يقدر أن يصف الحزن الشديد والغم المديد الذي اعتراهم في تلك الساعة الهائلة، وكل منهم أخذ يحفر بيديه بيت أهله لعلّه يخلّص أحداً منهم مرتعدين مرتعشين خائفين من قدرة المولى جل وعلا، إلاّ واحداً منهم، وكان سيء الخلق، رديء النية، فلم يشأ أن يساعد أو يعاون أحداً. وذهب إلى حفرة (جون) شمالي القرية (الفيكة)، خالية من العمار ونام على الحضيض مريحاً جسمه الحيواني هناك، غير مبالٍ بما جرى ولا ملتجئ إلى الله سبحانه وتعالى ليرفع غضبه ويكف سخطه عن البشر الذين بخطئهم يستجلبونه ولا مساعد لرفاقه المنكودي الحظ، فرجعت الزلزلة ثانية، وخرجت صخرة عظيمة من رأس الجبل ودفنته تحتها وهي لم تزل باقية إلى يومنا تذكاراً لعمله الوحشي. وانقرضت عيال كثيرة منها عيلة بيت مراد في الفيكة، فلم يبق منها غير طفلين موسى ونعمة فرج مراد، خرجا مع والدتهما خارج البيت فسَلِما. وقد قتل في الفيكة (بعلبك) وما يجاورها ٣٠٠ نفر وقتل في سهول بعلبك وجوارها نحو عشرين ألفاً.

ووصف الكاتب أن الأمراء الحرافشة أرهقوا السكان فوق هذه المصائب الفادحة

والنوائب الطبيعية، فرزحوا تحت عبء المصائب. وبين مخطوطاتي (مجموعة محمد أمين زيتونة الدمشقي) وفيها وصف الزلزلة عن التذكرة الكمالية لكمال الدين الغزي من دمشق.

سنة ١١٧٤ هـ (١٧٦٠ م) تفشى الطاعون في بلاد الشرق وأفنى كثيرين، ولاسيما في المدن مثل حلب ودمشق وامتد إلى البقاع وبعلبك ولبنان وهرب الناس من فتكه.

سنة ١١٧٥ هـ (١٧٦١ م) في ١٧ نيسان رجعت الزلزلة (الهزة) في الساعة الثانية ليلاً وهدمت قرية رأس بعلبك كلها ونواحيها مع دير السيدة وقتلت تحت الأنقاض خمسين امرأة كنّ في المنحل (المنقف محل تفقيس الحرير) ولم يقتل أحد من رهبان دير السيدة.

سنة ١١٨١ هـ (١٧٦٧ م) في ٢٠ تموز أي يوم عيد مار الياس[1]، ضبط الأمير حيدر الحرفوشي دير السيدة في رأس بعلبك لأن الشيعيين شكوا الرهبان بأنهم نصّروا ابنة شيعية ورهبوها، فهرب رهبان الدير وقبض على اثنين منهم، هرب أحدهما أرمولاوس على الطريق وبقي أيسدروس فحبس وتعذّب إلى أن أرسل الأمير بشير اللمعي صاحب دير مار أشعيا (لبنان) تحريراً للأمير حيدر، فأطلق سراح الأخ من السجن.

سنة ١١٨١ هـ (١٧٦٧ م) وفيها جاء المشايخ الحماديون من بلاد جبيل ملتجئين إلى الأمير حيدر الحرفوشي خوفاً من الأمير يوسف الشهابي الذي أخذ منهم بلاد جبيل مقاطعتهم وطردهم. فأوغر ذلك صدر الأمير يوسف على الحرفوشي فزحف عليه وطردهُ إلى الهرمل وعزله، فهرب الأمير حيدر إلى بلاد بشارة وحكم أخوه الأمير محمد على بعلبك عوضه. فتوسط مخايل ابن الحاج فرح البعلبكي الأمر معه، فردّ للدير بعض أشياء ضبطها ورجع الرهبان إلى أميرهم في الرأس، وهدأت بلاد جبيل من ظلم الحماديين.

---

(١) هو النبي إيليا المذكور في التوراة، وقد ورد اسمه كنبي في سورة الأنعام، ووصفته الآيات القرآنية مع كل من زكريا ويحيى وعيسى بأنهم كانوا من الصالحين كما جاء في سورة الصافات. وتبعاً للرواية القرآنية فإيليا النبي أرسله الله إلى بني إسرائيل وأظهر لهم العديد من المعجزات، إلا أنهم رفضوا تصديقه، فما كان منه إلا أن دعا الله ليريحه منهم، فأرسل له ولتابعه إليسع فرساً من نار ركباها ورُفعا إلى السماء بعد أن أصبح إيليا كائناً نورانياً مكسواً بالريش. وهناك روايات كثيرة عنه في كتب التفاسير. راجع سورتي الأنعام والصافات لدى الطبري ولدى الثعلبي في قصص الأنبياء، القاهرة، ١٢٩٠هـ/ ١٨٧٣م. ص. ٢٢١ وما بعدها (المحقّق).

سنة ١١٨٥ هـ (١٧٧١ م) تخاصم الأمراء الحرفشيون على الحكم، فخاف رهبان دير الرأس وغادروه خوفاً من فتكهم إلى أن تصالح الأمراء فعادوا.

سنة ١١٨٧ هـ (١٧٧٣ م) في صيفها جاء البقاع ثلاثة باشاوات من الشام لمحاربة لبنان، فقابلهم الأمير يوسف الشهابي بعسكره واستنجد بالشيخ ظاهر العمر فأنجده، ومعه الشيخ نصيف النصار بن محمد بن علي الصغير برجاله. فهرب الباشوات تاركين ذخائرهم، فأخذها عسكر الأمير يوسف إلى قلعة قب الياس مع المدافع.

سنة ١١٩٠ هـ (١٧٧٦ م) في أول تموز زحف عسكر من الشام إلى بعلبك وسلموا حكمها إلى الأمير محمد الحرفوشي عوض أخيه الأمير مصطفى الذي التجأ إلى زحلة.

سنة ١١٩١ هـ (١٧٧٧ م) في ٧ شباط مات فيلبس مطران بعلبك بعد إقامته على كرسيها ١٥ سنة وأربعة أشهر، فأقيم القس أكلمينوس الحكيم وكيلاً عنه.

سنة ١١٩١ هـ (١٧٧٧ م) وفيها أرسل الجزار كاخية كردي مع جملة أكراد، فمروا على قلعة قب الياس. فحصنوا[1] مَنْ في القلعة قلعتهم ورموهم بالمدافع، فذهبوا إلى بعلبك وخرّبوا فيها، وقبضوا على زعماء المتاولة وصادروهم بالأموال وحبسوا الأمير محمد الحرفوشي وصادروه بأموال. وأما النصارى فجمعهم وكيل المطران ألكمينفس الحكيم في الدار الأسقفية، وتوسط أمرهم مع الكاخية لنفوذ كلمته عنده.

ثم جاء الكاخية والأكراد إلى البقاع، وزحفوا على سعدنايل وأخذوا مواشيها وقتلوا بعض سكانها. ثم تطرقوا إلى زحلة وحاربوا سكانها أكثر من مرة.

وفيها في ١٢ آب جاء الأكراد إلى تعلبايا وقلعة قب الياس، فنازلهم الدروز ومعهم نصارى، فقتل من هؤلاء نحو مائة بينهم زين الدين مزهر مقدم حمانا ورحال ابن[2] شبلي كسّاب من صليما. وأما الأكراد فقتل منهم أربعون، وهرب الدروز إلى الجبل. والأكراد أحرقوا كثيراً من قرى البقاع وأطراف الجبل. وأخيراً زحفوا على سغبين فارتدوا عنها لمناعتها، فقتل منهم أهل سغبين على مرتين مائتين. ثم ذهبوا بأمر الجزار وتركوا ما معهم.

---

(١) الصواب فحصّن من في القلعة، وليس فحصنوا من... كما هو وارد (المحقّق).

(٢) بن.

سنة ١١٩٢ هـ (١٧٧٨ م) صار غلاء عام في البلاد، فصار ثمن كيل الحنطة البيروتي اثني عشر غرشاً وقفة الرز بعشرين غرشاً. وارتفعت أسعار كل شيء.

سنة ١١٩٣ هـ (١٧٧٩ م) صار ثلج كثير واستقام أياماً كثيرة. وفي ٨ أيار كثر الشتاء ونزل في رأس بعلبك وحمص بَرَد كثير كان بعضه بحجم الخوخة إلى أن بلغ مقدار بيضة الدجاجة، وأضر بالأملاك كثيراً. وفي هذا اليوم نزل شهاب ناري وقتل ثلاثة رؤوس خيل في هذه النواحي (ولعلها صاعقة).

سنة ١١٩٦ هـ (١٧٨١ م) استفحل الخلاف بين الأمير مصطفى الحرفوشي وأخيه الأمير أحمد، وصار الأول يخرق في البلاد ويعيث فيها. فاشتكى عليه الأمير أحمد لباشاوات الشام، فأرسلوا عساكر إلى زحلة للقبض عليه، ففر منها وهرب الزحليون وخرّب العسكر في المدينة وكان ذلك في شهر آذار. وفي شهر نيسان كان ثلاثة رهبان من دير النبي الياس الطوق في زحلة يصطادون سمكاً في الليطاني، فمسكهم عسكر الدولة، ووضع الزناجير[1] في أعناقهم، ففدوا بخمسة أرطال بن وقفتين من الرز.

(وفيها) حضر من إسلامبول زبطجي[2] إلى رأس بعلبك والقاع التي بقربها ورفع يد الحرفوشيين الظالمين عنها، لأن هاتين الضيعتين كانتا من القديم تخصان الدولة في إسلامبول، ومكث مدة في الرأس، ثم سمح لسكان القريتين أن يعودوا إليهما.

(وفيها) في شهر أيلول التجأ متاولة جبل عامل (بلاد بشارة) إلى الحرفوشيين لمناوأتهم للجزار ومحاربتهم إياه، فقتل كبيرهم الشيخ ناصيف وقبض على ابنه، وقتل كثيرين منهم، وضبط بلادهم وسبى نساءهم وباع الواحدة بعشر مصاري.

سنة ١١٩٧ هـ (١٧٨٢ م) صادر الأمير مصطفى الحرفوشي الزحليين وتهددهم بالإغارة عليهم فهربوا إلى الأمراء اللمعيين، فكتب الأمير يوسف الشهابي إلى الأمير شديد

---

(١) الجنازير.

(٢) الزبطجية والزبطية تعني تشكيلات البوليس والشرطة في المرحلة العثمانية، وخلاف ما يبدو من النص فالمقصود وحدة من هؤلاء (المحقّق).

بن مراد اللمعي ليفاجئ قرية بر إلياس، فنهبها ونهب قرية من بعلبك أيضاً، وقتل فيها رجلاً كبيراً من بني حمية المتاولة ولعله (ناراجه)[1]. ففر البقاعيون وغادروا قراهم خوفاً.

(وفيها) في شهر شباط قبض وزير دمشق على الأمير مصطفى الحرفوشي الذي ذهب إليه وسجنه طالباً منه مائتي كيس، فتوسط أمره بدفع نصف القيمة وتسليم مرعي المقدّاني الشيعي الثائر من بريتان مع خمسة من أقاربه من الأشقياء، فقبض عليهم بواسطة رجاله وقتلوا وأراح الناس من شرهم وتفصيل ذلك في (تاريخ دواني القطوف صفحة ٢١٧).

(وفيها) محمد باشا بن مصطفى بن فارس بن ابرهيم العظم وزير الشام، كان قد أرسل آغا إلى رأس بعلبك وإلى القاع التي بقربها، وهما مختصتان بالوالدة، فأعطاهما مع الهرمل التي كانت للأمير يوسف الشهابي إلى الشيخ قبلان... المتوالي، الذي هرب من بلاد بشارة ملتجئاً إلى بلاد بعلبك، وذلك بسعي المير مصطفى الحرفوشي.

(وفيها) خرّب الأمير يوسف الشهابي قلعة قب الياس لأن أخاه الأمير سيد أحمد كان يختلف إليها ويحاصر فيها هرباً منه ويساعد الدولة ضدّه وضد الزحليين.

(وفيها) جمع الأمير محمد الحرفوشي عساكره وحارب بعلبك بعد أن كان هارباً منها، ففرّ أخوه الأمير مصطفى إلى نواحي حمص، فجمع منها عساكر وعادا إلى بعلبك وتحاربا خارج المدينة، فقتل من عسكر مصطفى عشرة واستظهر على أخيه فدخل المدينة حاكماً وفرّ أخوه إلى زحلة بجماعته، ثم سار إلى الجزار فقبض عليه.

سنة ١١٩٩ هـ (١٧٨٤ م) في بدء هذه السنة أرسل محمد درويش باشا ابن[2] عثمان وزير الشام عسكراً إلى مدينة بعلبك بمطابقة أحمد باشا الجزار ومسكوا الأمير مصطفى الحرفوشي وأخوته الستة وأخذوهم إلى الشام، فشنقوا ثلاثة منهم وحبسوا ثلاثة، ثم أرسل الباشا الوزير حاكماً على بعلبك رمضان آغا، ورفع يد الحرفوشي، وأرسل إلى أهل زحلة تقليد تطمين خاطر، وأوصى حاكم بعلبك بهم فسكن روعهم.

سنة ١١٩٩ هـ (١٧٨٤ م) زار بعلبك الرحالة الفرنسي ڤولني Volney وقال إنه لم يَرَ

(١) هكذا في الأصل.
(٢) بن.

فيها من سكان أكثر من مائتي نسمة ووصف أطلالها وشؤونها. ولا عجب من قلة سكانها على إثر الزلازل فيها مراراً ولا سيما سنة ١٧٥٩ م.

(وفيها) هاجم عسكر القبسيس ضيعة رأس بعلبك ودير السيدة، فهرب سكانهما ناقلين أمتعتهم ومخبئين بعضها، فنهبها العسكر وخرّب الدير وغادر الجهة. فعاد السكان والرهبان إلى مقرهم. وهرب قبلان المتولّي حاكم تلك الضيع من قبل الوزير ابن العظم حاكم الشام سابقاً.

وأما فرنسيس بن مخايل شيخ ضيعة الرأس فجاء إلى المتسلم في بعلبك فطيّب خاطره وخلع عليه، وأعاده شيخاً إلى الرأس.

(وفيها) بعد أربعة أشهر من وضع الحاكم في بعلبك رمضان آغا، جاء خط شريف من إسلامبول ليحكمها الجزار، فأرسل إليها سليم آغا حاكماً وطرد رمضان آغا، واستتب الحكم للجزار فيها.

سنة ١٢٠١ هـ (١٧٨٦ م) تفشى الطاعون في البقاع ومات فيه خلق كثير من السكان ومن عرب الفضل وامتد إلى حمص وضواحيها، فأفنى التركمان والإسلام والنصارى.

(وفيها) جفّت عيون الماء حتى العاصي جفّ نصفه والساقية جفّت كلها (أي ساقية حمص) وغلت الأشياء من معاشٍ وكسوة.

سنة ١٢٠٢ هـ (١٧٨٧ م) في ٨ أيلول هاجم الأمير مصطفى ابن الأمير جهجاه الحرفوشي العبد آغة بعلبك، فاستظهر عليه وفرّ من وجهه، فدخل مصطفى إلى السرايا وأخذ المدينة بالسيف والقوة. ومتسلم الشام ولم يبدِ حركة إلى أن يعود الوزير من الحج.

سنة ١٢٠٣هـ (١٧٨٨م) أرسل أظن إبراهيم باشا والي الشام يتهدد الأمير جهجاه[1] بن مصطفى الحرفوشي، لأنه اعتدى على بعلبك بالقوة وقتل بعض مغاربة، فخرب جهجاه المدينة والطواحين وسار بأهلها إلى صنبرة وحاصر فيها مع جماعته. فأرسل الوزير الخلعة إلى الأمير كنج ابن[2] محمد الحرفوشي بحكم بعلبك، وأمده بعساكر حارب فيها مع

(١) في الأصل جهجان.
(٢) بن.

المغاربة والدالاتية جهجاه، حيث حاصر في صنبرة، فاستنجد جهجاه بالأميرين يوسف الشهابي وشديد مراد اللمعي، فزحف عسكر لبنان لمساعدته والمغاربة محاصروهُ، وهو بضيق، ففر بمواكبه وفرقوا شمل أعدائه. ثم توسط الأمير الشيخ عباس التّل حاكم الزبداني فغرم جهجاه بمائتين وثلاثين كيساً وأخذ حكم بعلبك.

ثم جاء جهجاه إلى زحلة لأخذ عياله منها، وتكلم مع المطران... ليرجع إلى بعلبك تأميناً للنصارى ليعودوا إليها، فذهب المطران وعاد السكان إليها.

(وفيها) استقدم وزير الشام إليه الأمير كنج بن[1] الأمير محمد الحرفوشي إلى دمشق، فطلب منه خمسة عشر كيساً نفقة العساكر التي أرسلها لأعدائه، وأودعه السجن وسار إلى مكة حاجاً، فأرسل الأمير جهجاه ابن عمه وبرطل المتسلم بدراهم كثيرة على قتله، فخُنق في أول تموز في سجنه.

سنة ١٢٠٤ هـ (١٧٨٩ م) في بدئها: اشتكى الشيخ هيكل بن سيف شيخ رأس بعلبك على أن أخيه زلزل ابن[2] يوسف وهما من بني الحاج نعمة وذلك إلى الأمير جهجاه الحرفوشي، لأن زلزل زوَّج شقيقته إلى فارس بن الدروبة بعد أن أخذ تسعمائة غرش على ذلك. واتهم زلزل أيضاً بأنه أثار عليه أهل رأس بعلبك فقبض الأمير على زلزل وعذّبه كثيراً وأخيراً بلصه بتسعمائة غرش، مع أن هيكل الذي تبرطل على ابنة أخيه، فتوسط الأمر ابن الدروبة مع الشيخ غندور السعد كاخية الأمير يوسف الشهابي، فشفع بزلزل وحط البلصة مائتي غرش مع ثمن البغل مائة غرش.

والظاهر أن زلزل هذا، ترك الرأس وجاء إلى لبنان ومعه أسرة زلزل في بكفيا.

(وفيها) حدثت مناوشات بين عسكر الجزار والدروز فكان مع الدروز الأمير جهجاه في جهات حاصبيا. ثم جاء عسكر الدولة إلى البقاع وضبط غلات الأمير يوسف الشهابي وغلات ضيع الجبل فيها.

(وفيها) لما تأخر الأمير جهجاه الحرفوشي عن دفع الميرة عن بعلبك وضواحيها،

(١) ابن.
(٢) بن.

زحف إليه من حمص الحاج إسماعيل الكردي ومعه عسكر من قبل الباشا، وفاجأوه في قرية خارج بعلبك وهو وحده فهرب، فقبض إسماعيل على حريم الأمير جهجاه وأمتعتهن والدراهم وذهب إلى الشام. فجاء جهجاه إلى بعلبك وتهدّد بالقتل كل من يبقى فيها. ففرَّ سكانها وضواحيها إلى جهات الشام وزحلة.

(وفيها) في تشرين الثاني جاء من الشام الحاج إسمعيل الكردي ليحكم في بعلبك وتأثر الأمير جهجاه، فجاء إلى الكرك فهرب وصعد إلى فالوغا إلى عند الأمير ابن مراد اللمعي. ثم عادا إلى زحلة ومعه رجال كثيرون، فأخبر ابن الدروبة بقدومه الحاج إسمعيل، ووعده بتسليمه إياه، فجاء الحاج إسمعيل بستمائة فارس ومائة راجل، فلما قرب من زحلة أرسل جاويشاً ينادي بالأمان...[1] أنه لا يمسهم بسوء، بل يقصد القبض على جهجاه. فأجابوه أن خصمكم ذاهب إليكم. فخرج جهجاه بجماعته وببعض الزحليين وهاجم عسكر الدولة فدحرهم إلى جهات الزبداني، بعد أن قتل منهم نحو مائتي رجل، ولم يقتل من عسكره أحد، وتم هذا الحرب.

١٢٠٥ هـ/ في ١٠ كانون الثاني ١٧٩٠ م. وعاد إلى زحلة فأرسل وقتل المفتي لأنه عاد إلى بعلبك بإيعاز متسلمها، فأوغر ذلك صدر الوزير، وعزم على منازلة زحلة وقتله. ثمّ رأى رداءة النوّ والثلج فعدل، فخاف الزحليون فنقلوا أمتعتهم إلى...[2].

ولكن عباس التل توسط الأمر وفك حريمه الأربع تحت دفع أربعين كيساً وأخرج له خلعة بحكم بعلبك.

وفي أثناء ذلك جاء سكان الهرمل إلى رأس بعلبك ونهبوا دير السيدة وغلال أهل الرأس والفيكة المودعة فيه والأمتعة والغلال التي للدير.

وفيها أي سنة ١٢٠٥ هـ/ ١٧٩٠م أراد الأمير بشير الشهابي باتفاق وزير الشام ووالي عكا الجزار أن يعزل الأمير جهجاه الحرفوشي ويولي عوضه ابن عمه الأمير قاسم بن[3]

(١) بياض في الأصل. ويبدو أن الكلمة الساقطة ووعدهم أو تعهد لهم أنه لا يمسَّهم بسوء (المحقّق).
(٢) هكذا في الأصل.
(٣) ابن.

الأمير حيدر الشهابي، فجاء قاسم هذا بعسكر من دير القمر وزحلة، وزحف على جهجاه في تمنين وتنازلا في سهل أبلح وذلك في ٢١ حزيران، فتقهقر الأمير قاسم وظفر جهجاه.

سنة ١٢٠٧هـ/ ١٧٨٢م وهب الأمراء الشهابيون الهرمل إلى الأمير جهجاه الحرفوش.

سنة ١٢١٥ هـ (١٨٠٠ م) مَرَّ ثمانية أنفار بقرب مدينة بعلبك في محلة عمود الذهب في جنوبيها، فرأوا حفرة ظنوها محل وقوع صاعقة وفيه كنز، فحفروا هناك، فوجدوا باباً عليه غلق حجري فرفعوه، وإذا مغارة منحوتة فدخلوها. فرأوا فيها مكاناً واسعاً نحو ٧ أذرع وفيه نواويس حجرية، اثنان من الجهة طول كل منهما أربع[1] أذرع ونصف، وعلى كل غطاء حجري كقبة مستطيلة (أي مسنّم) وعلى الغطا[2] سلسلتان عظيمتان من حديد في طرف كل منهما قفل مستدير من الحديد أيضاً، وقد علاه الصدأ، فكسروا الأقفال وحاولوا رفع الأغطية فما استطاعوا، فكسروها فوجدوا في أحد الناووسين جثة بالية وبعض عظام نخرة، وعلى الوجه غشاء [قناع] ذهبي رقيق. وفي اليدين خاتمين من ذهب، فصّص أحدهما بحجر أحمر والثاني بأزرق منقوش عليه طائر. ووجدوا في الناووس الثاني ميتاً بالياً أيضاً قد غشي وجهه بالذهب وفي يده خاتم واحد حجره أخضر. وفي الجانب الآخر ثلاثة نواويس من رصاص سمك الواحد منها نحو ثلاث أصابع، وعلى كل واحد غطاء عليه كتابة أعجمية، وطول الواحد منها ذراع وربع فكسروها فوجدوا في كلٍّ منها ميتاً بالياً لا عظام فيه. وبين حطامه قطع ذهبية صغار بقدر حب العدس وفي الجانب الآخر ناووساً صغيراً جداً من الرصاص وعليه كتابة مثل أولئك. فكسروه فوجدوا فيه تراباً، فحملوا ما وجدوه من الذهب والرصاص إلى بعلبك واقتسموه بينهم، فكان الذهب واحد وعشرين مثقالاً وثلث مثقال، والرصاص قنطاراً وأربعين رطلاً، فباعوا الرصاص للقافلة الرطل بثلاثين من الفضة، وهي باعته للسيد عبد القادر قرنفل في بيروت الرطل بستين من الفضة، وهو باعها للإفرنج الرطل بخمسة دراهم. وأما فصوص الخواتم، فرأت الصاغة أن الأزرق فيروز والأحمر عقيق والكتابة لم يستطع أحد قراءتها.

(١) أربعة.
(٢) الغطاء.

سنة ١٢١٩ هـ (١٨٠٤ م) كان مصطفى آغا الحلبي حاكم البقاع في زمن عبد الله باشا العظم. (عن تاريخ حيدر المخطوطة عندنا ص ٣٢٥).

سنة ١٢٣١ هـ (١٨١٥ م) زار دي صوصي De Saucy أخربة بعلبك وكتب عنها أشياء لطيفة ومن جملة آرائه في بنائها أن في عقودها يداً رومانية. وفي أسس الجدران يد الكلوب أي البيلسجيين وأصلهم فريجية اشتهروا ببناء جدران ضخمة عظيمة على ساحل البحر المتوسط وكانوا يتخذون لها الحجارة الضخمة، وذكر ذلك في رحلته حول البحر الميت المطبوعة في باريس سنة ١٨١٥ بالفرنسية. (عن مقالة الشمائل عند العرب. هلال ٥٢:٢٩).

سنة ١٢٣٦ هـ (١٨٢٠ م) زار بعلبك الرحالة الفرنسي كارلو فيدوا ورأى في سور المدينة الجنوبي كتابة لاتينية بأربعة سطور معناها: «إن كارلوس كاسيوس أريانوس بنى هذا الأثر لنفسه في حال حياته» على قطعة أشبه بتاج مربع. ولما ضرب السور بعد ذلك، اختفت الكتابة ولم تذكر إلاّ في كتابات وادنكتون الإنكليزي نقلاً عن هذا الرحالة، ونحو ١٩١٠ اكتشفها مخايل أفندي موسى ألوف ونقلها إلى متحفه ووصفها بمقالة وصف متحف بعلبك في مجلة الآثار لمؤلف هذا التاريخ (٣٥٩:٣ و٣٦٠).

سنة ١٢٣٩ هـ (١٨٢٣ م) بحث الرحالة بروكّي في بعلبك فعثر على فلذة ثالثة من كتابة وجد منها بوكوك في منتصف القرن الماضي فلذتين.

سنة ١٢٤٣ هـ (١٨٢٧ م) أحدث وزير دمشق...[1] مظلمة على سبع عشرة قرية من البقاع فرجع سكانها اللبنانيون إلى مواطنهم الأولى وخربت بلادهم.

سنة ١٢٤٨ هـ (١٨٣٢ م) نهض إبراهيم باشا المصري[2] بعساكره إلى القُصَير وخيّم

(١) هكذا في الأصل.
(٢) ابراهيم باشا هو أكبر أبناء محمد علي باشا (١٧٨٦ - ١٨٤٨). يعود نجاح أبيه السياسي إلى كفاءته الحربية وانتصاراته العسكرية التي بدأها من صعيد مصر بعد إخضاعه قبائل البدو وتلاها ضد الحركة الوهابية وكذلك معاركه في السودان والمورة، ثم قاد الحملة الموجهة إلى سوريا عام ١٨٣١ م وتوغل فيها وسحق الجيش العثماني عند حمص وممر بيلان واسكندرونة وقونية وكوتاهية... رغم مشاريعه الإصلاحية، نشب في وجهه العديد من الثورات نتيجة السياسات العثمانية والأوروبية وصرامته ومحاولته تجنيد السكان وفرض ضرائب باهظة عليهم ومصادرة أسلحتهم. راجع الجبرتي، عجائب الآثار في تراجم الأخبار، ط بولاق ١٢٩٠هـ والطبعات الأخرى، وعلي باشا مبارك في الخطط التوفيقية ج١، صص ٦٥ - ٧٧ وغيرهما (المحقّق).

حذاء العاصي، ثم نهض بهم إلى بحيرة حمص (قادس) وهناك انتشبت معركة عظيمة بينه وبين العساكر العثمانية، فاستظهر عليهم وقتل نحو ثلاثة آلاف رجل وأسر نحو ألف ومائة وخمسين وغنم ذخائرهم، ولم يقتل من عسكره أكثر من ثلاثمائة.

ووصف نعمة مراد في تعاليق تاريخية مخطوطة حربه في تلك الضواحي قال: «لاقت عساكر السلطان محمود العثماني عسكر ابرهيم باشا المصري إلى عند الحارون بقرب الزرّاعة وجوسية بين بلاد بعلبك وبلاد حمص، والتحم الجيشان بالقتال وخيمت عساكر الدولة على مشرع حمص، واستعدت لموقعة حربية مهمة مع المعسكر المصري، فاقترب العسكران بعد الأخذ والرد والرصاص والدفع مدة ست ساعات. وكان في خلالها ابرهيم باشا ممتطياً جواداً هائلاً وماسكاً طربوشه بفمه وأطلق عقال جواده أمام العسكر الهاجم، ومن خلفه أيضاً وهو يرغي ويزبد ويدمدم ويحض على التقدم والثبات والانتصار فكانت عساكره تتدافع كالسيول الدافقة على العساكر العثمانية. ولما دنا العسكران، تهاجموا بالحراب (السنكات) والسيوف وحملوا عليهم حملة اندحرت فيها عساكر الدولة وتمزق شملهم، وأعملوا السيوف في أعقابهم إلى ولاية حلب. وامتدح حكومة المصريين، وضربهم على أيدي الظالمين، ولا سيما الحرافشة». ومن قوله إن كثيرين من الجنود المصرية بقيت في سورية ولقبوا (بالمصري) وصاروا من الأهلين.

ووصف ضاهر الرحيمة في زجلياته الحرفوشية (التي ضمنها مواقع بين الحرافوش والحكومة المصرية) هذه الموقعة بقوله ملخصاً:

«وكان المير خنجر الحرفوش قد عرج على قرية النبي مندو قرب بحيرة قطينة حذاء حمص ومعه عشرون فارساً، فسار إلى القرية وهرب شيخها خوفاً منه إلى قرية قطينة حيث عسكر الهنادي هناك أربع مائة فارس، فلما وصل إليهم قال لهم: إن أمراء الحرفوش جاؤوا إلينا مع الحمادية ونهبوا بلدنا وأنتم المحافظون فيجب أن تحموننا وإلاّ أعرض الأمر لسعادة أفندينا السرعسكر. فقام الهنادي وقصدوا التل، فوصلوا إلى شرقي العاصي وجابوا شيخ التل وسألوه عن الأميرين جواد وخنجر فقال: إن الأمير خنجر عندنا والمير محمد والمير جواد عند العرب في غربي التل، فانقسموا فرقتين وقصدوا التل. فلما قطعوا نهر العاصي

هجم عليهم خنجر ولاقاه كبير الهنادي واشتد القتال بينهما، فقتل الأمير خنجر زعيم الهنادي بطعنة رمح، ثم تكاثر الهنادي ففر رجال خنجر وأطبق به الأعداء، فمسك عليهم باب المخاضة وهرب الحمادية. وبقي مع الأمراء ١٨ فارساً، فنازلوا الهنادي بقيادة محمد وجواد الخ...». (أ. هـ).

١٢٥٦ هـ/ ١٨٤٠م يوم السبت في ٩ تشرين الثاني نقل إبراهيم باشا المصري من معلقة زحلة إلى دمشق ونزل الأمير بشير من الجبل ومعه عسكر وبقي بضعة أيام. وكان الطاعون في زحلة والبقاع.

١٢٥٧ هـ/ ١٨٤١ الاثنين في ثلاثين حزيران: اندفقت السيول وطمت المياه وحدث طوفان عظيم في قرية بستي فوق الفرزل وسبب أضراراً في الأرضين.

وفيها في ٤ أيلول جاء السنيور فور إلى المرج (البقاع) نظراً للحوادث بين الدروز والنصارى وفيها الاثنين في ٤ تشرين الأول حدثت معركة بين أهل سغبين (البقاع) والدروز فكسروا أولئك الدروز وقتلوا منهم نحو عشرين نفراً. فأوغر ذلك صدرهم وأعادوا الكرّة على سغبين بجموع غفيرة فى يوم الخميس في ٩ تشرين الأول وقتلوا سبعين نفراً من سكانها. وامتد العداء بين الطائفتين.

وفيها الجمعة ٢٤ تشرين الأول، حضر الأمير خنجر الحرفوشي إلى زحلة بعسكره لمساعدة الزحليين على شبلي العريان، ومعه عسكره الذي كان نحو عشرة آلاف فجرت أول موقعة بينهم في شتوره وجلالا وانتصر فيها الزحليون والحرافشة و قتلوا من عسكر[١] العريان نحو سبعين عدا المجاريح الذين كان بينهم شبلي العريان وأخوه علي وقتل من الزحليين ثلاثة أنفار وجرح أربعة.

ويوم السبت في أول تشرين الثاني استؤنف القتال فانتصر الزحليون وكسروا الدروز فأوصلوا فرقة منهم إلى قرب برالياس وأخرى إلى جديتا وقتلوا منهم نحو ثلاثماية...[٢]

---

(١) لم يذكر المؤلف المصدر.

(٢) كلمة غير واضحة في الأصل.

وحملوا رؤوسهم. وقُتل من الزحليين أربعة أنفار وجُرح اثنان وقتل من أهل المعلقة ثلاثة...[1].

١٢٥٨ هـ/ ١٨٤٢ م الاثنين ٢٧ نيسان كان سيل جارف ومطر وبرق ورعد مستديم بعد غروب الشمس كالرصاص السباعي وبعضه كبيض الحمام نحو ثلث ساعة، ويوم الجمعة في اول أيار استؤنف السيل والبَرَد والطوفان.

١٢٦١ هـ/ ١٨٤٤ م يوم الأحد في ١٠ كانون الأول حدثت مقاتلة بين الأمراء حمد الحرفوشي وأولاد عمه ضد الأمير احمد الحرفوشي وبعض زعماء بني حميه ومحمد بوظو آغا الأكراد واستظهر الأمير حمد عليهم بين برالياس وتربل ودحرهم دحرة كبيرة فولّى المكسورون إلى دمشق وجددوا قواهم وعادوا لمحاربة الحرفوشيين فشتتوا شمل الحرافشة وخربوا البلاد ونهبوها ورحل سكان بعلبك إلى جبل القلمون واستأمن الحرافشة الدولة وعادوا إلى حكمهم في بعلبك ثم قصدت الدولة إلغاء الوجاقات العسكرية الخفاجية والديلاتية تشبهاً بأوربا[2]... الأنفار بالقرعة للتجند فأبى الحرفوشيون فجاءهم عسكر من الآستانة بقيادة[3] فقدم بعلبك فقبض عليهم ثمانية عشر أميراً واعتقلوا إلى دمشق ومنها إلى جزيرة كريت. وجمعت الدولة الجند من البلاد بعد الضرب على ايدي الحرافشة وكان أول عسكري من الفيكة حسن عبد الواحد ومن عين موسى عبد الحسين.

١٢٦٢ هـ ١٨٤٥ الأحد في ١٦ أيلول حضر نامق (نميق) باشا مع عسكر نظامي أربعة آلاف نفر واستقروا فوق تلة التويتة. ويوم الخميس في ٤ تشرين الأول أحاط العسكر بزحلة

(١) يروي المؤرخ المعلوف أخبار المواجهات هذه في كتابه «تاريخ زحلة» تحت اسم «موقعة العريان» ويشير فيها إلى المعارك التي اندلعت مع الدروز بقيادة شبلي العريان، ومبادرة الأمير خنجر الحرفوشي ورجاله لمعاونة الزحليين. ويسمي في مؤلفه المذكور قادة المعارك والقتلى وبعض الجرحى، راجع الصفحات ١٦٣ - ١٧٠. (المحقِّق).

(٢) أوروبا، وهناك كلمة غير واضحة في الأصل قد تكون تجنيد أو اختيار (المحقّق).

(٣) كلمة غير واضحة في الأصل.

وجمع سلاح سكانها والأربعاء في ٧ منه (...)[1] أمسك من الزحليين نحو عشرين نفراً بأمر الوزير وبقوا إلى يوم الأثنين في ١٥ منه فأطلق سراحهم....[2].

١٢٦٥ هـ/ ١٨٤٨ خرج المونسنيور ميسلن من فيينا سائحاً وجاء سوريا المجوفة ووصف بعض مواقعها (كوكب البرية ٤ : ٣٠٨) فوصف كلشيس أي عنجر وقال إن اسمها بزمن الليبيين (عين غارا) ولعلّ (كارا) في تاريخ حروب مصر والسلوقيين هي (عنجر)، ثم وصف نهر بردى (ص ٤ : ٣٤١) ووصف الزبداني وبعلبك وابلية (٦: ٦٤٣).

١٢٦٦ هـ/ ١٨٤٩م في ٢٢ كانون الثاني توالى نزول الثلج حتى السبت في ٢٩ منه وكان يجرف من السطوح مرتين إلى ثلاث يومياً وارتفع عن السطوح في بعض الأماكن وتجدد بقوة....[3].

١٢٦٧ هـ/ ١٨٥٠ جاء أمين أفندي إلى زحلة وأمسك بهذا اليوم الأمراء الحرفوشيين و... الأميرسلمان وخنجر و.... شديد من مدينة بعلبك نفسها....

١٢٦٨ هـ/ ١٨٥١.

١٢٦٩ هـ/ ١٨٥٢م.

١٢٧٠ هـ/ ١٨٥٣م ظهرت دودة الكرم (الفيلوكسرة) في سورية والديمان والقلمون.

١٢٧١هـ/ ١٨٥٤/ حدث غلاء شديد وبيع مد الحنطة من ٢٢ - ٢٦ غرشاً والشعير ١٢ غرشا....

وفيها نهار السبت توجه جمهور من الزحليين إلى الزبداني والنبي شيت وسرعين وغرباً بحثا عن.... لأنه ضرب رجلاً من زحلة واقتصاصاً مما أجراه الحرفوشيون قبلاً في مدة حكم الأمير.... الاثنين على سلامة بدون حرب.

وبتاريخ الخميس في ٢٧ تموز تواجه مشايخ زحلة مع الأميرسلمان الحرفوش وبعض أنسبائه في قرية بدنايل بحضور القنصل ريتشرد وود...

(١) أكثر من كلمة غير واضحة في الأصل.

(٢) سطر غير واضح في الأصل

(٣) .... كلمات غير واضحة في الأصل

١٢٧٢ هـ/ الجمعة في ٨ نيسان سنة ١٨٥٥ جاء زحلة ابن ملك البلجيك (ملك الفلمنك مع الملكة زوجته) ونزلا في بيت جرجس التن وباتا ليلة وسافرا في اليوم الثاني إلى دمشق.

(وفيها) في ٢٧ أيار يوم الجمعة سار الزحليون بجمهور كبير إلى قرية بريتان اقتصاصاً من سكانها لأنهم قتلوا موسى شاهين الزحلي. وصباح السبت دخلوا القرية وأحرقوها بالنار وقتلوا بعض سكانها ونهبوها وفرّ الباقون وبينهم الحرفوشيون ولم يقتل أحد من الزحليين.

١٢٧٢ هـ/ ١٨٥٥م كانت حرب القرم، فهدأت الأحياء على إثرها وارتفع شأن النصارى بعد أن هربوا من قراهم وبعضهم إلى رأس بعلبك...

سنة ١٢٧٦ هـ نحو ١٨٥٩ م: كان قائمقام بعلبك فارس آغا قدور، وكان عادلاً حكيماً نشيطاً مولعاً بتربية جياد الخيل، وفي اصطبله نحو عشرة جياد، فتآمر عليه الحرافشة بزعامة الأمير سلمان ونهبوا كل ما كان عنده وكادوا يقتلونه. وكانت حكومة دمشق بعد نفي الحرفوشيين إلى كريت رتبت أن لا يكون الحاكم إلاّ من قبلها باسم متسلم وعنده داياباش ومعه عسكر لمحافظة البلاد وخدمة الحكومة خلاف العسكر الشاهاني المنظم. وصار الأمير سلمان داياباش وسكن في بيته في قرية عين (وهو دار مخايل مراد الآن) وعمروا كنيسة في غير محل ديوان الأمير سلمان وصار سكانها نصارى. وهناك في عين دير مجهول اسمه، ولما كان الأمير سلمان في عين حدثت موقعة الحديدية.

(موقعة الحديدية) عن كتاب نعمة مراد من الفيكة

ولما كان الأمير سلمان الحرفوش في قرية عين دالي باش[1] كما مرَّ، وكان صيته ذائعاً في كل محل، حصل خلاف بين عشيرتي الحديدية والموالي من العربان الذين يخيمون في ضواحي حماه وما يجاورها. وكان الحديديون يحاربون بالبارود والرصاص، أي في بارودة الفتيل أو أبو فتيلة. والموالي تحارب بالسيف والرمح، فلم يستطع الموالي أن يحاربوا الحديديين على هذه الطريقة. فجاء أعيان عرب الموالي مع زعيمهم الأمير محمد الخرفان

(١) والصحيح داياباش.

ونزلوا على الأمير سلمان في عين لينجدهم على أعدائهم الحديديين. فلبى الحرافشة الطلب، وأرسل الأمير سلمان فاستنجد جميع قضاء بعلبك وطرح الصوت على الهرمل وخلافها، فأتت النجدات متوالية من كل الجهات. وذهب الأمير بمقدمتهم إلى نواحي حماة، وهناك التقى بعرب الحديدية فضربهم ضربة هائلة وقتل منهم كثيرين والذين بقوا من فرسانهم تركوا الظعون وهربوا. فإذ رأى عسكر الأمير سلمان ذلك، تآمروا على النهب والسلب، وحملوا جميعهم ما يستطيعون حمله، وصاروا يرجعون الواحد بعد الآخر. وهم مثقلون بأحمال الأسلاب، ولم يعلموا أن العرب لها ردّات. ولما تفرّق جمهورهم عاد إليهم جانب من فرسان عرب الحديدية والتركي، وأخذوا يقتلون ويذبحون كل من لحقوه بدون أن أحد يقف في وجوههم. فأخذت الحمية الأمير محمد الخرفان أمير الموالي، فرجع ليردّهم، فأطلق عليه أحد رعاة المواشي النار فقتله، فباتت الكرة على الأمير سلمان وعسكره والذين قُتلوا من رجاله أكثر من الذين رجعوا أحياء وجميع ما أتوا به من السلب لا يوازي دم قتيل منهم. ولم تزل العداوة باقية بين أهل بلادنا والحديدية إلى الآن إلى زمن المؤرخ في أواسط القرن التاسع عشر. وقد كان قال أحد شعراهم[1] بيت عتابا:

حنّا على كرّات الرقم حنّا بدينا   وصفات العجم قبلك بدينا
وخلاينا الثار يا مولى بدينا   قتلنا ميرهم يوم الوغى

ومن جرى[2] ذلك غضبت الدولة على الأمير سلمان واعتقلته وطرحته في السجن بدمشق.

سنة ١٢٧٧ هـ (١٨٦٠ م) أخذت زحلة في ١٨ حزيران في الثورة المعلومة وفي ٥ تشرين الأول ١٨٦٠ حضر عسكر فرنسي إلى زحلة وبقي ثمانية أشهر. وفي ٣١ أيار سنة ١٨٦١ الجمعة، سافر العسكر الفرنسي الذي كان في الدار الأسقفية سيدة النجاة بزحلة وترك كتابات على جدران الكنيسة.

١٢٧٧ هـ (١٨٦٠ م) كانت العربات الخيلية تنهب الطريق بين بيروت ودمشق على

(١) شعرائهم.
(٢) جرّاء (المحقّق).

مسافة ١١٢ كيلومتراً وكذلك التلغراف يقتل البُعد بين المدينتين وأعمدة أسلاكه على جانبي الطريق[١].

سنة ١٢٧٨ هـ (١٨٦١ م) عمّر رزق الله حسّون[٢] الحلبي كاتب يد فؤاد باشا المعتمد العثماني نحو ألف بيت من قرى البقاع المحروقة والمهدومة وذلك بالتسخير.

موقعة ١٨٦٠ في البقاع وبعلبك عن كتاب نعمة مراد

سنة ١٨٦٠ صارت حادثة الدروز والنصارى المشهورة فامتدت من لبنان إلى حاصبيا وراشيا ودمشق وزحلة امتداداً هائلاً. وسببها أنه كان في ذلك العهد السلطان عبد المجيد العثماني، وكان أخذ زماناً طويلاً في ملكه وله أخ أصغر منه سناً، اسمه السلطان عبد العزيز، وكانت نفسه تنزع إلى أخذ السلطة من أخيه، فعِيل أمره بعد اتخاذ جميع الوسائل. فارتأى أنه إذا أهاج الأمم على المسيحيين وقتلهم، فتقوم دول أوربة[٣] على أخيه وتخلعه وتضعه محله، فتداخل مع الألش الأجنبية (القناصل) إلى أن استمالهم إليه، ولما لم يستطع أن يعمل شيئاً في الآستانة، أراد إجراء ذلك في سورية، وتظاهر أنه متوجه إلى مصر لترويح النفس، وأقبل إلى بيروت، فعملت له الزينات الفاخرة، والاستعدادات الباهرة، وانتظرت قدومه، فكان ذلك ليلاً سراً. وللحال استدعى وجوه الإسلام والدروز بداعي أن له أمراً مهماً بمقابلتهم كلفه به أخوه السلطان عبد المجيد، وهو يعود بالخير على المملكة. وبعد الاجتماع السري حرّضهم على القيام على النصارى وذبحهم عن آخرهم، وسلب أشياءهم[٤] وأملاكهم. وأن هذا العمل آخرهُ فائدة كبيرة للدروز والإسلام، ووعدهم بالوظائف العالية والمنح الفاخرة،

(١) وقال الشيخ ناصيف اليازجي مؤرخاً مدّ السلك التلغرافي بين بيروت ودمشق. (المؤلف). ولم يذكر المؤلف شيئاً مما قاله الشيخ اليازجي في ذلك. (المحقق).

(٢) اطلب ترجمته التي نشرها في المقتطف مؤلف هذا التاريخ عيسى اسكندر المعلوف (...) وعنه نقل من ترجمه بعد ذلك مثل المرحوم جرجي زيدان في مشاهير القرن التاسع عشر (...) والأب لويس شيخو اليسوعي في آداب العربية في القرن التاسع عشر (:) (المؤلف). والفراغ من المؤلف.

(٣) أوروبة.

(٤) أشيائهم.

وخدعهم بالأمر السامي المزور أنه محظي وممهور بختم أخيه الشريف العالي، فوعدوه بتلبية أوامره. وبعد مرور زمن يسير ابتدأت الحركات في لبنان وقطع الدروز الطرق وقتلوا وسلبوا، فالتزم المسيحيون أن يحاموا عن أنفسهم، وبدأت شرارة القتال في لبنان وامتد لهيبها إلى زحلة، فحارب أهلها الدروز في الجبل ظناً أنهم لا يجسرون على محاربتهم. فصار الأمر بالعكس لأنهم كانوا ينكسرون في كل مكان حاربوا فيه، فقويت شوكة الدروز بانتصاراتهم، فاستصرخوا أهل حوران والوعرة وعشائر العربان، وهجموا على زحلة في سهل البقاع، فحاربتهم شراذم من الزحليين مرتين. ففي المرة الأولى أرسل الدروز ليلاً أناساً خبيرين في البقاع، داروا جانباً من الماء ليس بقليل على السهل حتى توحلت الأرض، وصارت مغراقاً، ووضعوا قواتهم في المحل الجاف، فلما صادفهم الزحليون جروهم إلى تلك الأوحال وقتلوا منهم كثيرين وشتتوا شملهم. وفي المرة الثانية بعدوا عن ذلك المحل وتراص الجيش فلم يستطع الدروز أن يأذوهم، ولكنهم رجعوا بدون جدوى لكثرة الدروز، فحاصروا في القلعة، وركبوا صباح يوم وهاجموا الدروز وبطشوا بهم، وأنزلوا بهم الويل وقتلوا منهم كثيرين وعادوا إلى البلدة. فهاجمهم الدروز فيها. وكان الزحليون موعودين بمجيء يوسف بك كرم الذي كان من كسروان عند....[١] عند الريفوفي ليساعدوا الزحليين، فحال دون ذلك ممانعة رؤساء الدين، فأفرغ زحليون جهة حارة الراسية كلها ظناً أن النجدة ستأتيهم إليها. والدروز عرفوا كيف يغلبون، فدبروا أمرهم وانحدروا بأعلام عليها الصلبان، فأوهموا الزحليين أنهم نجدة كرم وكانوا يحدون (ماحلا ذبح الدروز ماحلا) ودخلوا من جهة مار الياس الطوف، وأحرقوا البيوت، وربطوا أكثر المحلات، وهجمت عساكر الدروز من الخارج على المقايس، واشتدت الحرب ووقع الزحليون بين نارين من الخارج والداخل، فانهزموا إلى جهة القاطع وكثرت قتلاهم وأخذوا طريق الجبل من تلك الجهة إلى صنين وبسكنتا ومزارعها.

وفي اليوم الثاني لما ظهر دخان حريق زحلة، تراكض المتاولة من بلاد بعلبك للنهب، فلم يتركوا شيئاً، وفوق ذلك كانوا يعيّرون الزحليين بالانكسار، ونظموا لهم القصائد. ولما

(١) هكذا في الأصل.

عاد الزحالنة بعد مدة، عرفوا بهذه القصائد التي عملها جماعة الأمير أسعد الحرفوش الذين كانوا متظاهرين بالمساعدة لهم. فنظموا قصيداً رداً على ذلك مطلعه:

قال الحقير بيوت من قتل مهول   من قلب حاوي فن رنّت له الحجول

سنة ١٨٦٨ – ١٨٧٥ كانت الرسالة الإنكليزية تمتد من جبل حرمون إلى رأس بعلبك، ثم خلفتها الرسالة الأميركانية للبروتستانت.

سنة ١٢٩٨ هـ (١٨٨٠ م) صباح الثلاثاء في ذي الحجة قام حضرة الأمير عبد القادر بن الأمير محي الدين الحسيني الجزائري الشهير من دمشق ببطانة من الشعراء والأدباء وخاصة من الندماء راكبين الخيول الجياد بموكب حافل قاصداً زيارة مدينة بعلبك من جهة تدمر[1] ثم الهامة إلى أن وصل الجديدة مساءً وبات فيها. وثاني يوم الأربعاء مرّوا بوادي بردى إلى أن استراحوا في سهل الزبداني وغياضها، وما زالوا في تلك الوهاد والهضاب المنفردة إلى أن أشرفوا على قرية (جَنْتَا) فحلّوا بساحتها وأخذهم زعيم القرية إلى بيته فناموا تلك الليلة، وقاموا يوم الخميس صباحاً وجدّوا في المسير إلى أن أشرفوا على قرية (سرعين) وقبر النبي (شيت) فاستراحوا ريثما ذهب عنهم بعض العناء. ثم تابعوا السير إلى أن بدت لهم أساطين قلعة بعلبك تناطح السحاب، ثم دخلوا المدينة وساروا إلى القلعة تواً وباتوا في أحد أفنيتها الفيحاء، وفي الصباح جاء لزيارتهم السيد محمد الرفاعي ومحمود بك اليوسف، قائم المقام هناك، ورهط من الأعيان والموظفين، فطافوا أحياء المدينة وساروا إلى رأس العين ودخلوا إليها مساء يوم الجمعة فبقوا هناك الجمعة والسبت والأحد والاثنين، وفي صباح الثلاثاء تركوا بعلبك قاصدين زحلة فارتقوا (تلة الحمّار) فوق المعلقة واستشرفوا تلك المناظر ولهم في بعلبك وقلعتها ورأس العين ونهر دجلة أبيات شعر رشيقة، ثم زاروا زحلة وعاجوا مساءً بكرك نوح فبقوا الأربعاء هناك. وفي صباح الخميس قاموا ينهبون بخيولهم أرض البقاع حتى بلغوا الديماس فنزلوا في مرج قربه وباتوا ليلتهم. وفي الصباح قصدوا دمّر ثم دمشق، وكتب على ما نرجح الشيخ محمد المبارك الحسني الجزائري هذه الرحلة بشكل مقامة بديعة رأيتها

(١) هكذا في الأصل والصواب دُمَّر (المحقّق).

بخطه في دمشق بمكتبة نجله صديقي الشيخ عبد القادر المبارك وهي بلا نقط بخط جميل في ٢٢ صفحة بقطع ثُمن كبير. أنجز كتابتها في ٣٠ محرم سنة ١٢٩٩ هـ (.... م)[1] وفيها أشعار وألغاز وفكاهات بديعة واسمها (الرحلة البعلية ذات النوادر الأدبية) لأديبين أريبين تخصصا فيها لمدح الأمير (أي عبد القادر الحسيني الجزائري).

سنة ١٨٨٤ م تولى قائمية مقام بعلبك حكمة القنواتي وبأيامه انسلخت ست قرى عن بعلبك وألحقت بالبقاع وهي: الفرزل وأبلح وتربل والدلهمية ونيحا ورياق وحوش حالا.

(١٨٩٠ م) طاف الأب جوليان اليسوعي البقاع وكتب فيه رسالة إفرنسية نشرت في مجلة (الدروس الدينية الفلسفية التاريخية) باللغة الإفرنسية في شهر حزيران سنة ١٨٩٠، ثم جمعت بكتاب صغير على حدة، فطالعتها وعربتها واقتطفت منها ما يهم لهذا التاريخ (المؤلف).

١٨٩٨ م زار بعلبك الامبراطور غليوم ملك المانية وصار له استقبال حافل من الحكومة وكان ناظم باشا والي الشام، ودهش من قلعتها وحفر له بلاطة بالتركية والالمانية تذكاراً لزيارتها في هيكل الشمس ثم نزلّت إثر الاحتلال الأخير في تشرين الثاني ١٩١٨.

في اول سنة ١٨٩٩ م جاء الدكتور كولدواي Koldeway والمهندس الرسام اندره Andrae من المانية إلى قلعة بعلبك وقررا ما يلزم للحفر والبقية من المخططات.

في آب سنة ١٩٠٠ قدمت البعثة الالمانية إلى بعلبك لحفر آثارها وهي مؤلفة من أوتو بوخشتين Puchstein والمهندس برونوشولس B.Schulz ومعاونه دانيال كرنكر D.krenker والمستشرق موريس سوبرنهايم M. sobernheim فبدأوا بالحفر من أواسط أيلول ١٩٠٠ إلى منتهى تموز سنة ١٩٠٣ م، وكان ناظر الحفريات من قبل الدولة التركية مكريدي بك مندوب المتحف السلطاني[2].

(١) الموافق ١٨٨١ م.

(٢) للاطلاع على مزيد من المعلومات حول بعلبك وآثارها وتفاصيل أعمال البعثات الألمانية، خصوصاً منذ بداية توافدها على لبنان، يراجع كتاب «هليوبوليس بعلبك ١٨٩٨ – ١٩٩٨ رحلة في الآثار»، إصدار المديرية العامة للآثار والمعهد الألماني للآثار – بيروت، ١٩٩٨، من إعداد مارغريت فان إس، وهو مزود برسوم تخطيطية وصور ملونة وبالأبيض والأسود وغيره من المصادر الأثرية (المحقّق).

وقد قابل مؤلف (تاريخ سورية المجوّفة) هذا كاتبه عيسى اسكندر المعلوف هذه البعثة مراراً ولاسيما مكريدي بك وبوخشتين وأخذ منهما افادات عن الحفريات كان ينقلها إلى صحف اميركا وبيروت منها ما نشرته جريدة البرازيل لابن حميه قيصر بك المعلوف في سانباولو (البرازيل) ولجريدة لسان الحال في بيروت وغيرهما.

١٩١١ م في ١٧ كانون الثاني بقي الثلج يتساقط مدة طويلة ووقف القطار أربعين يوماً عن السير.

سنة ١٩١٧ م (..... هـ)[١] حدث خلاف بين الجند التركي المخيم في بعلبك في أثناء الحرب العامة وبين أهالي بريتان لأن شبانها لم يطيعوا الحكومة ولا سلموها سلاحهم ولا تجندوا حسب طلبهم. وفي أول الحصاد أي في شهر تموز جاء ستة آلاف جندي ومعهم ثلاثة عشر مدفعاً وتسنموا على تل النبي صالح وتل الزبيبة، فطلعت الأهالي إليهم وضربوهم بالمدافع، فقتلوا (٤٧) رجلاً من الأهلين بكل المواقع وقتل من العسكر أكثر من ٤٠٠ وهجم الأهالي على فرقة (بُلك) الزبداني الذين في عين التينة وذبحوهم مع اليوزباشي فأحرقوا البلد. والقتلى من عيلة بيت اسماعيل أصلهم من الحجاز جدهم الحسين بن النمير[٢] وسموا بعد ذلك (المقادمة) لانهم تقدموا وجاؤوا مع الصحابة للفتوح. وتسمّى العيلة اليوم بيت اسماعيل نسبة إلى جد لهم بهذا الاسم مشهور، وكل القرية منهم نحو (٥٠٠) منزل فيها نحو ألفي نسمة. ومن شيوخ بريتان الآن الشيخ نايف ديب اسماعيل وابن عمه الشيخ فياض شهاب اسماعيل (وديب وشهاب اولاد قاسم اسماعيل).

موقعة اللبوة عن كتاب نعمة مراد من الفيكة بقلم أحد أحفاده

سنة ١٩١٨ في ٢ تشرين الأول، لما هرب الأتراك من وجه الإنكليز في هذا النهار والتقاهم أهالي اللبوة طمعاً بالغنائم والسلب، وأطلقوا نيران بنادقهم على العساكر. وكان

---

(١) الموافق ١٣٣٦ هجرية.

(٢) كما يقول الأهالي ذلك (المؤلف).

نحو عشرين جندياً مارين على السكة، فالتقاهم عشرة من أهالي اللبوة، واشتروا منهم بنادق مرتين بأثمان غالية. فأراد العسكر أخذ ثمنهم فلم يدفعوا لهم وقتلوهم جميعاً. فحدث مرور أحد كومندانية الأتراك، فأمر العسكر أن يرمي عليهم الرصاص، فقتل العسكر منهم اثنين، وقتلوا هم من العسكر خمسة، وابتدأت المعركة. وكان حسين علي آغا قد ذهب من اللبوة برفقة أحد أصحابه الأتراك، فودعهم في الجديدة، ثم رجع فرأى المعركة منتشبة، فلم يزل يرمي الرصاص على العسكر حتى لم يبقَ معه خرطوش، وقد قتل أكثر من سبعة، فرماه العسكر على باب الطاحون بالرصاص قتيلاً، واشتد ضرب الرصاص على العسكر من أهالي اللبوة، فهرب العسكر من على السكة بعدما ترك ثيابه وخيله، وعاث بين البساتين، وأخذ يقتل جميع من يأتي بدربه. فقتلوا ابن ملحم عبده، وأكثر من ثلاثين نفراً من أهالي اللبوة.

ثم مرّ الألمان، فرأوا المعركة، فنزلوا عن الأوتوموبيل وصوّبوا المدافع الرشاشة على الأهالي (أهالي اللبوة) فقتلوا بعضهم. وأخذ اثنين منهم المشاعل ودخلوا ضمن القرية، فرماهم أهالي اللبوة بالرصاص فقتلوهم وجرح من الألمان ستة بقوا أحياءً، فماتوا في الطريق ودفنوا في المحطة (أي محطة رأس بعلبك) وجرح كثيرون. أما عن عسكر الأتراك فقتل نحو خمسين. وحدث أن العسكر كان يبيع بأثمان رخيصة جداً، حتى إن الحمار الذي قيمته ألف غرش، باعوه بعشرين غرشاً. وكان معنا شفيق وجميل وكثيرون من أهالي قريتنا وأهالي الجديدة والراس. ولما كان قرب الظهر، إذا وديع شريم آتٍ راكباً على فرس، فوصل مقطوع النفس وقال إن العسكر عمّال يذبح ويهدم ويضرب المدافع في اللبوة والنبي عثمان، وقد يكون وصل إلى العين فدونكم والجبال. فخرجنا ركضاً في ساعة مهولة حارة، وكان الصراخ قد ابتدأ في قرية الجديدة بجانبنا حيث كنا نحن عند ممر السيل بين الجديدة والمعلقة، فظننا أن العسكر وصل إلى الجديدة ولم نزل نركض حتى وصلنا إلى القرية عطشانين ضائعين (....)[١] فوجدنا أهل القرية أمامنا. وهربنا جميعاً إلى القلاع الصخرية،

---

(١) كلمة غير مقروءة في الأصل. والواضح من النص أنه شبه عامي، إذ هناك أخطاء وركاكة واضحة في الصياغة (المحقّق).

ولا سيما في ماركولا، وبقينا نحو ثلاث ساعات حتى مرّ العسكر فعدنا. وأهالي اللبوة فروا هم وأهالي النبي عثمان وأهالي العين، وبقوا ثلاثة أيام في الجرد.

يوم الأحد في ١١ آب أقيمت حفلة حافلة في سيدة النجاة الكاتدرائية بعيدها المئوي (أي مرور مائة سنة على تأسيسها). وألقيت الخطب الكثيرة مما ذكرته جريدة زحلة الفتاة وكان سيادة المطران أفتيموس يواكيم قد طلب من مؤلف هذا الكتاب كاتبه عيسى اسكندر المعلوف في صيف سنة ١٩٤٥ قبل أن يهبط المعلوف لبيروت لصرف الشتاء أن ينشئ مقالة مطولة عن بناء الدار الأسقفية والكاتدرائية وما جرى بذلك العهد فأنشأ المعلوف مقالة مطولة فيها التفاصيل الوافية عن انتقال كرسي الأسقفية من الفرزل إلى زحلة وما عمله الأساقفة فيها إلى أن بنيت الكاتدرائية التي أرخ بتاريخها الشيخ ناصيف يازجي سنة ١٨٤١ بقوله[1]:

ثم ما جرى بعد المطران شاهيات وباسيليوس الحلبي إلى أيامنا فلم تقل هذه المقالة ولم تُنشر.

ويوم الخميس في ١٥ آب ١٩٤٦ عيد نياح السيدة أقيمت حفلة حافلة شائقة اتيت فيها الخطب وكان الحشد عظيماً. وذكر الأستاذ شكري البخاش بخطابه السيدة روز زوجة ولدنا شفيق المعلوف ألفت لجنة نسائية في سانباولو (البرازيل) مع الأمل بتجديد الكاتدرائية المذكورة وتحسينها ونشر ذلك في جريدته (زحلة الفتاة) وذكر التاريخ الذي نظم كاتبه عيسى اسكندر المعلوف مؤلف هذا التاريخ لعيد الكاتدرائية للآن وتأسيسها قبلاً وهو:

بزحلة بيت سيدة البرايا ... كتدرائية فيها النجاةُ
على أس الطهارة شيدوها ... وكان لها إلى الوطن التفاتُ
ففي مائة من السنوات تمت ... تتم بها العبادة والصلاةُ
بناها الحبر أسقفها قديماً ... وهمته يؤيدها الثباتُ
إذا سألوك عن تاريخه قل ... فذا باسيلوس الشاهياتُ
١٣٠ ... ٧١١ ٢٥٨ ٧٤٧ = ١٨٤٦

(١) لم يذكر المؤلف الأبيات التي نظمها الشيخ اليازجي للمناسبة (المحقّق).

وأفتيموس يواكيم المعلى ... أقام العيد يعضده الثقاتُ
بقرنٍ أرّخوهُ جاء عيد ... بسيدة النجاة التهنئاتُ
٨٤٤ ... ٤٧٦ ٤٨٥ ٨٩٧ = ١٩٤٦

وفي تموز وآب ١٩٤٦ بدأ سيادة المطران أفتيموس يواكيم أسقف زحلة والبقاع الكاثوليكية بتنظيف جدران كاتدرائية سيدة النجاة من الداخل. فبعد التنظيف وجدت كتابات فرنسية على الجدران الداخلية، مما كان العسكر الفرنسي الذي احتل الدار الأسقفية والكنيسة الكاتدرائية لما أخذت زحلة في ١٨ حزيران سنة ١٨٦٠، فدخل العسكر الفرنسي الدار والكاتدرائية في ٥ تشرين الأول سنة ١٨٦٠ وبقي فيها ثمانية أشهر.

ويوم الجمعة في ٣١ أيار سنة ١٨٦١، سافر العسكر الفرنسي الذي كان في الدار والكنيسة إلى بيروت. فعند تجديد دهان كنيسة سيدة النجاة الزحلية في شهري تموز وآب سنة ١٨٦٤ وجد على الجدار الشمالي كتابات افرنسية منها هذه الكتابة:

Mouveao Adolphe
Caporal au 5.e Ligue
1860 Armée de Syrie

وتعريبها: (مُوفو أودولف كابورال في المدرسة الخامسة سنة ١٨٦٠ جيش سورية)
وهذه هي بشكل حروفها كما رسمها وعرّبها رياض المعلوف:

Mouveau Adolphe
Caporal au 5.e de Ligue
1860 Armée de Syrie

في ٨ تشرين الأول سنة ١٩١٨، مرت العساكر الإنكليزية من بعلبك إلى الشمال على السكة قرب قرية الفيكة (بعلبك) وهم أكثر من عشرة آلاف خيّال أكثرهم من الهنود. ومرّت فرقة ثانية وبقي نحو خمسة آلاف في أرض الفيكة مكثوا في الزرابة عند جسر النبي وبقوا نحو شهر. وهم جميلو الوجوه، طوال القامات، شجعان. فغنمت الناس من ورائهم. وكان الولد يمسك للجندي حصانه فيعطيه خمسة غروش وهكذا بقوا إلى ١٥ تشرين الثاني فساروا إلى بيروت.

نصب تذكاري للعسكر الفرنسي في قب الياس

على إثر حادثة ١٨٦٠ المشهورة وأخذ زحلة في ١٨ حزيران سنة ١٨٦٠، قدمت أساطيل الحكومة العثمانية والدول المتفقة إلى بيروت في اواخر حزيران وكان الأميرال جيهان قائد الأسطول الفرنسي. وفي ١٧ تموز وصل المعتمد العثماني فؤاد باشا لتسكين الفتنة والاضطرابات. وفي ١٣ آب عقد مؤتمر باريس الدولي كان فيه معتمدو الدول العثمانية والبريطانية والفرنسية والروسية والبروسية والنمسوية فأقروا على تأمين البلاد بقوات عسكرية كافية وإعانة المنكوبين فوصل بيروت في ١٦آب سبعة الآف جندي فرنسي بقيادة الجنرال بوفور دوتبول. وفي ٥ أيلول وصل معتمدو الدول الخمس للمداولة مع فؤاد باشا، فطافوا في الأماكن المنكوبة وسكّنوا ثورة أحزانهم ووعدوهم بالمساعدة ثم عقدوا في ١٥ تشرين الأول مؤتمرا دولياً في بيروت لتنظيم لبنان كان المفوض الفرنسي فيه المسيو بكلار فُضَّ في ٥ آذار ١٨٦١ بعد أن حضر أعضاؤه ٢٥ جلسة اتفقوا فيها على إصلاح ذات البين وبناء ما هدم وتعويض الخسائر الفادحة.

وصارت الاكتتابات في جميع أنحاء أوروبا واميركة ثم قدم الكاردينال لافيجري مع الأب أغناطيوس اليسوعي لتوزيع الإحسانات فطاف الأنحاء وعزّى المنكوبين ووضع كتاباً ترجمته في صباي بالعربية عنوانه (اكتتاب لإعانة مسيحيي سورية) قال فيه ما معربه: « ثم عدنا إلى زحلة فالتقينا بالعساكر الفرنسية المخيّمة في المديرج وقب الياس»، وذلك في أوائل كانون الأول ١٨٦٠. وكان الزحليون قد عادوا إلى بلدتهم بعد هجرها شهرين كاملين فنزلوا في الأطلال والخيام وبعض البيوت التي سلمت من الحريق.

وكانت فرقة كبيرة من الجنود في زحلة في أول تشرين الأول ١٨٦٠ قد نزلت في الدار الأسقفية الكاثوليكية بعد ترميمها وكان القبطان سوفيش رئيس هذه الفرقة وبقيت نحو ثمانية أشهر فتركت البلدة يوم الجمعة في ٣١ أيار ١٨٦١ بعد أن ساعدت السكان بالترميم.

البقاع وقب الياس

كان رزق الله حسون الحلبي[1] (الذي ترجمته بمجلة المقتطف) من رجال فؤاد باشا هو وابراهيم كرامه ابن بطرس كرامه الحمصي شاعر الأمير بشير الكبير فوكل فؤاد باشا إلى حسون ترميم ما هدم في البقاع فأصلح ألف بيت فيه بمساعدة العساكر الفرنسية المخيِّمة في قب إلياس وقد مات كثير من الجنود في هذه البلدة وما حولها.

فوجدت نواويس وقبور كثيرة في سطح الجبل بضواحي قب الياس فيها أثواب مزررة وشارات تدل على أنها من آثار الجنود الفرنسيين الذين خيَّموا في قبلي قب الياس تحت (المزيّنة) ١٨٦٠، ودفنت موتاهم في سطح الجبل بضواحي قب الياس، لأن سنة ١٨٦٠، كانت باردة، كثيرة الثلوج. فنمي خبرهم إلى المسيو دتشكوهن مستشار البقاع الإداري فسعى بإقامة حفلة ينصب فيها تذكار لهؤلاء الجنود. فتبرع أهل قب الياس بالنفقة، وأُقيمت الحفلة يوم الأحد في ٤ كانون الأول سنة ١٩٢٧ في جنوبي القرية، حيث خيمت العساكر قبلاً سنة ١٨٦٠، ترأسها الجنرال بيشو ديكلو قائد القوات الفرنسية في لبنان والعلويين، عن السلطة الفرنسية، ووزير داخلية لبنان عن الجمهورية. وشهد الحفلة أميرال البحر وأمراء الضباط الفرنسيون، ومدير الداخلية ومحافظ البقاع عبد الحليم بك الحجار الذي قدم إكليلاً كبيراً للنصب التذكاري، وتليت الخطب. منها خطبة بيشو في الحملة الفرنسية سنة ١٨٦٠ وأعمالها وأغلاط قائدها الأكبر الجنرال دي بوفور، ثم استعرض كوكبات الصباحيين (الرماحة) والدبابات، وهي ثلاث مفرزات من بعلبك، قدمت للاشتراك بالحفلة وارفض الجميع. والنصب قائم تحت محلة (المزيّنة) على يمين الذاهب من قب الياس إلى عميق.

---

(١) رزق الله حسون الحلبي ١٨٢٥ - ١٨٨٠ ناشر وصحافي ومؤلف أتقن الأرمنية والعربية والتركية والفرنسية والإنكليزية، وتنقل بين باريس ولندن ومصر وساعد المستشرق إدوارد هنري بلمر على وضع معجمه بالعربية، ونشر ديوان حاتم الطائي عن نسخة من مكتبة لندن والأغاني، وكذلك ديوان ذي الرمة ونقائض جرير والفرزدق. كان يعتبر من أكبر هواة الكتب وجامعيها وناسخيها، وله آثار شعرية. تحدث عنه كل من المؤرخ المعلوف وجرجي زيدان وفيليب دي طرازي وأعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء لمحمد راغب الحلبي والزركلي في أعلامه ونشر عنه المعلوف في المقتطف وكحالة في معجم المؤلفين وغيرهم (المحقّق).